



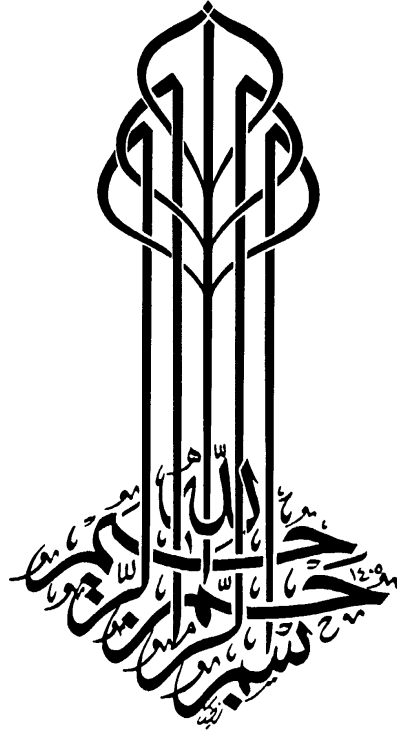
أبحاث المؤتمر الدولي



محمد صلى الله عليه وسلم

برعاية خادم الحرمين الشريفين  
الملك / عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله -

المجلد الأول



## تقديم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى، حمداً يليق بجلال وجه ربنا وعظيم سلطانه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، المبعوث رحمة للعالمين، نبينا وقدوتنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه واهتدى بهداه.

أما بعد؛ فقد اصطفى الله نبيه محمداً ﷺ، وبعثه رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، فدعا إلى الله، وبلغ البلاغ المبين، بالحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما في صفته وأمره وخبره، مما استفاضت به أدلة الكتاب والسنة، على وجوه مختلفة. فله الحمد على ذلك، ونسأله المزيد من فضله.

والواجب علينا - نحن المسلمين - أن نقوم لله مثنى وفرادى، ونبذل قصارى جهدنا في نشر السنة النبوية، وبيان السيرة الشريفة، بكل وسيلة شرعية ممكنة، لاسيما والعالم يزداد عطشاً لمعرفة، ولن يبلغ الرِّي إلا بالورود على المعين الصافي: القرآن العظيم؛ والسنة الصحيحة، وهذا من أعظم ما يكون به توفير النبي ﷺ، وتعزيزه، ونصرته، والدفاع عنه.

---

---

ووصولاً لحبل الاتباع والنصرة تشرفت الجمعية العلمية السعودية للسنة  
وعلموها بتنظيم المؤتمر الدولي «نبي الرحمة محمد ﷺ» في مدينة  
الرياض، برعاية كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز  
آل سعود - حفظه الله - ومشاركة شخصيات علمية ودعوية وأكاديمية وإعلامية  
من مختلف دول العالم بأبحاث علمية، تتنظمها ثمانية محاور، ويندرج تحت كل  
محور موضوعات عديدة، تبرز جانباً مهماً من سيرته عليه الصلاة والسلام، وهو  
الرحمة، بكل دلالاتها، في الأحوال، والأقطار، والأزمان، والأشخاص، والأعراق،  
والأديان، والأجناس.

وبفضل الله وحده ما إن تم الإعلان عن المؤتمر إلا وطلبات المشاركة  
تتقاطر على اللجنة العلمية للمؤتمر من أصقاع العالم، تكتنفها التهاني الممزوجة  
بالفرح والبشرى، وقد عجز البنان والبيان عن كامل البيان، ولكن نتوسل إلى  
الله ﷻ بمحبة نبيه ﷺ، أن يجعلنا وإياهم في معيته في جنات النعيم.

ومن جنى هذا التواصل العالمي الذي تقوده الجمعية هذه الأبحاث التي  
نقدمها للقارئ الكريم، فأسأل الله أن ينفع بها، ويجزي من كتبها خيراً، ويزيدهم  
من توفيقه وهدايه.

وهذه المناسبة أرفع الشكر والتقدير لخدام الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، وسمو النائب الثاني صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز - حفظهم الله - على ما تحظى به المناسبات الإسلامية والعلمية من حسن الرعاية، وكافة التسهيلات، ومنها هذا المؤتمر، وأسأل الله أن يوفقهم لما فيه إعلاء كلمة الله، وعز الإسلام، ونصرة المسلمين.

والشكر موصول لمعالي وزير التعليم العالي الأستاذ الدكتور خالد العنقري، ومعالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الأستاذ الدكتور سليمان أبا الخيل، على إشرافهما وحسن توجيههما.

وفي الختام أشكر اللجنة العلمية برئاسة فضيلة الدكتور عبدالله الشقاري، على الجهود الكبيرة التي امتدت لما يقارب عاماً، في المتابعة والتقويم، سائلاً المولى أن يجعل ذلك حسنات مكتوبة في صحائف أعمالهم.

اللهم وفقنا لهذا، واجعل عملنا في رضاك، واجعلنا من أنصار دينك، وأتباع نبيك بإحسان، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

رئيس مجلس إدارة الجمعية

د. عبد العزيز بن محمد السعيد

\*\*\*

---

ايض



# معالم الرحمة

## في أخلاق نبي الرحمة ﷺ

إعداد

د. محمد بن علي الفامي

أستاذ الحديث وعلومه المساعد بكلية الشريعة - جامعة أم القرى







## المقدِّمة

الحمد لله الذي أرشد إلى الصراط المستقيم، ومدح الخُلُق العظيم، وأرسل نبيه محمداً متمماً لمكارم الأخلاق، وأدبه فأحسن تأديبه على الإطلاق<sup>(١)</sup>. وأرشده إلى التحلي بأفضل الخلال، والتزوي بأجل الخصال، فقال سبحانه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. ووصفه بأعظم الخُلُق، فقال جلّ في علاه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وصلّ اللهم وبارك على من كان «أحسن الناس خُلُقاً»<sup>(٢)</sup>. فقد كان ﷺ متخلقاً بأخلاق القرآن، ومتأدباً بآداب الإسلام، ووصفه ألصق الناس به، وأكثرهم به مخالطة زوجه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين سُئِلَتْ عن خلقه فقالت: «كان خُلُقَه القرآن»<sup>(٣)</sup>.

ومعنى ذلك: أن كل الصفات الحميدة التي دعا إليها القرآن قد اتصف بها النبي ﷺ، وكل الصفات الذميمة التي نهى عنها القرآن تركها النبي ﷺ.

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (ص ١).

(٢) رواه البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (١٤٤٥).

(٣) رواه مسلم (٧٤٦).

وحسب نبي الرحمة ﷺ أن الغاية من بعثته، والهدف من إرساله أن يكون رحمةً للعالمين كما ذكر ربنا جلَّ وعزَّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فالرحمةُ صفةٌ لازمةٌ له، فهي عنوانه، وهي سمته التي يعرف بها، فقلوبُ الناس تهواه وتحبه لأنه رحمة، بُعث بالرحمة والعطف والحنان، وبُعث بالرفق واللين، فما أرحمه من نبي، فهذه سيرته العطرة مليئةً بالمشاهد الدالة على رحمته ﷺ، ولم تكن مواقفَ وأحداثاً فحسب، بل أمرٌ، وشرعٌ، ومنهجٌ وأخلاقٌ، شرعها للناس.

ولا ريب أن من معالم هذه الرحمة، ودلائل هذه البعثة، جانب الخلق في حياته الشريفة ﷺ، حيثُ تمثَّل الأخلاق الفاضلة، والخلال السامية، طيلة حياته، قولاً وفعلاً؛ ولذا يُعدُّ الحديث عن أخلاقه ﷺ حديثاً طويلاً يحتاج بسطه إلى دواوين ومجلدات، وحسب الباحث: الإسهام في مؤتمر نبي الرحمة ﷺ بالكتابة في جانب من جوانب أخلاقه الطاهرة، وشأنه السامقة.

وهذا الجانب هو «حسن الخلق»، وبعض ما ورد عنه ﷺ في ذلك قولاً وفعلاً، ولا غرو أن يتمثل حبيبنا ﷺ هذه الخلَّة في سائر أحواله، فالخلق الحسن يرفع منزلة صاحبه في الدنيا، ويرجح كفة ميزانه في الآخرة، إذ هو أثقل شيء في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة، فقد قال ﷺ: «ما من شيءٍ أثقلُ في ميزان العبد



المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذي<sup>(١)</sup>.

ولقد كان سيد المرسلين ﷺ المثل الأعلى في حسن الخلق، وغيره من كرائم الفضائل والخلال. واستطاع بأخلاقه المثالية أن يملك القلوب والعقول، واستحق بذلك ثناء الله تعالى عليه بقوله عز من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، يقول الحافظ ابن كثير: ومعنى هذا أنه ﷺ، صار امتثال القرآن، أمراً ونهياً، سجيةً له، وخُلُقاً تطبَّعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلُق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل<sup>(٢)</sup>.

ومن ثمَّ كان ﷺ يؤكد أهميته للصحابة الكرام، ويحضهم على التجميل به، ويحببه إلى نفوسهم بأساليب شتى من قوله وفعله، إدراكاً منه لأثره الكبير في تهذيب الطباع، وتزكية النفوس، وتجميل الصورة.

كما كان للرفق، والسماحة، والكلمة الطيبة، والإحسان إلى الناس، والرحمة بهم، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة، الأثر القوي في انتشار الإسلام في ربوع

(١) رواه الترمذي، من حديث أبي الدرداء وقال: حديث حسن صحيح. وسيأتي تحريجه في ثنايا البحث.

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١٨٩/٨)

المعمورة، فقد روى لنا التاريخُ أن كثيراً من الشعوب، دخلوا في الإسلام لاحتكاكهم بالمسلمين، وتعرفهم على أخلاقهم الفاضلة التي كانوا يتعاملون بها معهم، مما جعلهم يتأثرون بأخلاقهم، ويتأسون بهم، فأداهم ذلك إلى الدخول في الإسلام جملة من غير إكراه ولا قتال. ولا شك أن الفطر السليمة تهدي إلى الخير، وتنجذب إلى ما يدعو إلى الفضائل والمكارم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وجامع الخلق الحسن مع الناس: أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام، والدعاء له، والاستغفار، والثناء عليه، والزيارة له، وتُعطي من حرمك من التعليم والمنفعة، والمال، وتعفو عمن ظلمك في دم أو مال أو عرض، وبعض هذا واجبٌ، وبعضه مستحب)<sup>(١)</sup>.

ورحم الله أبا محمد ابن حزم عندما قال: (من أراد خير الآخرة، وحكمة الدنيا، وعدل السيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله ﷺ وليستعمل أخلاقه وسيره ما أمكنه أعاننا الله على الاتساء به بمنه آمين....)<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: الزهد والورع والعبادة (ص ٨٩)

(٢) الأخلاق والسير (ص ٦٧)



### خطة البحث:

وقد رأينا أن يكون البحث على وفق الخطة الآتية:

- المقدمة: وفيها الديباجة، والخطة، والمنهج المتبع في تناوله، وحدود الدراسة، والدراسات السابقة.
  - التمهيد: وفيه تعريف الأخلاق، وذكر مفهومها في الإسلام، وبيان المراد بحسن الخلق، والتعريف بمجالاته.
  - المبحث الأول: ما جاء عن حسن الخلق في القرآن الكريم.
  - المبحث الثاني: ما جاء من اتصاف النبي ﷺ بحسن الخلق، ودعائه به.
  - المبحث الثالث: ما جاء في مكانة حسن الخلق في الإسلام.
  - المبحث الرابع: ما جاء في أن حسن الخلق مما تستجلب به محبة الله، ومحبة رسوله ﷺ.
  - المبحث الخامس: ما جاء في أن المؤمنين يتفاضلون بحسن الخلق.
  - الخاتمة، والمصادر والمراجع، والفهارس.
- أسأل الله تعالى كما حسن خَلَقْنَا أن يُحَسِّنَ أخلاقنا، وأن يرزقنا متابعة الرحمة المهداة، والنعمة المسداة نبينا محمدٍ، عليه من ربه أزكى صلاة، وأتم سلام، اعتقاداً وسلوكاً، وقولاً وعملاً.

### المنهج المتبع في تناول الدراسة:

قام الباحث باستعراض كتب السنة والسيرة النبوية، لاستخراج جوامع النصوص المتعلقة بحسن الخلق، فاجتمع لديه عددٌ لا بأس به من الأحاديث، ثم استخلص ما صح منها، ثم قام بتصنيفها في مباحث خمسة، مع تخرجها من مصادرها، والحكم عليها بما يناسبها على ضوء القواعد العلمية، ثم التعريف بغريب الألفاظ، والتنبيه على بعض النكات والفوائد المتعلقة بها، بقدر ما يتضح به مقصود الدراسة، والله الموفق.

### أما حدود الدراسة:

فإن هذه الدراسة تتناول جانباً من جوانب أخلاق المصطفى ﷺ وشماله، وهو حُسْنُ الخلق، وذكر بعض ما يدخل في دائرة القبول من أحاديث، دون استيعاب جميع ما ورد في هذا الباب، وليس المقصود منها الحديث عن الأخلاق في الإسلام بوجه عام، ولا الحديث عن شمائله الشريفة، وأخلاقه الكريمة ﷺ بإطلاق.

### الدراسات السابقة:

هناك عددٌ من الأبحاث تناولت (أخلاق الرسول ﷺ) قديماً وحديثاً، تارة في ذكرهم لها في ثنايا تصانيفهم لدواوين السنة النبوية، أو في كتب السيرة



المطهرة، أو على سبيل الأفراد في مصنفات تناولت الحديث عن أخلاقه وشيئله الشريفة على وجه الاستقلال، أو الحديث عن الأخلاق في الإسلام على وجه عام، وفيما يأتي ذكر لبعضها:

(١) الشئال الممءمة والمصائل المصطفوية لأبي عيسى الترمذي.

(٢) مكارم الأخلاق لأبي بكر ابن أبي الدنيا.

(٣) مكارم الأخلاق ومعالها ومحمود طرائقها لأبي بكر الخرائطي.

(٤) مكارم الأخلاق لأبي القاسم الطبراني.

(٥) أخلاق النبي وآءابه لأبي الشيخ ابن حيان الأصبهاني.

(٦) الأنوار في شئال النبي المختار للحسين بن مسعود البغوي.

(٧) الشئال الشريفة لجلال الدين السيوطي.

فهذه أهم مصنفات الأوائل في هذا الجانب<sup>(١)</sup>، غير أني لم أقف على دراسة

---

(١) أما ما كتبه المعاصرون من علماء وباحثين، فأكثر من أن يُحصَر، ومما وقفت عليه: مكارم

الأخلاق للشيخ محمد العثيمين، ومن أخلاق الرسول الكريم ﷺ للشيخ عبد المحسن العباد، وخلق المسلم للشيخ محمد الغزالي، والأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية لمحمد ياقوت، وإنما بعث لأنم مكارم الأخلاق، للدكتور جمال الزكي، وكان خلقه القرآن لأبي إسلام أحمد بن علي، والأخلاق الإسلامية وأسسها للشيخ عبد الرحمن =

أفردت هذا الموضوع، وهو جمع ما ورد في حسن الخُلُق عن سيد الخُلُق ﷺ على جهة الخصوص.

وبعدُ: فهذا أوان الشروع في المقصود، وأسأل الله تعالى أن يرزقني فيه القبول، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وصلى الله وسلم على سيد البلغاء، وإمام الأتقياء وخاتم الأنبياء، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

\*\*\*

---

=الميداني، والتربية الأخلاقية الإسلامية، وعلم الأخلاق الإسلامية كلاهما للدكتور مقداد يالجن، والجانب الخُلُقي للنبي الكريم ﷺ، لمحمد يونس عبد الجبار، ومحمد ﷺ الخلق الكامل والرحمة المهداة لمحمد البلتاجي، وموسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم لمجموعة من الباحثين، والنظرية الخلقية عند ابن تيمية لمحمد عفيفي.





## التمهيد

وفيه تعريف الأخلاق، وذكر مفهومها في الإسلام، وبيان المراد بحسن الخلق، وما مجالاته؟ وسيكون كل ذلك بإذن الله في فروع:

**الفرع الأول: تعريف الأخلاق: لغةً، واصطلاحاً:**

**أولاً: الأخلاق لغة:**

الأخلاق في اللغة جمع خُلُق، والخلق اسم لسجية الإنسان، وطبيعته التي خُلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خ ل ق) التي تدل على تقدير الشيء.

يقول ابن فارس: ومن هذا المعنى: الخلق، وهو السجية؛ لأن صاحبه قد قُدِّرَ عليه. يقال: فلان خَلِيقٌ بكذا: أي قادرٌ عليه، وجديرٌ به، وأُخِلقَ بكذا، أي: ما أخلقه، والمعنى هو: ممن يقدر فيه ذلك، والخلق: النصيب؛ لأنه قد قُدِّرَ لكل أحد نصيبه<sup>(١)</sup>. وقال الراغب: الخَلْقُ والخُلُقُ في الأصل واحد لكن خص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلُقُ بالقوى والسجاياء المدركة بالبصيرة. والخلق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه<sup>(٢)</sup>. قال تعالى:

(١) يُنظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢١٤).

(٢) يُنظر: المفردات في غريب القرآن (ص ١٦٤).

﴿ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ [البقرة: ١٠٢]. والخلق أيضاً: النصيب، وقيل: الدين، وقيل: القوام، وقيل الخلاص، وقيل القدر<sup>(١)</sup>. قال الطبري: الخلق: هو الأدب العظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به وهو الإسلام<sup>(٢)</sup>. وقال الماوردي: وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، سُمي بذلك؛ لأنه يصير كالخلق فيه<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الأخلاق اصطلاحاً:

قال الجرجاني: الخلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة، يصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سُميت: خُلُقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي مصدر ذلك: خُلُقاً سيئاً، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الدور بحالة عارضة لا يقال: خُلُقَه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٥٠٣/١)

(٢) يُنظر: تفسير الطبري (١٣/٢٨).

(٣) يُنظر: النكت والعيون (٦١-٦٢).

(٤) يُنظر: التعريفات للجرجاني (ص ١٠٤).



أما أبو الحسن الماوردي فقال: الأخلاق: غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار<sup>(١)</sup>.

### الفرع الثاني: تعريفُ حُسْنِ الخُلُقِ: لغةً، واصطلاحاً: أولاً: تعريفه لغة:

الحسن: الجمال، وهو نعت لما حَسُنَ وحَسَنَ يَحْسُنُ حُسْنًا فيهما، فهو حَاسِنٌ وحَسَنٌ. قال الجوهري: تقول قد حَسُنَ الشيء، وإن شئت خففت الضمة، فقلت: حَسَنَ الشيء والحَسَّان بالضم أحسن من الحَسَن، وأحاسِنُ القوم وحَسَائِهِمْ، وفي الحديث «أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً»<sup>(٢)</sup> وهي الحسنى. والمحاسن في الأعمال ضد المساوئ، يقول تعالى: ﴿وَيَذَرُوكَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ [الرعد: ٢٢]. أي: يدفعون بالكلام الحسن ما ورد عليهم من سيئ غيرهم<sup>(٣)</sup>. والخلق: السجية والطبع.

### ثانياً: تعريفه اصطلاحاً:

معنى حسن الخلق: سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد

(١) يُنظر: تسهيل النظر وتعجيل الظفر (ص ٥).

(٢) رواه الطبراني، وغيره بإسناد صحيح. بهذا اللفظ، وهو في الصحيحين وغيرهما بغير هذا اللفظ كما سيأتي تخريجه قريباً بإذن الله.

(٣) يُنظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٥٧)، ولسان العرب لابن منظور (١٣/ ١١٥).

يكون ذلك في ذات الله تعالى، وقد يكون فيما بين الناس<sup>(١)</sup>.

وقال الماوردي: حسن الخلق أن يكون سهل العريكة، لين الجانب، طلق

الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة<sup>(٢)</sup>. وقد ورد عن السلف عبارات عدة في

تعريف حسن الخلق منها:

١ - قول الحسن البصري: الكرم، والبذلة، والاحتمال<sup>(٣)</sup>. وجاء عنه أيضاً -

كما مضى ذكره، قوله: بذل الندي، وكف الأذى، واحتمال الأذى<sup>(٤)</sup>. وجاء عنه

أيضاً قوله: بسط الوجه، وبذل الندي، وكف الأذى<sup>(٥)</sup> وجاء عنه أيضاً قوله: بذل

الندي، وكف الأذى، وطلاقة الوجه، وعده العلامة ابن مفلح تعريفاً من

الحسن، وعبر عنه بقوله: قال الحسن البصري: حقيقة حسن الخلق بذل

المعروف، وكف الأذى وطلاقة الوجه<sup>(٦)</sup>.

(١) قاله البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٢٢٩)، وتبعه القزويني في مختصر شعب الإيمان

(ص ١١٦)، ويُنظر: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق لجمال زكي (ص ١١).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص ٢٩٩)، ويُنظر: غذاء الألباب للسفاري (١/ ٣٥٣ - ٣٥٤).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الإخوان (١٧٢).

(٤) يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٠٧).

(٥) يُنظر: مرقاة المفاتيح للملا علي القاري (١٤/ ٣٨٩).

(٦) يُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٩)، الآداب الشرعية (٢/ ٣٠٥).



- ٢ - وقول عامر الشعبي: البذلة، والعطية، والبشر الحسن<sup>(١)</sup>.
- ٣ - وقال ابن منصور: سألت أبا عبد الله عن حسن الخلق قال: أن لا تغضب ولا تحتد، قيل له المعاملة بين الناس في الشراء والبيع؟ فلم ير ذلك.
- ٤ - وقال إسحاق بن راهويه، هو: بسط الوجه وأن لا تغضب ونحو ذلك، ذكره الخلال.
- ٥ - وروى البيهقي في مناقب الإمام أحمد عن إسحاق بن منصور أنه سأل أحمد بن حنبل عن حسن الخلق فقال: هو أن يحتمل من الناس ما يكون إليه.
- ٦ - وروى الخلال عن سلام بن أبي مطيع في تفسير حسن الخلق فأنشد هذا البيت:
- تراه إذا ما جئته متهللاً \* كأنك معطيه الذي أنت سائله<sup>(٢)</sup>
- ٧ - وقال سهل بن عبد الله التستري: أدنى حسن الخلق: الاحتمال، وترك المكافأة، والرحمة للظالم، والاستغفار له، والشفقة عليه<sup>(٣)</sup>.
- ٨ - وقيل: هو: ألا يُخَاصِم، ولا يُخَاصِم من شدة معرفته بالله تعالى<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الإخوان (١٧١).

(٢) تنظر النقولات من ٣-٦: الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٩٩).

(٣) يُنظر: دليل الفالحين (٥/ ٩٠).

(٤) يُنظر: المصدر السابق.

٩ - وقيل: بذل الجميل، وكف القبيح<sup>(١)</sup>.

١٠ - وقيل: التخلي من الرذائل، والتحلي بالفضائل<sup>(٢)</sup>.

١١ - وقال القاضي عياض: هو مخالقة الناس باليمن والبشر، والتودد لهم والإشفاق عليهم، واحتمالهم، والحلم عنهم، والصبر عليهم في المكاره، وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظة، والغضب، والمؤاخذة<sup>(٣)</sup>.

١٢ - وقال ابن دقيق العيد: والمراد بحسن الخلق: الإنصاف في المعاملة والرفق في المحاولة والعدل في الأحكام والبذل في الإحسان وغير ذلك من صفات المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

١٣ - وقال الصالحي: قوى نفسانية تسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة، والآداب المرضية، فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه<sup>(٥)</sup>.

قلت: قام أبو حامد الغزالي رحمته الله بتحرير تعريف حسن الخلق بما لم أجده عند غيره بقوله: اعلم أن الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق وأنه ما هو،

(١) يُنظر: مدارج السالكين لابن القيم (٢ / ٣٠٧).

(٢) يُنظر: المصدر السابق.

(٣) يُنظر: الديباج على صحيح مسلم للسيوطي (٥ / ٣٢٢).

(٤) شرح الأربعين (ص ٧١).

(٥) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٧ / ١٣).



وما تعرضوا لحقيقته، وإنما تعرضوا لثمرته، ثم لم يستوعبوا جميع ثمراته، بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وما كان حاضراً في ذهنه، ولم يصرّفوا العناية إلى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل والاستيعاب، فالخلق عبارة عن: هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خُلُقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقاً سيئاً، وإنما قلنا إنها هيئة راسخة؛ لأن من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وإنما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية؛ لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث، أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأفعال فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة،

فإذا: أمهات الأخلاق وأصولها أربعة: الحكمة والشجاعة والعفة والعدل.. فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها، فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدل، والباقي فروعها، ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربته من رسول الله ﷺ، وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه ويقتدون به في جميع الأفعال ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد فإنه قد قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي أن يبعد كما أن الأول قريب من الملك المقرب فينبغي أن يقتدي به ويتقرب إليه فإن رسول الله ﷺ لم يبعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق<sup>(١)</sup>.

### الفرع الثالث: طبيعة الأخلاق الإسلامية:

إن من أهم ما يميز الأخلاق الإسلامية أموراً عدة:

- ١- أن مصدرها الوحي: ولذلك فهي قيم ثابتة، ومُثَلَّ عليها، تصلح لكل إنسان بصرف النظر عن جنسه وزمانه ومكانه ونوعه. يقول الرسول ﷺ: «إن

(١) يُنظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٥٣) بتصرف وحذف.





من خياركم أحاسنكم أخلاقاً»<sup>(١)</sup>.

٢- أن الأخلاق الإسلامية أخلاقٌ عملية، هدفها: التطبيق الواقعي، وبيان طرق التحلي بها. يقول الرسول ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: «أربع إذا كن فيك فما عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة في طعمة»<sup>(٢)</sup>.

٣- مصدر الإلزام في الأخلاق الإسلامية هو شعور الإنسان بمراقبة الله تعالى. فقد سئل الرسول ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: «تقوى الله، وحسن الخلق»<sup>(٣)</sup>. وروى الحاكم عن سهل بن سعد مرفوعاً: «إن الله يحب الكرم، ويحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها»<sup>(٤)</sup>.

٤- لا تحكم على الأفعال بظاهرها فقط، ولكن تمتد إلى النوايا والمقاصد والبواعث التي تحرك هذه الأفعال الظاهرة يقول ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٠٢٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) رواه أحمد بإسناد جيد (١٧٧/٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٠٥) وحسنه.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٥٩٢٨ ٦)، والحاكم (٤٨/١) وقال صحيح الإسناد.

(٥) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

٥- مبادئها تقنع العقل، وترضى القلب والوجدان، فما من نهي شرعي إلا معه مسوغات، ودوافع تبين وجه حرمة، يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. وكذلك الأخلاق الإسلامية تقبلها الفطرة السليمة، ولا يرفضها العقل. ولذلك فإن الأخلاق الإسلامية تمتد علاقتها لتشمل كل نواحي الحياة: فهناك ارتباط وثيق بين العقيدة، والشرعية، والسلوك، والضمير من جهة، والأخلاق من جهة أخرى.

#### الفرع الرابع: مجالات حسن الخلق:

الأخلاق الإسلامية ليست محصورة في نطاق معين من نطاق السلوك البشري، وإنما تمتد مجالاتها لأبعد من ذلك بكثير؛ فإن حسن الخلق كما يكون في معاملة البشر يكون في معاملة الخالق ﷻ. ولذلك فإن مجالات حسن الخلق تنقسم إلى أربعة أقسام:

أولاً: حسنُ الخلقِ في الصلة القائمة بين الإنسان وخالقه ﷻ:

إن الفضيلة الخلقية في هذا القسم تفرض على الإنسان كثيراً من السلوك الأخلاقي تجاه خالقه منها:

١- تلقي أخبار الله بالتصديق: بحيث لا يقع عند الإنسان شك في تصديق

خبر الله تعالى، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].



فكل هذه الأنواع من السلوك أمور تدعو إليها الفضيلة الخلقية، أما دواعي المعصية والكفر بالله تعالى فهي تستند إلى مجموعة من رذائل الأخلاق، منها الكبر، ومنها ابتغاء الخروج على طاعة من تجب طاعته.

٢- عدم الاستجابة لأهواء الأنفس وشهواتها، ومنها نكران الجميل وجحود الحق، ولذلك قال الله عنهم: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢].

ثانياً: حسنُ الخلق في الصلة القائمة بين الإنسان، وغيره من الناس:  
حسن الخلق مع المخلوق عرفه الحسن البصري رحمه الله بقوله: كف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه. قال شيخنا محمد العثيمين رحمه الله: هذه هي الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسنُ الخلق في معاملة الخلق<sup>(١)</sup>.

ففي كف الأذى: أعلن الرسول ﷺ حرمة أذية المسلم بأي نوع من أنواع الأذى، فقال ﷺ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»<sup>(٢)</sup>.

(١) مكارم الأخلاق (ص ١٠) وقد ارتضى تعريف الحسن، ولم يذكر سواء، وشرحه شرحاً جيداً.

(٢) رواه البخاري (١٠)، ومسلم (٤٠).

وبذل الندى: الندى هو الكرم والجود، يعنى أن تكون كريماً جواداً. وهو خُلِقَ أصيلاً من أخلاق الرسول ﷺ. فعن عبد الله بن عباس ؓ قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»<sup>(١)</sup>.

أما طلاقة الوجه: فهي إشراقه حين مقابلة الخلق، وهو ضد العبوس. ولذلك يقول الرسول ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: حسن الخلق في صفات الإنسان الذاتية:

وصور السلوك الأخلاقي في حدود هذا القسم كبيرة فمنها: الصبر على المصائب، والأناة في الأمور، وإتقان العمل، وعدم استعجال الأمور قبل أوانها، وكلُّ ذلك يدخل في حسن إدارة الإنسان لنفسه، وحكمته في تصريف الأمور المتعلقة بذاته<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٢) رواه البخاري (١)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) يُنظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني (١/ ٥٩).



رابعاً: حسنُ الخلقِ في الصلة بين الإنسان، وغيره من المخلوقات:

إن حسن الخلق في الإسلام يمتد ليشمل كل الكائنات الحية، في الرحمة بها والرفق في معاملتها، وتأدية حقوقها الواجبة، ولذلك غفر الله لبِغْيِي في كلب سقته، ودخلت امرأة النار في هرة حبستها. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُذِبَتْ امرأة في هرة حبستها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقته، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض»<sup>(١)</sup>.

ولقد جمع الرسول ﷺ قواعد السلوك الكبرى التي ترشد إلى المنهج الخلقي العام، والشامل لجوانب العلاقة: علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بالناس، فيما رواه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»<sup>(٢)</sup>.

فالقاعدة الأولى: (اتق الله حيثما كنت)، وهي تدعو إلى الواجب الأخلاقي بالنسبة إلى علاقة الإنسان بربه. هو تقوى الله في كل مكان: ظاهر أو خفي، وفيها تكمن الروح الأخلاقية السامية البعيدة عن النفاق، والرياء والسمعة وطلب المدح والثناء.

(١) رواه البخاري (٢٣٦٥)، ومسلم (٢٢٤٣).

(٢) رواه الترمذي (١٩٨٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

القاعدة الثانية: (وأَتبع السيئة الحسنة تمحها)، وهي تدعو إلى الواجب الأخلاقي بالنسبة إلى حسن الخلق في صفات الإنسان الذاتية، ففيها منهجُ إصلاح، وتقويم للنفس البشرية بعد سقوطها بارتكاب رذائل الأخلاق بالعودة إلى محاسن الأخلاق، وهذا يدل على أن لمحاسن الأخلاق قوةً سبقَ على رذائل الأخلاق بعد أن أصاب النفس ما أصابها من أذناس

القاعدة الثالثة: (وخالق الناس بخلق حسن)، وهي تدعو إلى الواجب الأخلاقي بالنسبة إلى علاقة الإنسان وسلوكه مع الناس، أن يكون بالخلق الحسن<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) يُنظر: إنها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق لجمال الزكي (ص ٢٥)، وقد أفدت منه كثيراً في عامة



## المبحث الأول

### ما جاء عن حسن الخلق في القرآن الكريم

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد حفل بآيات كثيرة تتحدث عن الأخلاق، حَسَنُها وقبيحها، بل إن أصول الأخلاق قد حواها القرآن، يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي: وبالجمللة: فالمصالح التي عليها مدار الشرائع ثلاثة، وذكر منها: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، المعروف عند أهل الأصول بالتحسينيات والتتميمات.. وقد جاء القرآن بذلك بأقوم الطرق وأعدّها. والحض على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كثيرٌ جداً في كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ. ولذلك لما سئلت عائشة عن خلقه ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»؛ لأن القرآن يشتمل على جميع مكارم الأخلاق. والله تعالى يقول في نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: ٤]. فدل مجموع الآية، وحديث عائشة على أن المتصف بما في القرآن من مكارم الأخلاق: يكون على خلق عظيم، وذلك لعظم ما في القرآن من مكارم الأخلاق<sup>(١)</sup>. واستيعاب كل ما ورد في القرآن في هذه الدراسة من الصعوبة بمكان، وحسب الباحث أن يورد آيتين منها:

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣ / ٤٧)

المطلب الأول: في قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]:

قال الإمام جعفر الصادق: أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية<sup>(١)</sup>.

وقال العلامة الكيا الهراسي: أمر الله بمراعاة مكارم الأخلاق، ومداراة الناس، والعفو هو التسهيل والتيسير، فالمعنى استعمال العفو، وقبول ما سهل من أخلاق الناس، وترك الاستقصاء عليهم في المعاملات، وقبول العذر ونحوه<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الزبير رضي الله عنه: ما نزلت هذه الآية إلا في أخلاق الناس.

وقال ابن عمر رضي الله عنه: أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما عُفِيَ لك من مكارم الأخلاق<sup>(٣)</sup>.

وقال مجاهد: في قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ قال: من أخلاق الناس،

وأعمالهم من غير تحسس<sup>(٤)</sup>.

(١) يُنظر: الكشف والبيان للثعلبي (١/ ٩٤٨)، الجامع لأحكام القرآن القرطبي (٧/ ٣٤٥)

(٢) يُنظر: أحكام القرآن (٣/ ١٨)

(٣) يُنظر: الدر المنثور (٤/ ٣٩٢)

(٤) رواه الطبري (١٣/ ٣٢٧)، والنحاس في معاني القرآن (٣/ ١١٩) وعند النحاس: تحسس وهما بمعنى. و(تحسس الشيء) تبحثه وتطلبه، كأنه يعني الاستقصاء في الطلب.





يقول العلامة ابن القيم: مثل قبول الأعذار، والعفو، والمساهلة، وترك الاستقصاء في البحث والتفتيش عن حقائق بواطنهم<sup>(١)</sup>.

قال العلامة السعدي: هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل، أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال، وتنشرح له صدورهم. ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حثا على خير، من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأيا مصيبا، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجرا عن قبيح، أو إرشادا إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله فلا تؤذه، ومن حرمك فلا تحرمه، ومن قطعك فصله،

(١) يُنظر: مدارج السالكين (٢ / ٣٠٥)

ومن ظلمك فاعدل فيه<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

**المطلب الثاني: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الزلم: ٤]:**

قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن أبزى، والسدي، والريعي  
ابن أنس، والضحاك، وابن زيد: على دين عظيم.

وقال عطية العوفي: على أدب القرآن.

وقال أبو مالك: الإسلام<sup>(٢)</sup>.

وقال الماوردي: على طبع كريم، ثم قال: وهو الظاهر<sup>(٣)</sup>. وفي وصية  
الحكماء: عليك بالخلق مع الخلق، وبالصدق مع الحق، وحسن الخلق خير كله.  
وقيل: وصف خلقه بالعظم إشارة إلى أنه كان يؤدي كل مقام من رفق، وغلظ  
حقه، فكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، وكان يغلظ على الكفار وينتقم لله سبحانه<sup>(٤)</sup>.  
قال العلامة ابن القيم: سُمي الدين خُلُقاً؛ لأن الخُلُقَ هيئة مركبة من علوم

(١) يُنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٣١٣).

(٢) يُنظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ١٨٨)، الدر المنثور للسيوطي (١٠ / ٧٣).

(٣) يُنظر: النكت والعيون (٤ / ٣٠٦).

(٤) يُنظر: دليل الفالحين لابن علان (٥ / ٨٢).



صادقة، وإرادات زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة، موافقة للعدل، والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أذكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها، فهذه كانت أخلاق رسول الله ﷺ المقتبسة من مشكاة القرآن فكان كلامه مطابقاً للقرآن، تفصيلاً له وبياناً، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه، وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه، والجهاد في إقامته، فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول ﷺ وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها: «كان خلقه القرآن» وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى<sup>(١)</sup>.

ويقول العلامة الطاهر ابن عاشور: والخلق العظيم: هو الخلق الأكرم في نوع الأخلاق، وهو البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان؛ لاجتماع مكارم الأخلاق في النبي ﷺ، فالخلق العظيم: أرفع من مطلق الخلق الحسن، فكما جعل الله رسوله ﷺ على خلق عظيم، جعل شريعته لحمل الناس على التخلق بالخلق العظيم بمنتهى الاستطاعة. وبهذا يزداد وضوحاً معنى التمكن الذي أفاده

(١) يُنظر: التبيان في أقسام القرآن (ص ١٣٢)

حرف الاستعلاء في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، فهو متمكنٌ منه الخُلُق العظيم في نفسه، ومتمكنٌ منه في دعوته الدينية.

واعلم: أن جماع الخُلُق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة، والمعاشرة. والأخلاق كامنَةٌ في النفس، ومظاهرها: تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحركته وسكونه، وطعامه وشرابه، وتأديب أهله، ومن تحت نظره، وما يترتب على ذلك من حرمة عند الناس، وحسن الشئاء عليه والسمعة. وأما مظاهرها في رسول الله ﷺ ففي ذلك كله، وفي سياسته أُمته، وفيما خص به من فصاحة كلامه، وجوامع كلمه<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) يُنظر: التحرير والتنوير (٢٩ / ٦٠) بتصرف.



## المبحث الثاني

### ما جاء من اتصاف النبي ﷺ بحسن الخلق ودعائه به

لقد كان رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله بالرسالة العظمى في الذروة العليا من الأخلاق الحسنة صدقاً، وأمانة، وكرماً، وحلماً، وشجاعة، وعفة، وقناعة، وغير ذلك من الصفات التي يحظى بالإجلال والإكبار من حصل على واحدة منها، فضلاً عما جمعت له، وتوافرت فيه. ولما بعثه الله سبحانه بالنور والهدى إلى الثقلين: الجن والإنس زاده الله قوة في هذه الخصال الحميدة إلى قوته، حتى بلغ الحد الأعلى الذي لا يمكن أن يصل إليه إنسان<sup>(١)</sup>.

قال الحلیمی: وإنما وصف خلقه بالعظيم، مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم، لأن كرم الخلق يراد به السماحة والدمائة، ولم يكن خلقه ﷺ مقصوراً على ذلك، بل كان رحيماً بالمؤمنين، رفيقاً بهم شديداً على الكفار، غليظاً عليهم، حبيباً في قلوب الأحياء، مهيباً في صدور الأعداء، منصوراً بالرعب منهم على مسيرة شهر، فكان وصف خلقه بالعظيم أولى؛ ليشمل الإنعام والانتقام<sup>(٢)</sup>. وكان

(١) يُنظر: من أخلاق الرسول الكريم للعباد (ص ٢٩).

(٢) يُنظر: سبل الهدى والرشاد للصالحی (٧/ ١٣).

النبي ﷺ يدعو ربه بأن يُحسِّن خُلُقَه وهو أحسن الناس خلقاً، ومن ذلك كثرة الآيات القرآنية بموضوع الأخلاق: أمراً بالجدِّ منها، ومدحاً للمتصفين بها، ومع المدح الثواب، ونهياً عن الرديء منها، وذمماً للمتصفين بها، ومع الذم العقاب، ولا شك أن كثرة الآيات في موضوع الأخلاق دليلٌ على أهميتها<sup>(١)</sup>. وسأورد عدداً من الأحاديث التي تناسب هذا المبحث:

الأول: عن البراء أنه قال: «كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناس وجهاً، وأحسنَه خُلُقاً، ليس بالطويلِ الذاهب، ولا بالقصير»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: قوله: وأحسنه خلقاً بفتح المعجمة للأكثر، وضبطه ابن التين بضم أوله، ووقع في رواية الإسماعيلي بالشك (وأحسنه خُلُقاً أو خُلُقاً) ويؤيده قوله قبله: (أحسن الناس وجهاً) فإن فيه إشارة إلى الحسن الحسي فيكون في الثاني إشارة إلى الحسن المعنوي<sup>(٣)</sup>.

وقال المناوي: كان أحسن الناس وجهاً حتى من يوسف، وقال السيوطي:

(١) يُنظر: مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار للسلمان (٢ / ٦٤).

(٢) رواه البخاري (٣٥٤٩)، ومسلم (٦١٣٦)، والبيهقي في الدلائل (١ / ١٢٥) من طريق أبي إسحاق به.

(٣) فتح الباري (٦ / ٥٧١).



من خصائصه أنه أوتي كل الحسن، ولم يؤت يوسف إلا شطره<sup>(١)</sup>.  
الثاني: عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً»<sup>(٢)</sup>.

قال المناوي: لحيازته جميع المحاسن، والمكارم، وتكاملها فيه، وكمال الخلق ينشأ عن كمال العقل؛ لأنه الذي يقتبس به الفضائل وتجنب الرذائل<sup>(٣)</sup>.  
وقال شيخنا محمد العثيمين: حسنُ الخلق يكون مع الله، ويكون مع عباد الله: أما حسنُ الخلق مع الله فهو: الرضا بحكمه شرعاً وقدرًا، وتلقّي ذلك بالانشراح، وعدم التضجر، وعدم الأسى والحزن. وأما مع الخلق: فيحسن الخلق معهم بما قاله بعض العلماء: كف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه،

- 
- (١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٤٦)، فيض القدير (٥/ ٨٩)  
(٢) رواه ابن أبي شيبة (٤٠٤٢)، وأحمد (١٢٢٢٣)، والبخاري (٦١٢٩)، والأدب المفرد (٢٦٩)، ومسلم (١٤٤٥)، وابن ماجه (٣٧٢٠)، والترمذي (٣٣٣)، والشمائل (٢٣٦)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٣٣٤)، وابن حبان (٢٣٠٨) كلهم من طرق عن أبي التياح عن أنس، فذكره. مختصرًا، ومطولًا. ورواه مسلم (٦١٢٣)، والترمذي (٢٠١٥)، والشمائل (٣٤٥) من طريق جعفر الضبيعي، عن ثابت، فذكره مطولًا. ورواه مسلم (٦٠٨١)، وأبو داود (٤٧٧٣) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: قال أنس، فذكره.  
(٣) التيسير (٢/ ٤٤٧)، فيض القدير (٥/ ٩٠)

وهذا كله من حسن الخلق مع الناس<sup>(١)</sup>.

الثالث: عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت: أخبريني عن خلق

رسول الله ﷺ؟ فقالت: «كان خلقه القرآن»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير: ومعنى هذا أنه، ﷺ، صار امتثال القرآن، أمراً

ونهيًا، سجية له، وخلقاً تطبعه، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما

نهاه عنه تركه. هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم

والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل.

وشرع له الدين العظيم الذي لم يشرعه لأحد قبله، وهو مع ذلك خاتم

النبين، فلا رسول بعده، ولا نبي ﷺ، فكان فيه من الحياء والكرم والشجاعة

والحلم والصفح والرحمة وسائر الأخلاق الكاملة ما لا يجد ولا يمكن وصفه<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح رياض الصالحين (١ / ٦٥٦)

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٤١)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٩٢)، وأبو داود (١٣٤٢)، وابن ماجه

(٢٣٣٣)، والنسائي (٣ / ١٩٩)، وابن خزيمة (١١٢٧)، وابن سعد (١ / ٣٦٤)،

والطحاوي في مشكل الآثار (٣٧٩٣)، والطبراني في مسند الشاميين (١٩٦٣)، والبيهقي

(٣ / ٣٠)، ودلائل النبوة (١ / ٣٠٨) كلهم من طرق عن سعد بن هشام به مختصراً،

ومطولاً. وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٣) يُنظر: تفسير ابن كثير (٨ / ١٨٩)، البداية والنهاية (٦ / ٣٩) بتصرف من المصدرين.





وقال الحافظ ابن سيد الناس: يعنى التأدب بآدابه والتخلق بمحاسنه، والالتزام لأوامره وزواجره<sup>(١)</sup>. فكما أن معاني القرآن لا تتناهى، فكذلك أوصافه الحميدة الدالة على حسن خلقه العظيم لا تتناهى، إذ في كل حال من أحواله يتجدد له الكثير من مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، وما يفيضه الله ﷻ عليه من معارفه وعلومه، مما لا يعلمه إلا الله تعالى، فإذا تعرض لحصر جزئيات أخلاقه الحميدة تعرض لما ليس من مقدور الإنسان، ولا من إمكانات عادته<sup>(٢)</sup>.

الرابع: عن يزيد بن بابتوس قال: دخلنا على عائشة فقلنا يا أم المؤمنين ما كان خلق رسول الله ﷺ؟ قالت: «كان خلقه القرآن تقرأون سورة المؤمنين؟». قالت: اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] قال يزيد: فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى ﴿لِفُرُوجِهِمْ حَفِظُونَ﴾ قالت: «كان خلق رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

(١) عيون الاثر (٢ / ٤٢١)، ويُنظر: النهاية لابن الأثير (٢ / ١٤٤)

(٢) يُنظر: سبل الهدى والرشاد (٧ / ١٥) وقد حكاه عن البعض.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٣٠٨)، والنسائي في الكبرى (٢ / ٩٦)، والحاكم (٢ / ٣٩٣) والبيهقي في الدلائل (١ / ٣٠٩) من طريق جعفر عن أبي عمران الجوني عن يزيد به. وهذا إسناد ضعيف؛ لحال يزيد بن بابتوس. وقال ابن حجر: مقبول. أي حيث يتابع، ولم يتابع هنا، إلا أنه يشهد للشطر الأول منه ما سبق ذكره آنفاً. الميزان (٤ / ٤٢٠)، التقريب (٧٦٩٤).

قال الطحاوي: وهذا أيضاً أحسن ما يكون الناس عليه؛ لأنه لا شيء أحسن من آداب القرآن، فكان رسول الله ﷺ على ذلك غير خارج عنه إلى ما سواه<sup>(١)</sup>.

ويقول العلامة ابن القيم: وإنما يُدرك إمكان اكتساب الأخلاق في ثلاثة أشياء: في العلم، والجود، والصبر، فالعلم: يرشده إلى مواضع بذل المعروف، والفرق بينه وبين المنكر، وترتيبه في وضعه مواضعه، فلا يضع الغضب موضع الحلم، ولا بالعكس، ولا الإمساك موضع البذل، ولا بالعكس. بل يعرف مواقع الخير والشر ومراتبها، وموضع كل خُلُق أين يضعه، وأين يحسن استعماله. والجود: يبعثه على المسامحة بحقوق نفسه، والاستقصاء منها بحقوق غيره، فالجود: هو قائد جيوش الخير. والصبر: يحفظ عليه استدامة ذلك، ويحمله على الاحتمال، وكظم الغيظ، وكف الأذى، وعدم المقابلة، وعلى كل خير<sup>(٢)</sup>.

الخامس: عن جبير بن نفير قال: دخلت على عائشة، فسألتها عن خُلُق

رسول الله ﷺ؟. «ف قالت: القرآن»<sup>(٣)</sup>.

(١) يُنظر: شرح مشكل الآثار (١١ / ٢٦٥)

(٢) يُنظر: مدارج السالكين (٢ / ٢٤٤).

(٣) رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي (٨) من طريق أبي الزاهرية عن جبير فذكره. وهذا إسناد صحيح.



السادس: عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت..»<sup>(١)</sup>.

قوله: واهدني: أي دلني ووفقني وثبتي وأوصلني لأحسن الأخلاق في عبادتك وغيرها من الأخلاق الظاهرة والباطنة؛ فإنك أنت الهادي المطلق، وعجز الخلق أمر محقق، وأبعدني وامنعني واحفظني من سيء الأخلاق، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، فإن غيرك غير قادر علي شيء.

قال العلامة ابن القيم: فدل على أن من الخلق: ما هو طبيعة وجبلة، وما هو مكتسب.. فذكر الكسب والقدر والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

السابع: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». وفي رواية: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه أحمد (٧١٧)، والدارمي (١٢٣٨)، والبخاري في جزء رفع اليدين (١)، ومسلم (١٧٦٢)، وأبو داود (٧٤٤)، وابن ماجه (٨٦٤)، والترمذي (٢٦٦)، والنسائي (١٢٩/٢)، والكبرى (٦٤١)، وابن خزيمة (٤٦٢) كلهم من طرق عن الأعرج، عن عبيد الله بن أبي رافع، عن علي فذكره.

(٢) يُنظر: مدارج السالكين (٢/ ٣١٥)، مرقاة المفاتيح للملا علي القاري (٣/ ٣٣٦).

(٣) رواه أحمد (٨٩٣٩)، والبخاري في الأدب (٢٧٣)، والتاريخ الكبير (٨٣٥)، وابن سعد =

إن مكارم الأخلاق من الأمور التي حض عليها الدين الإسلامي، ومن الأوصاف التي دعت الشريعة إلى التحلي بها، فمن أوتي الخُلُق الحسن، فقد أوتي الخير كله. ولا تُذكر مكارم الأخلاق، إلا واقرن بها اسم النبي ﷺ، أحسن الناس خُلُقاً، من أدبه الإله ورباه، وبكل خُلُقٍ حسنٍ حباه، من جالسه سَعِدَ بمجالسته، ومن رافقه نَعِمَ بمرافقته، ومن صَحِبَه ارتاح لصحبته، ثَبَّتَ اللهُ قلبه، وسَدَّدَ كلامه، وحفظ له عينه ولسانه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه<sup>(١)</sup>.

قال أبو الوليد الباجي: يحتمل أن يريد به بُعثت بالإسلام لأتم شرائعه وحسن هديه، وزيه وسمته: حسن الأخلاق؛ لأن العرب، وإن كانت أحسن الناس أخلاقاً، بما بقي عندهم مما تقدم من الشرائع قبلهم، فقد كانوا أضلوا بالكفر عن كثير منها، ومنها ما خص به نبينا ﷺ فتتم بالأمرين محاسن الأخلاق<sup>(٢)</sup>.

= (١/ ١٩٢)، والطحاوي في المشكل (٣٧٩٠)، والفاكهي في حديثه (٢٨٥)، وعنه ابن بشران في أماليه (٧٥٤)، والأصبهاني في مجلس في رؤية الله (٧٥٥)، والبزار (٨٩٤٩)، والبرجلاني في الكرم (١)، ومن طريقه ابن عساكر (٢٥٢/ ١٩)، وتمام (٢٧٦)، والحاكم (٢/ ٦٧٠)، والبيهقي (٢١٣٠١)، والخطيب في الجامع (٤١)، والفقيه (٨٧٩)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/ ٣٣٣)، والقضاعي (١١٦٥) من طريق أبي صالح، فذكره. قال ابن عبد البر: صحيح.

(١) يُنظر: شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد (٢٧/ ٣٧٢)

(٢) يُنظر: المنتقى شرح الموطأ (٤/ ٢٩٢)



الثامن: عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «إنه من أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»<sup>(١)</sup>.

قال أبو حامد الغزالي: اعلم أن الرفق محمود، ويضاده: العنف والحدة، والعنف: نتيجة الغضب، والفظاظة، والرفق واللين: نتيجة حسن الخلق، والسلامة، وقد يكون سبب الحدة الغضب، فالرفق في الأمور ثمرة لا يثمرها إلا حسن الخلق، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة وحفظهما على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق، وبالعنف فيه<sup>(٢)</sup>.

وقال المناوي: من أعطي حظه من الرفق، أي نصيبه منه، فقد أعطي حظه من الخير، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من الخير كله إذ به تُنال المطالب الأخروية والدنيوية، وبفوته يفوتان<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه أحمد (٢٥٢٩٨) من طريق محمد بن مهزم، عن عبد الرحمن بن القاسم، وعبد بن حميد (١٥٢٣١) من طريق القاسم بن محمد عن عائشة به. وإسناده صحيح. قال الهيثمي (١٥٣/٨): رجاله ثقات.

(٢) إحياء علوم الدين (٣٢١/٤) بتصرف.

(٣) يُنظر: التيسير (٧٧٨/٢)، فيض القدير (٩٧/٦).

### المبحث الثالث

#### ما جاء في مكانة حسن الخلق في الإسلام

إن حسن الخلق أمرٌ لازمٌ، وشرطٌ لا بد منه؛ للنجاة من النار، والفوز بالجنة، وإهمال هذا الشرط لا يغني عنه الصلاة والصيام. فحسن الخلق له مكانته العالية في شريعة الإسلام، وسيرة خير الأنام عليه الصلاة والسلام، ولو لم يرد عنه إلا قوله الآتي: (البر حسن). فهذا يدل على أن حسن الخلق، ركن الإسلام العظيم الذي لا قيام للدين بدونه كالوقوف بعرفات بالنسبة للحج، فقد جاء عنه ﷺ أنه قال: (الحج عرفة) أي أنه ركن الحج العظيم الذي لا يكون الحج إلا به.

قال ابن دقيق العيد: ومعنى قوله (الدين النصيحة) أي عماد الدين وقوامه: النصيحة، كقوله (الحج عرفة) أي عماده ومعظمه<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: يعني: أن حسن الخلق أعظم خصال البر، كما قال (الحج عرفة)<sup>(٢)</sup> وحسبنا أن ندلل على هذا الأصل بسياق بعض النصوص<sup>(٣)</sup>:

(١) يُنظر: شرح الأربعين (ص ٣١).

(٢) يُنظر: شرح الأربعين (ص ٧١).

(٣) يُنظر: مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار للشيخ السلطان (٢ / ٦٤).



الأول: عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»<sup>(١)</sup>.

قال العلامة ابن القيم: قابل البر بالإثم، وأخير: أن البر: حسن الخلق، والإثم: ما حاك في الصدر، وهذا يدل على أن حسن الخلق: هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان، وشرائع الإسلام؛ ولهذا قابله بالإثم، فدل على أن حسن الخلق: طمأنينة النفس، والقلب، والإثم: ما حاك فيها واسترابت به، وهذا غير حسن الخلق، وسوئه في عرف كثير من الناس<sup>(٢)</sup>.

قال العلماء: البر: يكون بمعنى الصلة، وبمعنى اللطف، والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة، وهذه الأمور هي: مجامع حسن الخلق<sup>(٣)</sup>.

---

(١) رواه أحمد (١٧٧٨١)، والدارمي (٢٧٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٩٥)، ومسلم (٦٦٠٨)، والترمذي (٢٣٨٩) كلهم من طرق عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي، عن أبيه، عن النواس، فذكره. وهذا لفظ مسلم. ورواه أحمد (١٧٧٨٢). والدارمي (٢٧٨٩) كلاهما من طريق يحيى بن جابر القاضي، فذكرهن وفيه (وكرهت أن يعلمه الناس).

(٢) يُنظر: مدارج السالكين (٢ / ٣٠٦) بتصرف.

(٣) يُنظر: شرح النووي على مسلم (١٦ / ١١١).

وقال ابن علان: أي معظم البر: حسن الخلق: أي التخلق، فالحرص فيه مجازي كما في قوله (الحج عرفة)، و(الدين النصيحة)، وهذا راجع لقول بعضهم: هو الإنصاف في المعاملة والرفق في المجادلة، والعدل في الأحكام، والبذل والإحسان في اليسر، والإيثار في العسر، وغير ذلك من الصفات الحميدة<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ عطية سالم: قال عليه السلام: «البر حسن الخلق»، وقال: «بعثت لأتم مكارم الأخلاق»، فحسن الخلق هو الرسالة المحمدية، قال الله: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ [البقرة: ١٧٧] الذي هو: حسن الخلق ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا<sup>ط</sup> وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ<sup>ط</sup> أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا<sup>ط</sup> وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، شهادة من الله بأنهم صدقوا في إيمانهم، وصدقوا في أعمالهم، وصدقوا في أقوالهم، فقال: ﴿ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، فأركان الإيمان كلها في هذا البر، ثم ذكر فروع وأركان الإسلام، ثم ذكر مكارم الأخلاق من الصبر في البأساء والضراء وحين البأس، ثم تأتي شهادة الله لهم

(١) يُنظر: دليل الفالحين (٥ / ٢٥)، فتح القوي المتين للعباد (ص ٨٠).





بالصدق، فهذه الآية: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى آخر تلك الصفات هي البر، ولو قابلت قوله: «حسن الخلق»، بقوله سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾، لحلت محل حسن الخلق، فالبر حسن الخلق، والآية ذكرت الإيمان والعقائد والأعمال الصالحة والأقوال الطيبة ومكارم الأخلاق، فكل هذه الصفات تدخل في الآية، فيكون حسن الخلق عنواناً لكل ما جاءت به الشريعة الإسلامية، ومصدق هذا قوله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(١)</sup>.

الثاني: عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجات قائم الليل، صائم النهار»<sup>(٢)</sup>.

قال الطحاوي: إنه يدرك بحسن دينه، وإن لم يكن معه فيه قيام الليل ولا

(١) يُنظر: شرح الأربعين النووية (ص ٦٠) بتصرف يسير.

(٢) رواه أحمد (٢٤٦٣٩)، وأبو داود (٤٧٩٨)، وابن أبي الدنيا في التواضع (١٦٦)، ومداواة الناس (٨٠)، والطحاوي في المشكل (٣٧٨٥)، وابن حبان (٤٨٠)، والحاكم (٦٠١)، والبيهقي في الشعب (٢٣٦/٦)، وابن عبد البر في التمهيد (٨٥ / ٢٤)، والخطيب في موضع الأوهام (٣١٠ / ٢)، والكلاباذي في بحر الفوائد (٢٠٦)، والبغوي في شرح السنة (٣١٣/٦) من طريق عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن عائشة به. وإسناده حسن؛ لحال المطلب، والصحيح أنه سمع من عائشة، قال أبو حاتم في المراسيل (ص ١٢٨): قال أبو زرعة: نرجو أن يكون سمع منها.

صيام النهار ما يدركه قائم الليل، وصائم النهار بقيام الليل، وصيام النهار.

وقال الكلاباذي: الصائم والقائم: يجاهدان أنفسهما؛ إذ النفس حظها واستمتاعها بالمطاعم والشراب والنكاح، والصائم يُمنع عن هذه الأشياء، والنفس أمّارةٌ بالسوء، تدعو إلى هذه، وبهذه الأشياء تتقوى هذه النفس، بالنوم تربو وتنمو، والقيام يمنع النوم، والصائم والقائم يجاهد كل واحد منهما نفسه، ومن جمعهما فإنما يجاهد نفساً واحدة، فيعظم قدره، وتعلو رتبته بمجاهدته نفسه.

ومن حَسَّن خُلُقَه، فإنما يجاهد نفسه في تحمل أثقال مساوئ أخلاق الناس؛ لأنَّ الحَسَنَ الخُلُقَ هو: الذي لَا يُحْمَلُ غيره ثقله، ويتَحَمَّلُ أثقالَ غيره، وهو جهادٌ كبير، فأدرك هذا بحسن خلقه: درجة الصائم القائم؛ لأنه يجاهد نفسه كما يجاهدها الصائم القائم، فاستويا في الرتبة لاستوائهما في الفعل الذي هو مجاهدة النفس<sup>(١)</sup>.

وقال ابن علان: أي ليلِغ بحسن خلقه الداعي له إلى التحلي بالمحامد والتخلي عن المذام أعلى الدرجات، فإن أعلى درجات الليل درجات القائم في التهجد، وأعلى درجات النهار، درجات الصائم في حر الهواجر<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو حامد الغزالي: ولا يتم لرجل حسن خلقه، حتى يتم عقله، فعند

(١) بحر الفوائد (ص ٢٠٦) بتصرف يسير.

(٢) دليل الفالحين (٥ / ٩٠)، ويُنظر: فيض القدير للمناوي (٢ / ٤٢٨).



ذلك يتم إيمانه، ويطيع ربه، ويعصي عدوه إبليس<sup>(١)</sup>.

الثالث: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثر ما يلج به الإنسان النار الأجوفان: الفم، والفرج، وأكثر ما يلج به الإنسان الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم: جمع النبي ﷺ بين تقوى الله، وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى

(١) فيض القدير (٢/ ٤٢٨)

(٢) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وابن حبان (٤٧٦)، والبيهقي في الشعب (٥٠٢٥) من طريق عبد الله بن إدريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة فذكره. قال الترمذي: حديث صحيح غريب، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي. ورواه ابن ماجه (٤٢٤٦) من طريق هارون ابن إسحاق وعبد الله بن سعيد، والبغوي في شرح السنّة (٣٤٩٨) من طريق أحمد بن عبد الله بن حكيم، ثلاثتهم عن ابن إدريس قال: سمعت أبي وعمي يذكران عن جدي... بهذا الإسناد. وعم ابن إدريس هو داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي أبو يزيد، ضعفه الحافظ في التقريب، لكنه متابع بأخيه إدريس. ورواه أحمد (٧٨٩٤)، والبخاري في الأدب (٢٩٤)، والبغوي في شرح السنّة (٣٤٩٧) من طريق داود بن يزيد عم عبد الله بن إدريس، عن أبيه يزيد جد ابن إدريس، عن أبي هريرة فذكره. ويزيد، وثقه العجلي، وابن حبان. وروى عنه جماعة، وباقي رجاله ثقات، فالسند حسن. كما قاله الألباني، والأرناؤوط. الثقات (٥٤٢/ ٥)، تهذيب الكمال (٨٦/ ٣٢)، الكاشف (٦٣٣٤).

الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته<sup>(١)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فيدخل في تقوى الله: حفظ الفرج، وغض البصر، ويدخل في حسن الخلق: الإحسان إلى الخلق، والامتناع من إيذائهم، وذلك يحتاج إلى الصبر، والإحسان إلى الخلق يكون عن الرحمة<sup>(٢)</sup>.

الرابع: عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في الميزان من خُلِقَ حسن»<sup>(٣)</sup>.

الخامس: عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيمٌ ببیت في ربض الجنة لمن ترك المراء، وإن كان محققاً، وببيتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب،

(١) الفوائد (ص ٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥ / ٣٨٨).

(٣) رواه أحمد (٢٨٠٤٤)، وعبد بن حميد (٢٠٤)، والبخاري في الأدب (٢٧٠)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣) من طريق عطاء بن نافع الكيخاراني، عن أم الدرداء، فذكرته.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. ورواه عبد الرزاق (٢٠١٥٧)، والحميدي (٣٩٣)، وأحمد (٢٨١٠٤)، وعبد بن حميد (٢١٤)، والبخاري في الأدب (٤٦٤)، والترمذي (٢٠٠٢) من طريق ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك، عن أم الدرداء، فذكرته بنحوه. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»<sup>(١)</sup>.

قوله: ربض الجنة هو بفتح الباء: ما حولها خارجاً عنها، تشبيهاً بالأبنية التي تكون حول المدن، وتحت القلاع، وفي قوله: «وبيت في أعلى الجنة» شرف كل من ترك الكذب وحسن الخلق على ما قبله، وقوله: «لمن حسن» بتشديد السين المهملة، وفي الإتيان به بصيغة التفعيل إيماء إلى مشقة التخلق بذلك، والاحتياج فيه إلى مزاوله النفس.

قال ابن القيم: فجعل البيت العلوي جزاءً لأعلى المقامات الثلاثة: وهي حسن الخلق والأوسط لأوسطها وهو ترك الكذب، والأدنى لأدناها، وهو ترك الممارسة، وإن كان معه حق، ولا ريب أن حسن الخلق مشتمل على هذا كله<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٢)، والطبراني في الكبير (٧٤٨٨)، والأوسط (٤٦٩٣)، ومسند الشاميين (١٥٩٤)، وتمام في فوائده (٣٤٣)، والدولابي في الكنى (١٢١٦)، و (١٤١٩)، والبيهقي (٢٤٩/١٠)، والشعب (٨٠١٧)، والآداب (٣٢٢)، وابن البخاري في مشيخته (٦٠٩)، و (٦١٠)، والخطيب في المتفق والمفترق (٢٣٣)، وابن عساكر في التاريخ (١٠/١٢٨، ١٣١) من طريق أيوب بن محمد السعدى عن سليمان المحاربى عن أبى أمامة فذكره. قال النووي في رياض الصالحين (٣٦٤): إسناده صحيح.

(٢) يُنظر: النهاية (٢/٤٦٠)، دليل الفالحين (٥/٩١)، مدارج السالكين (٢/٣٠٧).

## المبحث الرابع

ما جاء في أن حسن الخلق مما تستجلب به محبة الله ، ومحبة رسوله ﷺ

المؤمنون يتفاوتون في الظفر بحب الله جلّ وعلا، وبحب رسوله ﷺ،  
والقرب منه يوم القيامة، وأكثرهم ظفراً بحبه، والقرب منه الذين حسنت  
أخلاقهم، وقد وردت بعض النصوص التي توضح هذا الأصل<sup>(١)</sup>، منها ما يلي:  
الأول: عن مسروق قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن عمرو، يحدثنا، إذ قال:  
«لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً، ولا متفحشاً»، وإنه كان يقول: «إنّ خياركم:  
أحسنكم أخلاقاً». وفي رواية: إن رسول الله ﷺ: «لم يكن فاحشاً، ولا  
متفحشاً». وقال: «إنّ من أحبكم إليّ: أحسنكم أخلاقاً»<sup>(٢)</sup>.

(١) يُنظر: مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار للسلمان (٢ / ٦٤).

(٢) رواه أحمد (٦٥٠٤)، والبخاري (٣٥٥٩)، والأدب (٢٧)، ومسلم (٦١٠٣)، والترمذي  
(١٩٧٥)، والبيهقي في الشعب (٧٩٨٥)، والآداب (١٥٢) كلهم من طرق عن الأعمش  
عن أبي وائل عن مسروق عن عبد الله بن عمرو فذكره. ورواه البزار (١٧٢٣) من طريق  
عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله، فذكره. ورواه أحمد (٧٠٣٥)، والبخاري في الأدب  
(٢٧٢)، وابن حبان (٤٨٥)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٥)، والبيهقي في الشعب  
(٧٩٨٦) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فذكره. وهذا إسناد حسن، لحال  
عمرو بن شعيب. قال الهيثمي (٢١ / ٨): إسناده جيد.



الثاني: عن أسامة بن شريك قال: سئل رسول الله ﷺ: «ما خير ما أُعطي الناس؟ قال: «خلقٌ حسن». وفي رواية: «من أحب عباد الله إلى الله تعالى؟ قال: «أحسنهم أخلاقاً»<sup>(١)</sup>.

الثالث: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوطَّوْنُ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ الْمَشَاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ، الْمُتَمَسِّمُونَ لِلْبَرَاءِ الْعَنْتِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود الطيالسي (١٣٢٩)، وأحمد (١٨٤٧٧)، ومسدد كما في إتحاف الخيرة (٥١٩٩)، والحميدي (٨٢٤)، وابن أبي شيبة (٢٥٣١٤)، والبخاري في الأدب (٢٩١)، والنسائي في الكبرى (٧٥٥٣)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، والطبراني في الكبير (٤٦٣)، والأوسط (٦٣٨٠)، وابن حبان (٤٨٦)، والحاكم (٤٤٣/٤) وصححه، والبيهقي (٣٤٣/٩)، والشعب (٢٣٤/٦)، والضياء (١٣٨٣) كلهم من طرق عن زياد بن علاقة، عن أسامة فذكره. وهذا حديث صحيح، صححه الحاكم، والضياء، والمنذرى، والذهبي، والهيتمي، والبوصيري. الترغيب والترهيب (٢٧٤/٣)، مجمع الزوائد (٥٤/٨)، مصباح الزجاجة (٤٩/٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة (١١٨)، والصمت (٢٥٣)، ومداراة الناس (١٤٦)، وابن عدي (٦٣/٤)، والطبراني في الأوسط (٧٦٩٧)، والصغير (٨٣٥)، والآجري في مجلس في رؤية الله (٥١٥)، ومن طريقه ابن بشران في أماليه (٥١٣)، والثعلبي في الكشف والبيان (١١/١٠)، والرافعي في التدوين (١١٧/٣) كلهم من طريق صالح المري، عن=

الرابع: عن أبي ثعلبة الخشني قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ، مُحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ، مَسَاوِيئُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرَثَارُونَ، الْمُتَفِيهِقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ»<sup>(١)</sup>.

= سعيد الجريري، عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة به. وهذا إسناد ضعيف؛ لحال صالح ابن بشير المري. قال العراقي: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي: فيه صالح بن بشير المري، وهو ضعيف. قلت: ولكن يشهد له حديث أبي ثعلبة الآتي بعد، فيصير به حسنًا. تخريج أحاديث الإحياء (٣/ ٣٢)، المجمع (٨/ ٢١)

(١) رواه أحمد (١٧٧٦٧)، وابن أبي شيبة (٢٥٨٢٩)، وابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (١٧٧)، ومداراة الناس (٨٨)، وهناد في الزهد (١٢٥٥)، والحارث بن أبي أسامة (٨٤١)، والطبراني في الكبير (٥٨٨)، ومسند الشاميين (٤/ ٣٣٧)، وابن حبان (٤٨٢)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٨٨)، ومعرفة الصحابة (١٥٧٢)، والأربعين (٢٠)، والخرائطي في مكارم الأخلاق (٢٣)، والخطيب في الفقيه (٨٨٤)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٧٠٨٢)، والبيهقي (١٠/ ١٩٣)، والشعب (٦/ ٢٣٤)، وابن عساكر في معجمه (٣٥٨)، والبغوي في شرح السنة (٣٣٩٥) كلهم من طرق عن داود بن أبي هند، عن مكحول، عن أبي ثعلبة فذكره. مطولاً ومختصراً. وجاء من وجه آخر: رواه وكيع في الزهد (٤١٨) عن أيمن بن نابل أبي عمران، عن مكحول مرسلاً مختصراً. قال ابن عساكر: هذا حديث حسن على انقطاعه بين مكحول وأبي ثعلبة. وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٤٦): رجال أحمد رجال الصحيح. قلت: والأمر كما قالوا، فإن رجاله ثقات على شرط مسلم، إلا أن مكحولاً لم يسمع من أبي ثعلبة. إلا أن له شواهد يصير بها حسنًا لغيره: فقد رواه الترمذي (٢٠١٨)، =





قوله: الموطئون أكنافاً: يقال: فلان موطأ الأكناف أي أن ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى، من التوطئة وهي التذليل. والثرثار: الكثير الكلام. والمتفهبق: المتوسع في الكلام المتقطع. والمتشدد: المتوسع في الكلام من غير احتياط. وقيل: المستهزئ بالناس<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

=والخطيب (٦٣/٤) عن جابر وسنده حسن. ورواه الطبراني في الكبير (١٠٤٢٣) عن ابن مسعود. ورواه ابن وهب في الجامع (٤٥٤)، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في التواضع (٢٢١) عن هشام بن سعد (وعند ابن أبي الدنيا: هشام بن عروة) عن محمد بن المنكدر مرسلاً.

(١) يُنظر: الفائق للزمخشري (٦٨ / ٤).

## المبحث الخامس

### ما جاء في أن المؤمنين يتفاضلون بحسن الخلق

لا شك أن المؤمنين يتفاضلون في الإيمان، وأن أفضلهم فيه أحسنهم خلقاً، وقد ورد في ذلك عددٌ من الأحاديث، منها:

الأول: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»<sup>(١)</sup>.

قال الحلبي: دل هذا على أن حسن الخلق إيمان، وعدمه نقصان إيمان، وأن المؤمنين يتفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض، ومن ثم كان ﷺ أحسن الناس خلقاً؛ لكونه أكملهم إيماناً.

وقال المناوي: قوله: (وخياركم خياركم لنسائهم) أي من يعاملهن بالصبر على أخلاقهن، ونقصان قلهن، وطلاقة الوجه، والإحسان، وكف الأذى، وبذل الندى، وحفظهن من مواقع الرِّيب، ولهذا كان ﷺ أحسن الناس معاشرة

---

(١) رواه أبو يعلى (٥٩٢٦)، والصيداوي في معجم شيوخه (١٨٥) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به. وإسناده حسن؛ لحال محمد بن عمرو بن علقمة. قال الذهبي: حسن الحديث. المغني (٥٨٧٦).



لعياله، وهل المراد بهن حلائل الرجل من زوجة وسرية، أو أصوله وفروعه وأقاربه، أو من نفقته منهن، أو الكل؟ والحمل على الأعم أتم<sup>(١)</sup>.

فينبغي أن يكون هذا الحديث دائماً نصب عين المؤمن، لأن الإنسان إذا علم بأنه لن يكون كامل الإيمان إلا إذا أحسن خلقه، كان ذلك دافعاً له على التخلق بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات، وترك سفاسفها، وردئها<sup>(٢)</sup>.

الثاني: عن العلاء بن زياد قال سأل رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: أيُّ المؤمنين أفضل إسلاماً؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده». قال: فأَيُّ الجهاد أفضل؟ قال: «من جاهد نفسه في ذات الله». قال: فأَيُّ المهاجرين أفضل؟ قال: «من جاهد لنفسه وهواه في ذات الله». قال: أنت قلت يا عبد الله بن عمرو أو رسول الله ﷺ؟ قال: قال: بل رسول الله ﷺ قاله<sup>(٣)</sup>.

الثالث: عن محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة قال سمعت أبا القاسم ﷺ

(١) يُنظر: التيسير (١ / ٤١١)، فيض القدير (٢ / ١٢٤) كلاهما للمناوي.

(٢) يُنظر: مكارم الأخلاق (ص ٢) للشيخ العثيمين.

(٣) رواه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٦٣٩)، وأبو نعيم في الأربعين (١٦) مختصراً. من طريق إبراهيم بن طهمان عن سويد بن حجير عن العلاء بن زياد به. وهذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات. قال المناوي في فيض القدير (٢ / ٦٣): وإسناده حسن.

يقول: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً، إذا فقهوا»<sup>(١)</sup>.

الرابع: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه، وحُسنُ الخُلُق»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الأثير: أي لا تتسع أموالكم لعطائهم، فوسعوا أخلاقكم لصحبتهم.

وقال المناوي: يعني لا تتسع أموالكم لعطائهم فحسّنوا أخلاقكم لصحبتهم، فإن ذلك في إمكانكم فلا عذر لكم في تركه.

وقال الأمير الصنعاني: أي لا يتم لكم شمول الناس بإعطاء المال لكثرة الناس، وقلة المال، فهو غير داخل في مقدور البشر، ولكن عليكم أن تسعوهم

---

(١) رواه أحمد (١٠٠٢٣) من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن حماد بن سلمة عن محمد به. وإسناده صحيح. ورواه الإسماعيلي في معجم شيوخه (٣٩٦) من طريق سلمة بن كهيل، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة به، دون قوله: (إذا فقهوا).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع (١٩٠)، ومداراة الناس (٥٥)، والبزار (١٥٤٦)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٢٢٠ / ١) من طريق الأسود بن سالم عن عبد الله بن إدريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة فذكره. وهذا إسناد حسن، قاله الحافظ في الفتح (٤٥٩ / ١٠)، والمناوي في التيسير (٧٢٥ / ١). وقال المنذري (٣ / ٢٦٠):



ببسط الوجه والطلاقة، ولين الجانب، وخفض الجناح، ونحو ذلك مما يوجب التحاب بينكم، فإنه مراد الله، وذلك فيما عدا الكافر، ومن أمر بالإغلاظ عليه<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) يُنظر: النهاية (٥ / ٤٠٠)، التيسير (١ / ٧٢٥)، سبل السلام (٤ / ٢١١).

## الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، على ما منَّ به من ختم هذا البحث، بعد أن عشت وقتاً ممتعاً مع أخلاقه ﷺ، وبعض ما ورد عنه من أحاديث تتعلق بحسن خلقه الشريف، وترغيبه وحثه لأُمته بالتخلق بالأخلاق الحسنة، وأختمه بما يأتي:

أولاً: اتضح أن الله تعالى قد اختار النبي ﷺ واختصه لنفسه، وأكرمه برسالته وبعثه إلى خلقه وجمع له صفات الكمال البشري فكان أكمل الناس خلافاً، وأعلمهم بحدود الله وأتقاهم لله، وأخوفهم لله، فاجتمعت له ﷺ صفات الكمال البشري.

ثانياً: أن مجالات حسن الخلق تنقسم إلى أقسام أربعة:

(أ) حسن الخلق في الصلة القائمة بين الإنسان وخالقه ﷻ.

(ب) حسن الخلق في الصلة بين الإنسان وغيره من الناس.

(ج) حسن الخلق في صفات الإنسان الذاتية، ومنها الصبر على المصائب،

والأناة في الأمور، وإتقان العمل، وعدم استعجال الأمور.



(د) حسن الخلق في الصلة بين الإنسان وغيره من المخلوقات.

ثالثاً: أن ما ورد عنه ﷺ من أحاديث تتعلق بحسن الخلق أوسع من أن تستوعبه هذه الدراسة، وما ذكره الباحث منها لا يعدو كونه شذرة من شذرات مكارم الأخلاق ومحاسنها التي كان عليها نبي الرحمة ﷺ، ونزير يسير مما أرشد إليه أمته في هذا الجانب.

وأوصي في نهاية هذه الدراسة: بأن يتم إعداد معلمة علمية في أخلاقه ﷺ على ضوء القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ولعل خير من يتبناها الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية وعلومها.

أسأل الله تعالى أن يرزقنا تمثل أخلاقه الشريفة ﷺ في الرضا والغضب مع أهلينا وإخواننا ومخالفينا، كما أسأله جلَّ وعزَّ أن يجزي نبينا ﷺ خير ما جزي نبياً عن أمته، وأن يجعلنا من أتباعه اعتقاداً، وسلوكاً، وأن يهتم لي ولوالدي بخير، وأسأله سبحانه حسن النية، وحسن الخلق، وقبول العمل، وصلى الله على نبينا، وعلى آله وصحبه وسلم.

\*\*\*

## قائمة المراجع

- (١) الأحاديث المختارة، لأبي عبد الله المقدسي، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٤١٠هـ، الأولى، ت: ابن دهيش.
- (٢) أحكام القرآن، لعبد الدين محمد بن إلكيا الهراسي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.
- (٣) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي / دار الكتب العلمية - بيروت م ط الأولى ١٤٠٦هـ.
- (٤) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي المحقق: د. عبد الملك بن عبد الله دهيش دار خضر - بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ.
- (٥) الأخلاق الإسلامية وأسسها، للشيخ عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني، دار القلم، دمشق ط ١٣٩٩هـ.
- (٦) الأخلاق النبوية في الصراعات السياسية والعسكرية لمحمد مسعد ياقوت، دار الشروق.
- (٧) أخلاق النبي وآدابه لأبي الشيخ ابن حيان الأصبهاني، ت/ صالح الونيان دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.





- (٨) الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري دار الآفاق الجديدة ١٣٩٩ هـ بيروت.
- (٩) الإخوان، عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي دار الكتب العلمية - بيروت ط ١، ١٤٠٩ ت: مصطفى عبد القادر عطا.
- (١٠) الآداب الشرعية لابن مفلح / ت: شعيب الأرنؤوط، عمر القيام / مؤسسة الرسالة - بيروت / ط الثانية ١٤١٧ هـ.
- (١١) الأدب المفرد: للإمام البخاري، تقديم: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- (١٢) الأربعين على مذهب المتحققين من مذهب أهل التصوف لأبي نعيم الأصبهاني تحقيق بدر بن عبد الله البدر، دار ابن حزم بيروت، سنة ١٤١٥ هـ.
- (١٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، تحقيق مكتب البحوث والدراسات.
- (١٤) أمالي ابن بشران. أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن بشران بن محمد بن بشران بن مهران البغدادي (المتوفى: ٤٣٠ هـ)، ضبط عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر بالرياض، سنة ١٤١٨ هـ.
- (١٥) إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق د / جمال محمد الزكي، المجمع العلمي، مؤسسة د / أحمد شوقي إبراهيم العلمية.

- (١٦) الأنوار في شمائل النبي المختار للحسين بن مسعود البغوي ت/ إبراهيم يعقوبي دار الضياء بيروت ١٤٠٩هـ.
- (١٧) البحر الزخار لأبي بكر البزار، ت: د/ محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- (١٨) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار للكلاباذي، بتحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيدي، وصدر عن دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (١٩) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير دار الكتب العلمية، بيروت، ط الرابعة ١٤٠٨هـ.
- (٢٠) تاريخ أصبهان، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٠هـ، ط ١، ت: سيد كسروي حسن.
- (٢١) التاريخ الكبير، للإمام البخاري أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، مصورة عن دائرة المعارف العثمانية، ١٩٤١هـ.
- (٢٢) تاريخ مدينة دمشق، لأبي القاسم ابن عساكر، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٥، تحقيق: عمر بن غرامة العمري.
- (٢٣) التبيان في أقسام القرآن لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبي عبد الله ابن القيم الجوزية دار الفكر.
- (٢٤) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، الدار التونسية / ط ١٩٨٤م.



- (٢٥) التدوين في أخبار قزوين، الرافعي، تحقيق عزيز الله العطاردي، ١٤٠٨ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (٢٦) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، بالقاهرة ط ١٩٧٧ م.
- (٢٧) الترغيب والترهيب، المنذري، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٧ هـ، الأولى، ت: إبراهيم شمس الدين.
- (٢٨) تسهيل النظر وتعجيل الظفر، الماوردي، تحقيق رضوان السيد، دار العلوم العربية للنشر ط ١، ١٩٨٧ م.
- (٢٩) التعريفات للجرجاني، مكتبة القرآن بدون تاريخ.
- (٣٠) تعظيم قدر الصلاة اسم المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، دار النشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة - ١٤٠٦ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبدالرحمن بن عبد الجبار الفريوائي.
- (٣١) تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، عالم الكتب للطباعة ط ١٩٨٩ م.
- (٣٢) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير، سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- (٣٣) تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الرشيد - سوريا - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ط ١، تحقيق: محمد عوامة.
- (٣٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر ابن عبد البر، تحقيق: سعيد أعراب، وزارة الأوقاف المغربية.

- (٣٥) تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه، دار الكتب العربية - بيروت / ١٤٠١ هـ.
- (٣٦) تهذيب الأخلاق، للجاحظ، دار الصحابة للتراث، القاهرة ط ١، ١٤١٠ هـ.
- (٣٧) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن بن يوسف المزي الدمشقي الشافعي، تحقيق وضبط وتعليق بشّار عواد معروف، مؤسّسة الرّسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٥ م.
- (٣٨) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا، دار الكتب العلمية - بيروت ط ١، ١٤٠٩ ت: محمد عبد القادر أحمد عطا.
- (٣٩) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن السعدي / دار المدني - جده / ١٤٠٨ هـ.
- (٤٠) التيسير بشرح الجامع الصغير لزين الدين المناوي مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨ هـ الطبعة: الثالثة.
- (٤١) الثّقات، لأبي حاتم محمد بن حبان البستي، دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م.
- (٤٢) جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري دار الكتب العلمية - بيروت / ط الأولى ١٤١٢ هـ.
- (٤٣) الجامع الصحيح المختصر، البخاري، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧، الثالثة، ت: د. البغا، وعبد الباقي.
- (٤٤) الجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.



- (٤٥) الجامع في الحديث، عبد الله بن وهب ت: د. مصطفى أبو الخير دار ابن الجوزي - السعودية ط١، ١٩٩٦م.
- (٤٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي / دار الكتب العلمية - بيروت / ط الأولى ١٤٠٨هـ.
- (٤٧) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب، تحقيق الطحان، الرياض، مكتبة المعارف ١٤٠٣هـ.
- (٤٨) الجانب الخلقى للنبي الكريم ﷺ، محمد يونس عبد الجبار، المكتبة العصرية، بيروت.
- (٤٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ، الطبعة: الرابعة.
- (٥٠) خلق المسلم، للشيخ محمد الغزالي، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية / ١٤٠٠هـ.
- (٥١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت مركز هجر للبحوث دار هجر - مصر.
- (٥٢) دلائل النبوة للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الريان للتراث بالقاهرة، سنة ١٤٠٨هـ.
- (٥٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان بن إبراهيم البكري، دار الريان للتراث، القاهرة، ط ١ / ١٤٠٧هـ.

- (٥٤) الديباج على صحيح مسلم، لجلال الدين السيوطي، تحقيق أبي إسحق الحويني الأثرى، دار ابن عفان.
- (٥٥) ذكر أخبار أصبهان، للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، الدار العلمية، الهند، الطبعة الثانية، ١٤٠٥ هـ.
- (٥٦) ذم الغيبة لابن أبي الدنيا ضمن «موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا» بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، سنة ١٤١٣ هـ.
- (٥٧) رياض الصالحين، الإمام النووي، المكتب الإسلامي - بيروت، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
- (٥٨) الزهد لهناد بن السري، ت عبد الرحمن الفريوائي دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- (٥٩) الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مكتبة المنار - الأردن ط ١، ١٤٠٧ تحقيق: حماد عويضة.
- (٦٠) سبل السلام شرح بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، ت فواز زمزلي، إبراهيم الجمل، دار الكتاب العربي.
- (٦١) سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، للصالحين
- (٦٢) سنن الدارمي، للإمام الدارمي، دار الكتاب العربي - بيروت، تحقيق: فواز أحمد زمزلي، خالد السبع العلمي.



- (٦٣) السنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- (٦٤) السنن، لابن ماجه، الحافظ أبي عبدالله القزويني، تصحيح محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- (٦٥) السنن، لأبي داود السجستاني، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا.
- (٦٦) السنن، لأبي عبدالرحمن النسائي، وبهامشه زهر الربي على المجتبى، وحاشية السندي، دار إحياء التراث.
- (٦٧) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، اللالكائي، طيبة، الرياض، ١٤٠٢، ت: د. الغامدي
- (٦٨) شرح السنة للإمام البغوي، ت: زهير الشاويش، والأرناؤوط، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط ٢، ١٤٠٣ هـ -
- (٦٩) شرح النووي على صحيح مسلم، لأبي زكريا النووي، إحياء التراث العربي، بيروت - ١٣٩٢ هـ، الطبعة: الثانية.
- (٧٠) شرح رياض الصالحين للشيخ محمد العثيمين. طبع بإشراف المكتب العلمي لمؤسسة الشيخ الخيرية.
- (٧١) شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد، أشرطة مفرغة، موقع ملتقى أهل الحديث، والمكتبة الشاملة.

- (٧٢) شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٤٠٨ هـ، الأولى، ت: شعيب الأرناؤوط.
- (٧٣) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق: السعيد بسيوني زغلول.
- (٧٤) الشئائل الشريفة لجلال الدين السيوطي، ت/ حسن بن عبيد باحبيشي، دار طائر العلم للنشر والتوزيع.
- (٧٥) الشئائل المحمدية والخصائل المصطفوية لأبي عيسى الترمذي، ت/ سيد الجليمي، الكتب الثقافية ١٤١٢، بيروت.
- (٧٦) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤، ط ٢، ت: شعيب الأرناؤوط.
- (٧٧) صحيح ابن خزيمة، للإمام أبي بكر ابن خزيمة، حققه مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٣٩٩ هـ.
- (٧٨) صحيح مسلم، لأبي الحسين النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: فؤاد عبد الباقي.
- (٧٩) الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠ هـ ط ١، تحقيق: أبي إسحاق الحويني.
- (٨٠) الطبقات الكبرى، للإمام محمد بن سعد بن منيع أبي عبد الله البصري الزهري، دار صادر - بيروت.





- (٨١) علم الأخلاق الإسلامية، مقداد يالجن، الرياض / السعودية ط ١٤١٣ هـ.
- (٨٢) عمل اليوم والليلة أحمد بن شعيب النسائي مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية، ١٤٠٦ تحقيق: د. فاروق حمادة.
- (٨٣) عيون الأثر في ذكر فنون المغازي والسير، للحافظ ابن سيد الناس اليعمري ت د. محمد عيد الخطراوي، ومحي الدين مستو. نشر دار التراث ودار ابن كثير.
- (٨٤) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب محمد السفاريني، الكتب العلمية - بيروت ١٤٢٣ هـ ط ٢ ت: محمد الخالدي.
- (٨٥) الفائق في غريب الحديث، لأبي القاسم جاز الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (٨٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محب الدين الخطيب.
- (٨٧) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمّة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله لعبد المحسن بن حمد العباد البدر.
- (٨٨) فضائل القرآن أبو عبيد القاسم بن سلام، المحققون: مروان العطية - محسن خرابة - وفاء تقي الدين. دار ابن كثير دمشق - بيروت: ١٤٢٠ هـ.
- (٨٩) الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي المحقق: عادل بن يوسف العزازي دار ابن الجوزي ط ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- (٩٠) الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان بدون تاريخ.

- (٩١) الفوائد لتام بن محمد الرازي أبي القاسم، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة الرشد، الرياض.
- (٩٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير لزين الدين المناوي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
- (٩٣) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي، مراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية.
- (٩٤) الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عدي، ت يحيى مختار عزراوي، ط ١ ١٤٠٩ هـ، دار الفكر، بيروت.
- (٩٥) كان خلقه القرآن، لأبي إسلام أحمد بن علي، دار الصحابة، القاهرة.
- (٩٦) الكرم والجود وسخاء النفس للبرجلاني بتحقيق الدكتور عامر حسن صبري، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الثانية،
- (٩٧) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.
- (٩٨) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٢٢ هـ
- (٩٩) الكنى والأسماء، المؤلف: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت / لبنان - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، ط: الأولى، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي



- (١٠٠) لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- (١٠١) المتفق والمفترق للخطيب البغدادي. تحقيق الدكتور محمد صادق الحامدي - دار القادري - ١٤١٧ هـ.
- (١٠٢) مجلس إماء لأبي عبدالله الدقاق في رؤية الله، لمحمد بن عبدالواحد الأصبهاني، الرشد - الرياض، ت: حاتم العوني.
- (١٠٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي، دار الريان/ دار الكتاب العربي - القاهرة، بيروت - ١٤٠٧ هـ.
- (١٠٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
- (١٠٥) محمد ﷺ الخلق الكامل والرحمة المهداة، محمد الأنور البلتاجي، مكتبة وهبة، القاهرة ط ١ ١٤١٤ هـ.
- (١٠٦) مداراة الناس لأبي بكر ابن أبي الدنيا دار ابن حزم - بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٨ ت: خير يوسف.
- (١٠٧) مدارج السالكين، لابن القيم، ت: رضوان جامع رضوان / المكتب الثقافي - الأزهر ٢٠٠١ م.
- (١٠٨) المراسيل لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٣٩٧ هـ ط ١ تحقيق: شكر الله قوجاني.
- (١٠٩) مرقاة المفاتيح لمشكاة المصابيح للملا علي القاري، دار الكتب العلمية ١٩٩٨ بتحقيق (جمال عيتاني).

- (١١٠) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة بيروت، لبنان.
- (١١١) مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود أبي داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة - بيروت - .
- (١١٢) مسند أبي يعلى، لأبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث - دمشق - ١٤٠٤، ط (١)، تحقيق: حسين سليم أسد.
- (١١٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة بتحقيق جماعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط.
- (١١٤) مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥، ط ١، ت: حمدي السلفي.
- (١١٥) مسند الشهاب، أبو عبد الله القضاعي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٧، ط: ٢، ت: حمدي السلفي.
- (١١٦) المسند، عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، عالم الكتب، بيروت.
- (١١٧) مشيخة ابن البخاري لجمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهري الحنفي، دار عالم الفوائد مكة ١٤١٩ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عوض عتقي سعد الحازمي.
- (١١٨) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، للشهاب أحمد بن أبي بكر البوصيري، تحقيق موسى محمد علي وعزت علي عطية، دار الكتب الحديثة، مصر.



- (١١٩) المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد - الرياض - ١٤٠٩، الطبعة: الأولى.
- (١٢٠) معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي تحقيق: محمد علي الصابوني جامعة أم القرى - مكة المكرمة الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
- (١٢١) المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي ت د. زياد محمد منصور، العلوم والحكم، بالمدينة، ط ١، ١٤١٠هـ.
- (١٢٢) المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، ت طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، ١٤١٥هـ، الحرمين، القاهرة .
- (١٢٣) المعجم الصغير (الروض الداني في تخريج أحاديث المعجم الصغير للطبراني) المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٤٠٥هـ ط ١، ت: محمد شكور محمود الحاج أمير.
- (١٢٤) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي السلفي، دار ابن تيمية، القاهرة.
- (١٢٥) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، صدر عن دار الوطن بالرياض، سنة ١٤١٩هـ.
- (١٢٦) المغني في الضعفاء، للإمام شمس الدين الذهبي الدمشقي، كتبه نور الدين عتر، إدارة إحياء التراث الإسلامي، قطر.

- (١٢٧) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن ابن عبد المحسن السلطان .
- (١٢٨) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان داوودي / دار القلم - دمشق / ط الثانية ١٤١٨ هـ.
- (١٢٩) مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، دار الجليل، بيروت ط ١ بدون (ت).
- (١٣٠) مكارم الأخلاق، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الرشد، الرياض / السعودية.
- (١٣١) مكارم الأخلاق لأبي القاسم الطبراني، تحقيق د. فاروق حمادة، دار الرشد بالدار البيضاء - المغرب، سنة ١٤٠٠ هـ.
- (١٣٢) مكارم الأخلاق لأبي بكر ابن أبي الدنيا، ت/ مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن - القاهرة، ١٤١١ هـ.
- (١٣٣) مكارم الأخلاق ومعاليلها ومحمود طرائقها لأبي بكر الخرائطي، ت/ عبد الله الحميري، مكتبة الرشد سنة ٢٠٠٦ م.
- (١٣٤) من أخلاق الرسول الكريم ﷺ، للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة.
- (١٣٥) المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق وتعليق أبي عبد الله مصطفى بن العدوي، نشر دار بلنسية.
- (١٣٦) المتقى شرح موطأ مالك: لأبي الوليد الباجي، ت: محمد بن عبد القادر عطا، الكتب العلمية، بيروت ط ١ / ١٤٢٠ هـ.



- (١٣٧) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، لمجموعة علماء، دار الوسيلة، جدة / السعودية ط ١٤١٨ هـ.
- (١٣٨) موضح أوهام الجمع والتفريق، للخطيب البغدادي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند.
- (١٣٩) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للإمام شمس الدين الذهبي الدمشقي، تحقيق على محمد البجاوي، دار الفكر.
- (١٤٠) النظرية الخلقية عند ابن تيمية، محمد عبد الله عفيفي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض / السعودية ط ١، ١٤٠٨ هـ.
- (١٤١) النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (المتوفى: ٤٥٠ هـ) دار الكتب العلمية.
- (١٤٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير / ت: طاهر الزاوي، محمود الطناحي / المكتبة العلمية - بيروت.

\*\*\*







# الرحمة خلق رسول الله ﷺ

إعداد

د. محمد بن عبد الله اللعبون

عضو هيئة التدريس بكلية الملك عبد العزيز الحربية

## ابیض



## المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الكتابة عن رسول الله ﷺ شرف كبير؛ ومسؤولية جسيمة، أسأل الله أن يُوفّقني فيها ويُعين عليها، ولقد أتاحت لي الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها، فرصة المشاركة في هذا الشرف العظيم، فلهم مني جزيل الشكر والثناء؛ - وأسأل الله أن أكون عند حسن ظنهم -.

وإني إذ أشكر الجمعية على قبول مشاركتي وحسن ظنهم؛ فإنني أُثني بالشكر والثناء على مُبادرتهم الكريمة في تنظيم وتنفيذ هذا المؤتمر المُهم في قيمته وأثره، والمُتميز في شموله لعناصر الموضوع في جوانبه النظرية، ومُؤائمه بين الجانب النظريّ والعمليّ، وجمعه بين تأصيل التطبيقات وتقويمها، وموضوع نُصرة الرسول ﷺ والدفاع عنه - وأمثاله من القضايا الكبرى - حقيقةً بمثل هذا الجهد؛ وبرعاية جهات مُتخصّصة ومُتكاملة؛ حتى ينضبط مساره؛ ويؤثّق

ثمّاره، فأسأل الله تعالى أن يُبارك في العمل؛ ويُجزل مَثوبة القائمين عليه، وقد رَغِبْتُ في المشاركة في هذا المؤتمر، ببحثٍ عنوانه:

### (الرحمة خلق رسول الله ﷺ)

إنَّ تفاوتَ الناس في الاتِّصاف بِخُلُق من الأخلاق - ما بين مُستَقِلٍّ ومُستَكثِرٍ - أمرٌ ظاهر، ووجود أصل الخُلُق أمر حَسَنٌ يشترك فيه الكثيرون؛ ولذا فالتفاضل والتمايز إنما يكونُ في قُوَّة التخلُّق، وتأثيره، ومعلوم - أيضًا - أن أخلاق الإنسان وتصرُّفاته تتأثر بعوامل مُتعدِّدة، كالحالة النفسيَّة، ومواقف الآخرين... الخ؛ ولذا فثبات الإنسان على مبادئه، والتزامه بأخلاقه في جميع الأحوال والظروف؛ مرْتَبَةٌ لا يصل إليها إلا القليل؛ بل النادر، انطلاقًا من هذا يهدف البحث إلى: إبراز وتأكيد عُمق، وتأصل خُلُق الرَّحمة في شخص الرسول ﷺ.

### وكان من أسباب اختيار الموضوع:

١ - أني لم أجد من أفردته بالبحث، وإن كان مبثوثًا في ثنايا الحديث عن أخلاق الرسول ﷺ عامَّة، وخُلُق الرَّحمة خاصَّة.

### ٢ - أهمية الموضوع، والمتمثلة في:

أ/ إثبات فِطْرِيَّة الرَّحمة، وأنها خُلُق طبيعيٌّ؛ يُساعد على إقناع الآخرين بقضيَّتنا، ويُساهم في اختصار الأمثلة والشواهد التي يُحتاج إليها في الاستدلال



على عظيم رحمته وشمولها، وفي ردِّ اعتراض الحَصْم بأن الأمثلة والشواهد إنما هي جزئية؛ أو مُتَكَلِّفة من أجل مصالح آنية.

ب/ ولأن البحث يهتم بأصل الموضوع، ويُساهم في اختصار الخطاب؛ فهو يُناسب فئة مُهمّة يَسْتَهْدِفُهَا المؤتمرون، وهم: الجماهير الغربية - خاصة المُتَقَفِّين منهم-، ويُذَكِّرُ -أيضاً- المُهْتَمِّين بموضوع نُصرة الرسول ﷺ، بِتَضَمِين هذا الأصل في خطابهم، والبناء عليه.

ج/ إثبات فطرية الرَّحمة، وتأصلها في نفس رسول الله ﷺ، فيه بيان فضله على الآخرين - خاصة مَن يَفْتَخِرُ بهم بعض أهل الأديان والمذاهب-، وكذلك كماله البشري، وهو جانب يُساهم في نصرة الرسول ﷺ، والدفاع عنه.

### خطة البحث:

- يشتمل هذا البحث على: مُقدِّمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.
- المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث، ومنهجه.
- التمهيد: وفيه تعريف الرَّحمة.
- المبحث الأول: طبيعة رسالته، ومُهمَّته ﷺ.
- المبحث الثاني: التزام النبي ﷺ بخلق الرَّحمة في أحواله كلها.
- المبحث الثالث: تأثير الرَّحمة في أخلاقه، وأفعاله، ومشاعره ﷺ.

- المبحث الرابع: مَحَبَّةُ ﷺ للرحمة، وأهلها.
- المبحث الخامس: تأثير رحمته ﷺ في الآخرين.
- الخاتمة: وفيها أبرز النتائج، والتوصيات.

#### منهج البحث:

نظرًا لتشعب الموضوع؛ وطبيعة المؤتمر، لم يكن أمامي إلا الاختصار والانتقاء؛ في عناصر الموضوع ومكوناته؛ ولذا:

١ - اخترت أن أتناوله من خلال عناصر تُحقِّق هدفًا إضافيًا، وهو: تعزيز جانب الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ ومحبته.

٢ - اقتصرْتُ على الأحاديث الصحيحة، وقد حرصْتُ على اختيار ما ورد في الصحيحين أو أحدهما.

٣ - إذا كان الحديث من غير الصحيحين، فلم أثبت التخريج الموسع - مُراعاة لمساحة البحث - وإنما أقتصر على العزو إلى بعض المصادر، ونقل حكم أحد الأئمة المُعتبرين.

٤ - إذا كان هناك اختلاف مُؤثِّر في الروايات أوردُ اللَّفظ الذي يُناسب الموضوع، وأبيِّن ذلك عند العزو للمصادر.

٥ - لم أتوسَّع في ذكر مصادر الحديث؛ فما كان في الصحيحين أو أحدهما لم

أَعَزُّهُ إِلَى غَيْرِهِمَا إِلَّا لِفَائِدَةٍ خَاصَّةٍ، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ فِي السُّنَنِ وَالْمُسْنَدِ؛ لَمْ أَزِدْ عَلَيْهَا.  
٦ - عَزَوْتُ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَالتَّابِعِينَ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - إِلَى الْمَصَادِرِ  
الْمُسْنَدَةِ.

٧ - حَرَصْتُ عَلَى نِسْبَةِ الْأَقْوَالِ لِأَصْحَابِهَا، وَعَزَوْتُ ذَلِكَ إِلَى مَصَادِرِهِ، وَمَا  
تَصَرَّفْتُ فِيهِ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ بِعِبَارَةِ «بِتَصَرُّفٍ».

عَوْدًا عَلَى بَدْءِ: أَحْمَدُ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ عَلَى تَيْسِيرِهِ وَإِعَانَتِهِ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَنَا  
مِنْ أَنْصَارِ دِينِهِ، وَرَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ أَثْنَيْ بِالشُّكْرِ لِلْجَمْعِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ  
لِللسنة وعلومها على مُبَادَرَتِهِمُ الْكَرِيمَةِ؛ وَالتِّي حَفَّزَتِ الْبَاحِثَ وَغَيْرَهُ مِنْ  
الْمُشَارِكِينَ لِلْمُسَاهَمَةِ فِي هَذَا الْعَمَلِ النَّبِيلِ؛ فَلَهُمْ مِنَ الدَّعَاءِ أَجْزُلُهُ وَمِنَ الثَّنَاءِ  
أَعْطَرُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

\*\*\*

## تمهيد

### في معنى الرحمة

قال ابن فارس: (رَحِمَ) الرأ والحاء والميم أصل واحد يدلُّ على الرَّقَّة، والعَطْف، والرَّأْفَة<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: الرَّحمة الرَّقَّة، والتعطف، والمَرْحمة مثله، وقد رَحِمْتُهُ، وتَرَحَّمتُ عليه، وتَرَا حَمَ القَوْمُ: رَحِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، والرَّحْمَةُ: الْمَغْفِرَةُ<sup>(٢)</sup>.

وحكى ابن سيده: أصل الرَّحمة النُّعْمة... قال الزجاج: وحقيقة الرَّحمة: الإنعام على المحتاج<sup>(٣)</sup>.

وقال الراغب الأصبهاني: الرَّحمة: رِقَّةٌ تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وقد تُسْتَعْمَلُ تارة في الرقة المُجَرَّدة، وتارة في الإحسان المُجَرَّد عن الرِقَّة<sup>(٤)</sup>. وفي التعريفات: الرَّحمة هي: إرادة إيصال الخير<sup>(٥)</sup>.

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٢ / ٤٩٨.

(٢) لسان العرب: مادة (رحم) - ١٢ / ٢٣٠.

(٣) المخصص - لابن سيده: ٥ / ٢٢٥.

(٤) المفردات في غريب القرآن: ١٩١.

(٥) التعريفات للجرجاني: (١ / ١٤٦).





يقول الشيخ عبد الرحمن الميداني: من الأصول الخُلُقِيَّة وكُلِّيَّاتها العامَّة: خُلُق الرَّحْمَةِ؛ ولهذا الأصل فروع أخلاقِيَّة مُتَعَدِّدة، مِنْهَا: بُرِّ الوالدين، ومنها: صِلَةُ الرحم، ومنها: إكرام اليتيم، ومنها: العَطْف على الفقراء، والمساكين، والمرضى، والخدم، وذوي الحاجات، والضعفاء، والعَجْزة، وذوي المصائب، ومنها التعاطف بين الإخوان والأصحاب والجيران، وبين المسلمين بوجه عام، ومنها: الشفاعة الحسنة، ومنها: لين الجانب للناس، ومنها: العفو والصفح عن المُسيء، ومنها: مُشاورة رئيس الجماعة وقائدهم وولي أمرهم لأهل المشورة منهم رحمة بقلوبهم ونفوسهم التي يُؤَلِّمها الإهمال والاستبداد، إلى غير ذلك.

ويرى الشيخ عبد الرحمن: أن من العسير التوصل إلى تعريف دقيق للرحمة، لأنَّ شأن الرَّحمة كشأن مُعْظَم العواطف والانفعالات، إنما تُدْرَك وتُعْرَف بظواهرها، لا بحقيقة تكوينها.

ويُذَكِّر أنَّ الرَّحمة ذات مرَّاتب ودرجات، ولها مُستويات مُتفاوتات، قد يَصِل بعضها إلى أن يَشْعُر الراحم بمثل مَشاعر من يرحمه تمامًا، في النوع والمقدار<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني: ٢ / ٥-٦.

## المبحث الأول

### طبيعة رسالته ومهمته ﷺ

أرسل الله رسوله محمدًا ﷺ رحمة للعالمين، فهو في نفسه رحمة، وشريعته رحمة، ودعوته رحمة، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: فجاءت هذه الآية مُشتملة على وصف جامع لبعثة محمد ﷺ، ومزيتها على سائر الشرائع مزيةً تُناسب عمومها ودوامها، وذلك كونها رحمة للعالمين... وصيغت بأبلغ نظم إذ اشتملت هاته الآية بوجازة ألفاظها على مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ومدح مُرسله تعالى، ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله تعالى للناس كافة، وبأنها رحمة الله تعالى بخلقه.... وتفصيل ذلك يظهر في مظهرين: الأول: تَخْلُقُ نَفْسِهِ الزَكِيَّةَ بِخُلُقِ الرَّحْمَةِ، والثاني: إحاطة الرَّحْمَةِ بتصاريف شريعته. فأما المظهر الأول... (فقد) فُطِرَ ﷺ على خُلُقِ الرَّحْمَةِ في جميع أحوال مُعاملته الأُمَّة؛ لتكون مناسبة بين روحه الزكِيَّة، وبين ما يُلقَى إليه من الوحي بشريعته التي هي رحمة حتى يكون تَلَقُّيه الشريعة عن انشراح نفس أن يجد ما يُوحى به إليه مُلائمًا رغبته



وخلقه... ولهذا خص الله محمداً ﷺ في هذه السورة بوصف الرحمة، ولم يصف به غيره من الأنبياء، وكذلك في القرآن كله... وأما المظهر الثاني من مظاهر كونه رحمة للعالمين فهو مظهر تصارييف شريعته. أي: ما فيها من مقومات الرحمة العامة للخلق كلهم؛ لأن قوله تعالى: ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿رَحْمَةً﴾<sup>(١)</sup>.

ويؤكد الرسول ﷺ هذه الرحمة، في مواقف عديدة منها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله، ادعُ على المشركين. قال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»<sup>(٢)</sup>.

«ولما أمره الله تعالى بتخيير نسائه في قوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [٢٨-٢٩] بدأ بعائشة رضي الله عنها فقال: «يَا عَائِشَةُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ أَمْرًا أَحَبُّ أَنْ لَا تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَشِيرِي أَبَوَيْكَ». قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير

(١) التحرير والتنوير: ١٧ / ١٢١-١٢٢.

(٢) صحيح مسلم: ك البر والصلة والآداب - باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ح ٢٥٩٧

أبوي؟ بل اختار الله ورسوله، والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت. قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يعثني مُعْتَتًا، ولا مُتَعَتَتًا، ولكن بعثني مُعَلِّمًا مُبْسِرًا<sup>(١)</sup>.

ومن أجل تحقق تلك الرحمة وتمامها، جعل الله رسوله ﷺ، لينا رءوفًا رحيماً، وامتنَّ عليه وعلينا بهذه السجايا التي هي سببٌ في نجاحه والاجتماع عليه، وفي قبول الحق والانقياد له، فقال سبحانه: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهْمٌ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال الحسن البصري رحمه الله: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنْ لَّهْمٌ﴾ قال: هذا خلقٌ محمد نعتة الله<sup>(٢)</sup>.

وقال الإمام الربيع بن خثيم رحمه الله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا

(١) صحيح مسلم: ك الطلاق - باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية - ح ١٤٧٨

- ١١٠٣ / ٢ -

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٨٠٠ / ٢.

مِنْ حَوْلِكَ ۖ أَي: والله قد طَهَّرَهُ مِنَ الْفُظَاظَةِ وَالْغِلَظَةِ، وجعله رَحِيمًا قَرِيبًا رءُوفًا بِالْمُؤْمِنِينَ<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ اللهُ: ودَلَّ فعل المضيِّ في قوله: ﴿لَئِنْ﴾ على أن ذلك وصفٌ تَقَرَّرَ وَعُرِفَ مِنْ خُلُقِهِ، وَأَنْ فِطْرَتَهُ عَلَى ذَلِكَ بِرَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ إِذْ خَلَقَهُ كَذَلِكَ، وَ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٢٤]، فَخُلِقَ الرَّسُولُ مُنَاسِبًا؛ لِتَحْقِيقِ حُصُولِ مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ إِرْسَالِهِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ يَجِبُ بِشَرِيعَةٍ يُبَلِّغُهَا عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، فَالْتَبْلِغُ مُتَعَيِّنٌ لَا مُصَانَعَةٌ فِيهِ، وَلَا يَتَأَثَّرُ بِخُلُقِ الرَّسُولِ، وَهُوَ أَيْضًا مَأْمُورٌ بِسِيَاسَةِ أُمَّتِهِ بِتِلْكَ الشَّرِيعَةِ، وَتَنْفِيزِهَا فِيهِمْ، وَهَذَا عَمَلٌ لَهُ ارْتِبَاطٌ قَوِيٌّ بِمُنَاسَبَةِ خُلُقِ الرَّسُولِ لَطِبَاعِ أُمَّتِهِ حَتَّى يُلَاقِمَ خُلُقَهُ الْوَسَائِلَ الْمُتَوَسَّلَ بِهَا؛ لِحَمْلِ أُمَّتِهِ عَلَى الشَّرِيعَةِ النَّاجِحَةِ فِي الْبُلُوغِ بِهِمْ إِلَى مُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُمْ...، أُرْسِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ مَفْطُورًا عَلَى الرَّحْمَةِ، فَكَانَ لِيُنْهَ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ بِالْأُمَّةِ فِي تَنْفِيزِ شَرِيعَتِهِ بِدُونِ تَسَاهُلٍ، وَبِرِّفْقٍ، وَإِعَانَةٍ عَلَى تَحْصِيلِهَا<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ فَيَقُولُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أَي: يَعْزُّ عَلَيْهِ الشَّيْءُ الَّذِي يُعْنِتُ أُمَّتَهُ وَيَشُقُّ عَلَيْهَا... وَشَرِيعَتُهُ كُلُّهَا سَهْلَةٌ، سَمَحَةٌ

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٨٠١/٢.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٦٥/٣.

كاملة، يسيرةً على من يسرّها الله تعالى عليه ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي: على هدايتكم، ووصول النّفع الدنيويّ، والأخرويّ إليكم<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: يمتن [تعالى] على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم،... وهو ﷺ في غاية النّصح لهم، والسعي في مصالحهم... ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ فيحبّ لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشرّ، ويسعى جهده في تنفيركم عنه. ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ أي: شديد الرّأفة والرّحمة بهم، أرحمّ بهم من والديهم<sup>(٢)</sup>.

وهو ﷺ أشفق علينا، وأرحم بنا من أنفسنا، وقد ضرب لذلك مثلاً واقعياً مشاهداً فقال ﷺ: «إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ النَّاسِ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٢٤١.

(٢) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان: ص ٣٥٦ - وقال ابن الأثير في النهاية: (رأف)... في أساء الله تعالى [الرؤف] هو الرحيم بعباده العطوف عليهم بألطافه. والرأفة أرق من الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة والرحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة. (٢/ ٤٤٤).



تَقَحَّمُونَ فِيهَا». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وهذا مثل لاجتهاد نبينا ﷺ في نجاتنا، وحرصه على تخليصنا من الهلكات التي بين أيدينا<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث ما كان فيه ﷺ من الرَّأْفَةِ، وَالرَّحْمَةِ، وَالْحِرْصِ على نجاة الأمة<sup>(٣)</sup>.

ولعظيم نصحه وشفقته، فقد جعله الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فقال سبحانه: ﴿الْنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾... الآية [الأحزاب: ٦] وذلك؛ لِمَا بذل لهم من النصِّح، والشفقة، والرأفة، ما كان به أرحم الخلق، وأرأفهم، فرسول الله أعظم الخلق منَّةً عليهم<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري: ك الرقاق - باب الانتهاء من المعاصي ح ٦٤٨٣ - فتح: ٣١٦/١١ - مسلم: ك الفضائل - باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم - ح ٢٢٨٤ - ١٧٨٩/٤.

(٢) القرطبي، المفهم: ٧٨/٦ - وقال الزمخشري: ولي عليه شفقة وشفق: رحمة ورقة وخوف من حلول المكروه به مع نصح (أساس البلاغة: ٥١٤/١) ويرى الراغب الأصفهاني، أن الإشفاق لا ينفك من الرحمة. (المفردات في غريب القرآن: مادة: حنّ، ص ١٣٣).

(٣) ابن حجر، فتح الباري: ٣٨١/١١.

(٤) ابن سعدي تفسير الكريم المنان: ٦٥٩.

وهذا ما لمسّه الصحابة رضي الله عنهم وعاشوه، وشهدوا به، فعن أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها أنها قالت: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ تُبَايِعُهُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا نَسْرِقَ، وَلَا نَزْنِيَ، وَلَا نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلَا نَعْصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ. قَالَ: «فِيمَا اسْتَطَعْتُنَّ، وَأَطَقْتُنَّ» قَالَتْ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَرْحَمُ بِنَا، هَلُمَّ تُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَا أَصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمَاةٍ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِمَرْأَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مِثْلُ قَوْلِي لِمَرْأَةٍ وَاحِدَةٍ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه الترمذي: ك السير، ب بيعة النساء، ح ١٥٩٧-٤/١٥١ وقال: حسن صحيح، والنسائي: ك البيعة، ب بيعة النساء، ح ٤١٨١-٧/١٤٩ - واللفظ له-.





## المبحث الثاني

### التزام النبي ﷺ بخلق الرحمة في أحواله كلها

من أبلغ الدلائل على أن رسول الله ﷺ مَفْطُور على الرَّحمة، وأنها خُلِقَ كما قال الحسن البصري رحمه الله<sup>(١)</sup> التزامه واستصحابه لهذا الخُلُق في أحواله كلها - الشدَّة والرِّخاء، والقوة والضعف، والرضا والغضب، والصحة والمرض -، ومع الجميع - القوي والضعيف، الصغير قبل الكبير، المُوافِق والمُخالف<sup>(٢)</sup> -.

ودلائل حضور خُلُق الرَّحمة والتزامه بها في أحواله كلها ﷺ كثيرة جدًّا، منها:

١ - في أعظم حال وموقف؛ جمع بين الجلال والأهوال، والرغبة والرهبة؛ موقف القيام أمام ذي الجلال للفصل بين الخلائق، في المقام الذي تَذَهَّل فيه العقول والقلوب؛ وتتطلع كل نفس لنجاتها: يُحَدِّثُ الرسول ﷺ عن ذلك اليوم فيقول: «يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيَسْمَعُهُمْ

(١) تقدم ذكره.

(٢) لم أذكر أمثلة على رحمته في التعامل مع الآخرين؛ لأن جل التعاملات أفرد في هذا المؤتمر ببحث مستقل.

الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ، فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ هُؤَمٌ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ هُؤَمٌ إِبْرَاهِيمَ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ - نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى عليه السلام، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ،



فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمُ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمُهْدِ، وَكَلِمَةً مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمُ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتَوْنِي، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا؟ فَانْطَلِقْ، فَاتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ، وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يَقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ازْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَارْفَعْ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي... الحديث» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) البخاري: ك أحاديث الأنبياء، ب الأرواح جنود مجنده، ح ٣٣٤ - ٦ / ٣٧١ - مسلم: ك

الإيمان، ب أدنى أهل الجنة منزلة، ح ١٩٤ - ١ / ١٨٤.

قال العلامة محمد بن خفيف الفارسي: انظر هل وصف الله ﷻ أحدًا من عباده بهذا الوصف من الشفقة والرحمة التي وصف بها حبيبه ﷺ؟ ألا تراه في القيامة إذا اشتغل الناس بأنفسهم كيف يدع حدث نفسه، ويقول: «أمتي أمتي»؟ يرجع إلى الشفقة عليهم، ويقول: «إني أسلمت نفسي إليك، فافعل بي ما شئت، ولا تردني في شفاعتي في عبادك»<sup>(١)</sup>.

٢ - في حالة أخرى تشابه الحالة السابقة؛ في اللحظات الأخيرة، ورسول الله ﷺ يغادر هذه الدنيا، نجد أن من أهم ما يشغل باله، ويستأثر باهتمامه؛ فئة ضعيفة يخشى عليها من الجور أو الإهمال وتضييع الحقوق، عن علي رضي الله عنه قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم»<sup>(٢)</sup>.

٣ - وفي موقف آخر نلاحظ فيه قوة حضور الرحمة والشفقة؛ ودقة استحضار موجبها، عن صفية بنت حيي قالت: «كان النبي ﷺ معتكفًا، فأتته استحضار موجبها، عن صفية بنت حيي قالت: «كان النبي ﷺ معتكفًا، فأتته

(١) شعب الإيمان للإمام البيهقي: (٢ / ١٦٣).

(٢) البخاري في الأدب المفرد: ب حسن الملكة، ح ١٥٨ ص ٦٧، أبو داود: ك الأدب، ب في حق المملوك، ح ٥١٥٦، ٢ / ٧٦١ - ابن ماجه: ك الوصايا، ب هل أوصى رسول الله ﷺ ح ٢٦٩٨، ٢ / ٩٠١ - وينظر فتح الباري: ٥ / ٣٦٢.



أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ؛ لِأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِيَ؛ لِيَقْلِبَنِي - وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ - فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ». فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا - أَوْ قَالَ شَيْئًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

قال القاضي عياض رحمه الله: هو إشفاق منه على أمته، فقد كان بالمؤمنين رؤوفًا رحيماً، وخشيته من ظنهم به شيئاً؛ فيهلِّكوا<sup>(٢)</sup>.

٤ - وفي موقف اجتمعت فيه رزايا متعدّدة؛ تتعلق بشخصه الكريم ﷺ وبأتمته؛ حيث هزم جيش المسلمين في أول مواجهة مع الروم؛ واستشهد حبه زيد ابن حارثة، وابن عمه جعفر بن أبي طالب، وشاعره عبد الله بن رواحة رحمه الله؛ ومع شدة الرزية، وفي غمرة الانشغال بها وبآثارها؛ لا يَغْفُلُ القلبُ المُتَلَمِّئُ رحمةً، وشفقةً عن مُراعاة مواطنها وأهلها، فعن عبد الله بن جعفر رحمه الله قال: لما جاء نعي جعفر حين قُتِلَ قال النبي ﷺ: «اصْنَعُوا لَالِ جَعْفَرٍ طَعَامًا؛ فَقَدْ آتَاهُمْ أَمْرٌ

(١) البخاري: ك الاعتكاف، ب هل يخرج المعتكف...، ح ٢٠٣٥ - ٤ / ٢٧٨ - مسلم: ك

السلام، ب بيان أنه يستحب لمن رؤي خاليا بامرأة كانت زوجته...، ح ١٧٥ - ٤ / ١٧١٢.

(٢) إكمال المعلم شرح صحيح مسلم - للقاضي عياض: ٣٠ / ٧.

يَسْغَلُهُمْ، أَوْ أَنَاهُمْ مَا يَسْغَلُهُمْ»<sup>(١)</sup>.

٥ - ولأن النبي ﷺ مَفْطُورٌ على الرَّحمة، فقد كان معروفًا بالرَّحمة، ومشهودًا له بها حتى قبل البعثة، ففي حديث بدء الوحي، «لما رجع الرسول ﷺ خائفًا، يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لَخَدِيجَةَ - وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ -: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُذَكِّرُهُ بأفعاله، وخصاله الحميدة الدَّالَّة على عظيم رحمته وإحسانه؛ لِتُطَمِّنَ قلبه؛ إِذِ الْجُزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ.

٦ - وَيُؤَكِّدُ هَذَا عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ فِي لَامِيَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ، فيقول:

(١) أبو داود: ك الجنائز، ب صناعة الطعام لأهل الميت، ح ٣١٣٢، ٢/ ٢١٢ - الترمذي ك

الجنائز، ب الطعام يصنع لأهل الميت، ح ٣، ٩٩٨/ ٣٢٣، وقال: حديث حسن صحيح - ابن ماجه: ك الجنائز، ب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت، ح ١، ١٦١٠/ ٥١٤.

(٢) البخاري: ب كيف كان بدء الوحي...، ح ٣ - ٢٢/ ١ - مسلم: ك الإيمان، ب بدء الوحي،

ح ٢٥٢ - ١٣٩/ ١.

«وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْعَمَامُ بِوَجْهِهِ \* تُهَالِ الْيَتَامَى عِصْمَةُ لِلْأَرَامِلِ»<sup>(١)</sup>.

وعلى ضوء ما تقدّم فإن رحمة النبي ﷺ عَمَلٌ فِطْرِيٌّ طَبْعِيٌّ؛ ظاهرة في أحواله وتصرفاته ﷺ مع الجميع؛ يراها ويشعر بها كل من جالسه أو تعامل معه ﷺ<sup>(٢)</sup> فهذا مالك بن الحُوَيْرِثِ ﷺ يَفْدُوهُ هو ومَجْمُوعَةٌ من أقرانه، ومع أنهم شباب وضيوف؛ وجلسوا مُدَّةً قليلة، نَجِدُ أن الذي لفت انتباه مالك، ولاحظه في هذه الفترة الوجيزة هو رحمة النبي ﷺ فيقول: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري: ك الاستسقاء، ب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قنطوا، برقم: ١٠٠٨ - ٢ / ٤٩٤

- قال ابن الأثير في النهاية: الثمال - بالكسر - الملجأ والغياث. وقال: هو المطعم في الشدة.

١ / ٦٤٣ وقال: عصمة للأرامل، أي يمنعهم من الضياع والحاجة. ١ / ٦٤٣ - و ٣ / ٤٨٩.

(٢) بل ويشعر بها ويتفاعل معها من يقرأ سيرته الشريفة ﷺ.

(٣) البخاري: ك الأذان، ب من قال ليؤذن في السفر مؤذن واحد، ح ٦٢٨ - ٢ / ١١٠ - مسلم:

ك المساجد، بمن أحق بالإمامة، ح ٦٧٤ - ١ / ٤٦٥.

### المبحث الثالث

#### تأثير الرحمة في أخلاقه وأفعاله ومشاعره ﷺ

أولاً: تأثيرها في أخلاقه ﷺ:

للرحمة صلة وثيقة بعدد من الأخلاق - تتضح من خلال التعريفات والدوافع - والرحمة تشتمل وتتضمن - كذلك - معاني الرقة، والعطف، والمغفرة، والإحسان، وهي عوامل مؤثرة في أخلاق متعدّدة، وحينما ننظر في سيرة الرسول ﷺ نجد أن تأصل خلق الرحمة في نفسه الكريمة ﷺ عاد بالتأثير الإيجابي على الأخلاق الأخرى، وأضرب لذلك أمثلة:

#### ١ - الحلم:

قال الإمام الماوردي: وأسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة: أحدها: الرحمة للجّهال، وذلك من خير يوافق رقة. وقد قيل في منشور الحكم: مَنْ أَوْكَدَ الْحِلْمَ: رَحْمَةُ الْجُهَّالِ<sup>(١)</sup>.

وهذا السبب يكاد أن يكون هو الأظهر في كثير من مواقف الحلم التي في

سيرة الرسول ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي: ص ٢١١.





- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ أُمْتِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرَّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

## ٢ - الرفق<sup>(٢)</sup>:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُزِرْمُوهُ، دَعُوهُ». فَتَرَكَوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ» - أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -

(١) البخاري: ك فرض الخمس، ب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفه قلوبهم...، ح ٣١٤٩ -

٦ / ٢٥١ - مسلم: ك الزكاة ب إعطاء من يسأل بفحش، ح ١٠٥٧ - ٢ / ٧٣٠.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية: يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرافة فهو فعيل بمعنى فاعل...

والرفق: لين الجانب وهو خلاف العنف. (٢ / ٦٠٢) - وقال الليث الرفق لين الجانب

ولطافة الفعل. (لسان العرب: ١٠ / ١١٨).

قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِّنَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِّنْ مَّاءٍ، فَشَنَّهُ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>. متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فالرسول ﷺ لم يُجْمَلْ في منع الصحابة الكرام عن تعنيف الأعرابي، بل وَضَحَ مَقْصِدَهُ، فقال: «لَا تُزْرِمُوهُ» أي: لا تقطعوا عليه بوله، (وحبس البول يُحْصَلُ لصاحبه ضرراً، فكان فيه زيادة ضرر على تنجيس المسجد بعد وقوعه، فهذا من رفقهِ ﷺ بأمته، وحُسن نظره لهم)<sup>(٣)</sup>.

وفي مَوْقِفٍ آخر تُحْبِرُ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول: كنت على بعير فيه صُعوبة، فجعلت أضربه، فقال النبي ﷺ: «عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ؛ فَإِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانُهُ»<sup>(٤)</sup>. والأمر بالرفق، واضح باعْثُهُ، وهو عدم إيذاء هذه الدابة بالضرب.

### ٣ - العفو والصفح:

قال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَآنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾... الآية.

(١) البخاري: ك الأدب، ب الرفق في الأمر كله، ح ٦٠٢٥ - ١٠ / ٤٤٩ - مسلم: ك الطهارة، ب

وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، ح ٢٨٤ - ١ / ٢٣٦.

(٢) طرح الشريب في شرح التقريب للحافظ العراقي: ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) رواه مسلم: ك الأدب، ب فضل الرفق، ح ٢٥٩٤، ٤ / ٢٠٠٤ - والبخاري في لأدب

المفرد: باب الخرق، ح ٤٥٧، ص ١٦٧ - واللفظ له.

والتفريع في قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ على قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَ لَهُمْ﴾... الآية؛ لأن جميع الأفعال المأمور بها مناسب للين<sup>(١)</sup>.

ومن أعظم المواقف التي تجلّى فيها عظيم عفوه ﷺ موقفه من أهل مكة حينما دخلها فاتحاً، فقد كانوا لا يشكّون في استئصال شأفتهم، وإبادة خضرائهم - نظراً لما فعلوه به، وبأصحابه من الأذى والمহারبة - ولكن هل حدث ما توقّعوه، وما يستحقونه؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة استعمل رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على إحدى المَجَنَّبَتَيْنِ، وخالد بن الوليد على الأخرى. قال: فَبَصُرَ بي رسول الله ﷺ في كَبْكَبَةٍ، فهتف بي. قلت: لبيك يا رسول الله. قال: «اهْتَفِ بِي بِالْأَنْصَارِ» فهتفتُ بهم، فطافوا برسول الله ﷺ كأنهم كانوا على ميعاد. قال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّ قُرَيْشًا قَدْ جَمَعُوا لَنَا، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاحْصُدُوهُمْ حَصْدًا حَتَّى تَوَافُوْنِي بِالْصَّفَا، الصَّفَا مِيعَادُكُمْ» قال أبو هريرة: فما لقينا منهم أحداً إلا فعلنا به كذا وكذا، وجاء أبو سفيان، فقال: يا رسول الله، أَبَحَّتْ خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم. قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السَّلَاحَ فَهُوَ آمِنٌ»

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور: ٢٦٧/٣.

ولجأت صناديد قريش وعظماءها إلى الكعبة - يعني: دخلوا فيها - قال: فجاء رسول الله ﷺ حتى طاف بالبيت، فجعل يمرُّ بتلك الأصنام، يقطعُها بسية القوس، ويقول: «جاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زهوقاً» حتى إذا فرغ، وصلى جاء، فأخذ بعِصدي الباب، ثم قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَقُولُونَ؟» قالوا: نقول: ابنُ أخ وابن عم رحيم كريم. ثم عاد عليهم القول قالوا: مثل ذلك. قال: «فَإِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي يُوسُفُ «لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» فخرجوا، فبايعوه على الإسلام<sup>(١)</sup>. ويُلحَظ - هنا - أن قريشاً استرَحمت الرسول ﷺ بالقراية، والرَّحِم، وبصفته: الرحيم. وبالجمله «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتى إليه حتى يُنتَهَكَ من حُرْمَاتِ اللَّهِ؛ فينتقم لله» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

## ثانياً: تأثير الرَّحمة في أفعاله ﷺ :

كان ﷺ يعمل العمل، ودافعهُ: الرَّحمة بأصحابه، ويترك العمل - وهو

(١) رواه النسائي في الكبرى: ك التفسير، سورة الإسراء، ح ١١٢٩٨، ٦/ ٣٨٢ - وينظر

صحيح مسلم: ح ٤٧٢٢.

(٢) البخاري: ك المناقب، ب صفة النبي ﷺ، ح ٣٥٦٠ - ٦/ ٥٦٦ - مسلم: ك الفضائل،

مباعدته ﷺ للآثام...، ح ٢٣٢٧، ٤/ ١٨١٣.

يُحِبُّهُ - خَوْفًا أَنْ يُفْرَضَ أَوْ يُقْتَدَى بِهِ فِيهِ؛ فَيَشُقُّ بِذَلِكَ عَلَى أُمَّتِهِ، وَالْأَمْثَلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جَدًّا، مِنْهَا:

١ - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْعَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ، فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ، ثُمَّ شَرِبَ فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ»<sup>(١)</sup>.

٢ - وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقْصُرُ الصَّلَاةَ إِذَا سَمِعَ بَكَاءَ الصَّبِيِّ فِي الْمَسْجِدِ؛ رَحْمَةً بِهِ وَبَأَمِّهِ، مَعَ أَنَّ الصَّلَاةَ هِيَ قُرَّةُ عَيْنِهِ ﷺ، وَشُهُودُ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ لِلصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ لَيْسَ وَاجِبًا، فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»<sup>(٢)</sup>.

٣ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ (أَوْ شَابًّا)، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا (أَوْ عَنْهُ) فَقَالُوا: مَاتَ. قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ أَذْنَتُمُونِي». قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَرُوا أَمْرَهَا (أَوْ أَمْرَهُ) فَقَالَ: «ذُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ».

(١) صحيح مسلم: ك الصيام، ب جواز الفطر في شهر رمضان للمسافر...، ح ١١١٤، ٧٨/٢.

(٢) صحيح البخاري: ك الآذان، ب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ح ٧٠٧ - ٢٠١/٢.

فدُلُّوه، فصلى عليها، ثم قال: «إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ وَجَلَّ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>. وسؤال النبي ﷺ عن هذه المسكينة يدلُّ على كمال تفضُّله، وحسن تعهُّده، وكرم أخلاقه، وتواضعه، ورأفته ورحمته، وتنبهه على أن لا يُخْتَقَرَّ مُسْلِمٌ، ولا يُصَغَّرَ أَمْرُهُ<sup>(٢)</sup>.

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَا أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ». متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

وقد كان هذا ظاهرًا من حاله ﷺ حتى قالت عائشة رضي الله عنها: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِنَّمَا، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ

(١) البخاري: ك الصلاة، ب كنس المسجد...، ٤٥٨ - ١ / ٥٥٢ - مسلم: ك الجنائز، ب

الصلاة على القبر، ح ٩٥٦، ٢ / ٦٥٩ - واللفظ له -.

(٢) المفهم للقرطبي: ٦١٨ / ٢.

(٣) البخاري: ك الإيمان، ب الجهاد من الإيمان، ح ٣٦ - ١ / ٩٢ - مسلم: ك الجهاد، ب فضل

الجهاد...، ح ١٨٧٦، ٣ / ١٤٩٥ - واللفظ له -.

مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُتَّهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَسْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: تأثير الرحمة في مشاعر النبي ﷺ:

لم يقتصر أثر الرحمة النبوية على أخلاقه وأفعاله - فقط - بل لعمقها وأصالتها في نفسه الكريمة، ظهر أثرها في مشاعره، وصارت تُعرف من حاله قَبْلَ فعله أو بيانه.

١ - أرسلت إحدى بنات النبي ﷺ إليه: تدعوه وتخبره أن صبيّاً لها أو ابناً لها في الموت، فقال للرسول: «ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا أَنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ». فَأَعَادَتْ الرُّسُولَ أَنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَيْهِ، وَنَفْسُهُ تَقَعَّقُ كَأَنَّهَا فِي شَنْ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذَا؟ قَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ». متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فقوله: (فقال هذه) أي: الدمعة أثر رحمة، أي: أن الذي يفيض من الدمع

(١) تقدم ذكره.

(٢) البخاري: ك الجنائز، ب قول النبي ﷺ: يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه....،

ح ٣، ١٢٨٤ / ١٥١ - مسلم: ك الجنائز، ب البكاء على الميت، ح ٩٢٣، ٢ / ٦٣٥.

من حزن القلب بغير تعمُّد من صاحبه، ولا استدعاء لا مؤاخذه عليه<sup>(١)</sup>.

٢ - تلاحظ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تغير حالة النبي ﷺ عند رؤية الغيم، فتقول: «كان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرِفَ في وجهه، فقالت: يا رسول الله، إن الناس إذا رأوا الغيمَ فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عُرِفَ في وجهك الكراهية؟ فقال: «يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عَذَّبَ قَوْمٌ بِالرَّيْحِ، وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ، فَقَالُوا: هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

٣ - وفي موقف عجيب اجتمعت فيه مشاعر وانفعالات متعارضة، وظهر فيه أثر الرحمة النبوية في فعله، وقوله، ومشاعره ﷺ، وقد أحسن الصحابي الجليل جرير بن عبد الله رضي الله عنه في وصف الموقف حتى كأننا نشاهده، حيث يقول: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ، مُجْتَابِي النَّارِ أَوْ الْعَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرٍّ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِإِلَآءٍ، فَأَذَنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى، ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ: «يَتَأَيُّمُ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

(١) ابن حجر، فتح الباري: ١٥٧/٣.

(٢) البخاري: التفسير، ب «فلما رأوه عارضا...» ح ٤٨٢٩ - ٥٧٨/٨ - مسلم، ك صلاة

الاستسقاء، ب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، ح ٨٩٩، ٦١٦/٢.





نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ [النساء: ١]، وَالْآيَةُ الَّتِي فِي الْحَشْرِ: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ ﴾ [الحشر: ١٨] تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ: فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبُصْرَةٍ كَادَتْ كُفَّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>.

وشرح مواضع الرحمة في هذا الحديث يطول، ولكن تأمل كيف كان حاله ﷺ التي دلت عليها تعابير وجهه الكريم، حينما دخل عليه هؤلاء، وحاله حينما استجاب المسلمون لدعوته.

٤ - ومع ذلك فإن أحيى المشاعر، وأعمقها لا تتفجر عنده في هذه المواقف العادية المألوفة - فقط - بل كانت عواطفه الرقيقة تتجه نحو القيم العليا، فلقد كان لاهتمامه بنجاة الناس، والآلام التي يُحسُّها حين يرى ضلالهم، كان

(١) صحيح مسلم: ك الزكاة، ب الحث على الصدقة...، ح ١٧٠٢ / ١٠١٧ / ٧٠٤.

لذلك تأثير مُوجعٌ على نفسه<sup>(١)</sup>.

قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ

أَسْفًا﴾ [الكهف:٦]، فهذه مُعاتبة من الله عز ذكره على وجده بمباعدة قومه إياه فيما

دعاهم إليه من الإيمان بالله، والبراءة من الآلهة والأنداد، وكان بهم رحيمًا<sup>(٢)</sup>.

ويؤيّد أن حزنه إنما هو رحمة وشفقة - وليس بسبب إيذائهم أو نحوه - ما

رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع لنا ربك أن يجعل لنا

الصفاء ذهبًا ونؤمن بك. قال: وتفعلون؟ قالوا: نعم. قال: فدعا فأتاه جبريل فقال:

إِنَّ رَبَّكَ ﷻ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: إِنَّ شَيْئًا أَصْبَحَ لَهُمُ الصَّفَاءُ ذَهَبًا، فَمَنْ

كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَذَّبْتُهُ عَذَابًا لَا أَعْدُّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ وَإِنْ شِئْتَ فَتَحْتُ لَهُمْ

باب التوبة والرحمة. قال: «بَلْ بَابُ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ». رواه أحمد وأحمد والحاكم<sup>(٣)</sup>.

فقد اختار ﷺ التائي بهم - مع ما فيه من زيادة التعب والمشقة عليه - إلا

أنه أرجى لإسلامهم.

(١) ينظر دستور الأخلاق محمد عبد الله دراز: (٦٠٠-٦٠١) بتصرف يسير.

(٢) تفسير الإمام الطبري: ١٥/١٥١.

(٣) المسند: ١/٢٤٢ - المستدرک: ك التفسير، ب سورة المائدة، ٢/٣١٤، وصححه ووافقه



## المبحث الرابع

### محَبته ﷺ للرحمة وأهلها

من دلائل تأصّل خُلُق الرّحمة في نفس رسول الله ﷺ محبته أن ينتشر هذا الخلق، وسعيه ﷺ في ذلك بقوله وفعله، وكذلك محبته للمتّصّفين بالرّحمة، وثناؤه عليهم، وتأكيد هذه الدّلالة إذا استصحبنا قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢-٣].

والرسول ﷺ «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»<sup>(١)</sup> فكل ما استحسنه، وأثنى عليه، ودعا إليه فقد تحلّى به، وكل ما استهجنه، ونهى عنه تجنّبه، وتحلّى عنه<sup>(٢)</sup>.  
إذا فالرسول ﷺ حينما يدعو إلى الرّحمة، ويرغب فيها فهو أوّل المبادرين إليها، وسأشير إلى مظهرين من مظاهر محبّته ﷺ للرحمة، هما:

الأوّل: الترغيب فيها.

والثاني: محبة أهلها، والثناء عليهم.

(١) صحيح مسلم: ك صلاة المسافرين/ ب جامع صلاة الليل...، ح ٧٤٦ - ١ / ٥١٢.

(٢) فيض القدير للمناوي: ١٧٠ / ٥.

## أولاً: الترغيب في الرحمة:

وردت نصوص كثيرة جداً في الترغيب في الرحمة، بأساليب مُتَنَوِّعة، منها:  
عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»<sup>(١)</sup>.

ويذكر الرسول ﷺ المؤمنين أن العمل بهذا الخُلُق فيه مصلحة للجميع، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادُّهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ، وَالْحُمَى». متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

بَوَّبَ عَلَيْهِ الْإِمَامُ ابْنُ حَبَانٍ رحمته الله: ذِكْرُ تَمَثِيلِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ مِنَ الشَّفَقَةِ وَالرَّأْفَةِ<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ك الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة...، ح ٢٨٦٥، ٤/٢١٩٧.

(٢) البخاري: ك الأدب، ب رحمة الناس والبهائم، ح ٦٠١١-١٠/٤٣٨- مسلم: ك البر والصلة، ب تراحم المؤمنين...، ح ٢٥٨٦-٤/١٩٩٩.

(٣) صحيح ابن حبان: ح ٢٣٣ (١/٤٦٩).

٣ - من أراد أن يدخل في رحمة الله فليرحم الخلق:

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه قال: «وَأِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءُ». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

فأتي بصيغة العموم؛ ليشمل جميع أصناف الخلق، فيرحم البر والفاجر، والناطق والبهيم، والوحوش والطيور<sup>(٣)</sup>.

ثانيا: محبته للمتصفين بالرحمة وثناؤه عليهم:

١ - أبو بكر الصديق رضي الله عنه صديق رسول الله ﷺ قبل البعثة، وأحب الناس إليه، وأقربهم منه بعد البعثة، ويُشبهه أن يكون من أسباب ذلك مُشابهته للنبي ﷺ في أخلاقه، «خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قَبْلَ الْحَبَشَةِ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أبو داود: ك الأدب، ب في الرحمة، ح ٤٩٤٣، ٤ / ٤٤٠ - الترمذي: ك البر والصلة، ب رحمة المسلمين، ح ١٩٢٤، ٤ / ٣٢٣ وقال حسن صحيح.

(٣) تحفة الأحوذى للمباركفوري نقلا عن الإمام الطيبي: ٤٣ / ٦.

الْعِمَادِ لِقِيهِ ابْنُ الدَّغْنَةِ - وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ - فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، فَأَعْبُدَ رَبِّي. قَالَ ابْنُ الدَّغْنَةِ: إِنَّ مِثْلَكَ لَا يُخْرَجُ، وَلَا يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَارْجِعْ فَأَعْبُدْ رَبَّكَ بِيْلَادِكَ<sup>(١)</sup>.

وما قاله ابنُ الدَّغْنَةِ في أبي بكر الصديق هو ما وصفت به خديجة عليها السلام رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup> و«الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»<sup>(٣)</sup>.

وقد أثنى الرسول ﷺ على أبي بكر، فقال: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ»<sup>(٤)</sup>.

٢ - يخطب الرسول ﷺ ابنة عمه أم هانئ بنت أبي طالب عليها السلام وهذا شَرَفٌ تتمناه كل امرأة، فماذا أجابت؟

(١) صحيح البخاري: ك مناقب الأنصار، ب هجرة النبي ﷺ - ح ٣٩٠٥، ٧/ ٢٣٠.

(٢) تقدم ذكره.

(٣) صحيح مسلم: ك البر والصلة، ب الأرواح جنود مجندة، ح ٤، ٢٦٣٨، ٢٠٣١.

(٤) الترمذي ك المناقب، ب مناقب معاذ بن جبل...، ح ٥، ٣٧٩١/ ٦٦٥ - وقال: حسن

صحيح - ابن ماجه: المقدمة، ب فضائل خباب، ح ١٥٤ -.

قالت: يا رسول الله، إني قد كبرتُ، ولي عيال<sup>(١)</sup>.

عندئذ قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الْإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءٍ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»<sup>(٢)</sup>.

٣ - عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عَنْدهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ». متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

٤ - ومن محبته ﷺ للرحماء أنه يُقَرِّبُهُمْ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ،

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا - وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ: السَّبَابَةُ وَالْوُسْطَى»<sup>(٤)</sup> وذلك؛ لما فيه من حُسْنِ الْخِلَافَةِ لِلأَبْوَيْنِ، وَرَحْمَةِ الصَّغِيرِ، وَذَلِكَ مَقْصُودٌ عَظِيمٌ فِي الشَّرِيعَةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) في رواية عند ابن سعد في الطبقات (٨ / ١٥١): ولكنني امرأة مصيبة وأكره أن يؤذوك.

(٢) صحيح مسلم: ك فضائل الصحابة... ب من فضائل نساء قريش، ح ٢٥٢٧، ٤ / ١٩٥٨.

(٣) البخاري: ك الشركة، ب الشركة في الطعام والنهد والعرض، ح ٢٤٨٦، ٥ / ١٢٨ - مسلم:

ك فضائل الصحابة... ب من فضائل الأشعرين، ح ٢٥٠٠، ٤ / ١٩٤٤.

(٤) صحيح البخاري: ك الأدب ب فضل من يعول يتيما، ح ٦٠٠٥، ١٠ / ٤٣٦، من حديث

سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٥) فيض القدير للمناوي: ٤٩ / ٣.

## المبحث الخامس

### تأثير رحمته ﷺ في الآخرين

ما خرج من القلب وصل إلى القلب<sup>(١)</sup>، هذه الحكمة تُغني عن الإطالة في بيان قوة تأثير الشيء حينما يكون صادرًا عن طبيعة، وجِبَلَّة، بلا تكلف، أو ادّعاء، ولأن خُلِقَ الرَّحْمَةُ قَدْ مَلَأَ قَلْبَ النَّبِيِّ ﷺ فقد بلغ تأثيره في الآخرين مبلغًا كبيرًا، ومن أعظم مظاهر ذلك التأثير محبتُّهم للنبي ﷺ، واجتماعهم عليه، وطاعتهم له كما قال المولى سبحانه: ﴿فَيَمَّا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾... الآية.

وفي كتب السُّنَّة، وسِيَرِ الصحابة الكرام - رضوان الله تعالى عليهم - أمثلة كثيرة، وصُورٌ مُتَنَوِّعة لتأثير رحمته ﷺ، سأكتفي بنماذج تتعلّق بأحد أنواع التأثير، وهو: العمل بخُلُقِ الرَّحْمَةِ، وانتشارها، ومنها:

#### ١ - الاستجابة للرحمة النبوية:

يقول أبو مسعود البديري رحمه الله: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»، فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ؛ مِنْ الْغَضَبِ. قَالَ: فَلَمَّا

(١) ينظر: أبو نعيم، حلية الأولياء: ٣٥١ / ٢ - ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله: ٨ / ٢.



دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «اعْلَمَ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمَ أَبَا مَسْعُودٍ». قَالَ: فَالْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدَيَّ، فَقَالَ: «اعْلَمَ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ».

ولما سمع أبو مسعود تذكير رسول الله ﷺ ويُسبِّه أن يكون في نبرة صوته، وتعبير وجهه ما يدلُّ على عظيم الشفقة والرحمة - لم يكتفِ بإيقاف الضرب، بل رأى أن الأمر يستحقُّ أكبر من ذلك، فقال: «لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا، وَقَالَ: هُوَ حُرٌّ لِرُؤُوسِهِ اللَّهِ».

وهذا ما كان سيأمره به الرسول ﷺ إذ قال: «أَمَّا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَحْتُكَ النَّارَ، أَوْ لَمَسْتُكَ النَّارَ»<sup>(١)</sup>؛ فقد كان الحال أسرع من المقال.

قال النبي ﷺ لأبي الهيثم بن التَّيْهَانِ: «هَلْ لَكَ خَادِمٌ؟» قَالَ ﷺ: لَا. قَالَ: «فَإِذَا أَتَانَا سَبْيٌ فَأَتِنَا». فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِرَأْسَيْنِ لَيْسَ مَعَهُمَا ثَلَاثُ، فَأَتَاهُ أَبُو الْهَيْثَمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اخْتَرْتُ مِنْهُمَا». فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، اخْتَرْتَنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، خُذْ هَذَا، فَإِنِّي رَأَيْتُهُ يُصَلِّي، وَاسْتَوْصِ بِهِ مَعْرُوفًا».

فكيف طبق أبو الهيثم ﷺ هذه الوصية؟

(١) صحيح مسلم: ك الأيمان، ب صحبة المالك...، ح ١٦٥٩، ٣/ ١٢٨٠.

يقول الراوي: «فانطلق أبو الهيثم إلى امرأته، فأخبرها بقول رسول الله ﷺ، فقالت امرأته: ما أنت ببالغ ما قال فيه النبي ﷺ إلا أن تُعْتَقَهُ. قال: فهو عتيق<sup>(١)</sup>. فقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا، وَلَا خَلِيفَةً إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ حَبَالًا، وَمَنْ يُوقَ بِطَانَةَ السُّوءِ فَقَدْ وُقِيَ<sup>(٢)</sup>».

فاقتنع بكلامها ﷺ وأعتقه، وذلك إما أنها خشيًا أن يُقَصَّرَ في تطبيق الوصية، أو أنها رأيا من حال الغلام - في دينه أو بدنه - ما فهمها منه أن المعروف الذي يستحقه هو العتق، خاصة أن أبا الهيثم طلب من الرسول ﷺ أن يختار له، ثم إن رسول الله ﷺ لم يُنْكِرْ عليهما ما فعلا.

٢ - وفي تطبيق معاني الرحمة التي أمر بها النبي ﷺ عن معاوية بن سويد قال: لَطَمْتُ مَوْلَى لَنَا، فَهَرَبْتُ، ثُمَّ جِئْتُ قُبَيْلَ الظُّهْرِ، فَصَلَّيْتُ خَلْفَ أَبِي، فَدَعَاهُ وَدَعَانِي، ثُمَّ قَالَ: امْتَثِلْ مِنْهُ، فَعَفَا، ثُمَّ قَالَ: كُنَّا بَنِي مُقَرَّرٍ عَلَى عَهْدِ رَسُولٍ

(١) في رواية عند الطحاوي في شرح مشكل الآثار (ح ٤٧٢ - ٤٠٩/١): فانطلق به أبو الهيثم

فلما أتى أهله قال إن النبي ﷺ قد أوصاني بك خيرا فأنت حر لوجه الله تعالى.

(٢) سنن الترمذي: ك الزهد، ب معيشة أصحاب النبي ﷺ ح ٢٣٩٦، ٤/ ٥٨٣ وقال: حسن

صحيح غريب.



الله ﷻ لَيْسَ لَنَا إِلَّا خَادِمٌ وَاحِدَةٌ، فَلَطَمَهَا أَحَدُنَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «أَعْتَقُوهَا» قَالُوا: لَيْسَ هُمْ خَادِمٌ غَيْرُهَا. قَالَ: «فَلْيَسْتَحْدِمُوهَا، فَإِذَا اسْتَعْنَوْا عَنْهَا فَلْيُحَلُّوا سَبِيلَهَا»<sup>(١)</sup>.

٣ - وفي الاقتداء بالرسول ﷺ في رحمته ورفقه:

- عَنْ الْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: «كُنَّا عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ بِالْأَهْوَازِ قَدْ نَضَبَ عَنْهُ الْمَاءُ، فَجَاءَ أَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ عَلَى فَرَسٍ، فَصَلَّى، وَخَلَّى فَرَسَهُ، فَانْطَلَقَتِ الْفَرَسُ، فَتَرَكَ صَلَاتَهُ، وَتَبِعَهَا حَتَّى أَدْرَكَهَا، فَأَخَذَهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَضَى صَلَاتَهُ، وَفِينَا رَجُلٌ لَهُ رَأْيٌ، فَأَقْبَلَ يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ تَرَكَ صَلَاتَهُ مِنْ أَجْلِ فَرَسٍ! فَأَقْبَلَ، فَقَالَ: مَا عَنَّفَنِي أَحَدٌ مُنْذُ فَارَقْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: إِنَّ مَنْزِلِي مُتَرَاخٍ، فَلَوْ صَلَّيْتُ وَتَرَكْتُهُ لَمْ آتِ أَهْلِي إِلَى اللَّيْلِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ، فَرَأَى مِنْ تَيْسِيرِهِ»<sup>(٢)</sup>.

- عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوِدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَيُّ أَكْرَهُ أَنْ أُمْلِكُكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهِ؛

(١) صحيح مسلم: ك الأيمان، ب صحبة المالك...، ح ١٦٥٨، ٣/ ١٢٧٩.

(٢) صحيح البخاري: ك الأدب، ب قول النبي ﷺ: يسروا...، ح ٦١٢٧، ١٠/ ٥٢٥.

خَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

- هذا مثال من طريقة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه التي وصفها حبة ابن جوين العُرني لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث يقول: كنا جلوسًا عند علي، فذكرنا بعض قول عبد الله، وأثنى القوم عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلاً أحسن خُلُقًا، ولا أرفق تعليمًا، ولا أشد ورعًا، ولا أحسن مُجَالَسَةً من ابن مسعود<sup>(٢)</sup>.

- خرج عدي بن حاتم رضي الله عنه إلى مجلس قومه، فأقيمت الصلاة، فتقدم إمامهم، فأطال الصلاة والجلوس، فلما انصرف قال عدي: من أَمِنَا منكم فليُتِمِّمِ الركوع والسجود؛ فإن خلفه الصغير والكبير، والمريض، وابن السبيل، وذا الحاجة، فلما حضرت الصلاة تقدم عدي فأتَمَّ الركوع والسجود، وتجاوز في الصلاة، فلما انصرف قال: هكذا كنا نُصَلِّي خلف النَّبِيِّ<sup>(٣)</sup>.

- عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَآ

(١) البخاري: ك العلم، ب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعدة والعلم كي لا ينفروا، ح ٦٨، ١/١٦٢ - مسلم: ك صفات المنافقين، بالاقتصاد في الموعدة، ح ٤، ٢٨٢١/٢١٧٢.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة: ٧/٥٢٢ برقم: ١٧.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ١٧/٩٣ ح ٢٢٢.



تُكَلِّ أُمِّيَّاهُ! مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لِكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَإِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا صَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي. قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ»<sup>(١)</sup>.

- ولقد أثرَ رفق النبي ﷺ في نفس معاوية - كما يدل عليه كلامه السابق -، وفي معاملته لغيره إذ حصل في مرة أن غضب على جارية له، فضربها، وشعر عند ذلك أن هذا خلاف ما تعلمه من الرسول ﷺ، فسارع يستشيريه في إصلاح ما بدر منه، فيقول: كَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا الذِّبُّ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ، لِكِنِّي صَكَّكْتُهَا صَكَّةً، فَاتَّيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَعَظَمَ ذَلِكَ عَلَيَّ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا؟ قَالَ: «إِنِّي بِهَا» فَاتَّيْتُ بِهَا، فَقَالَ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: «أَعْتِقُهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤَمَّنَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح مسلم: ك المساجد ومواضع الصلاة، بتحريم الكلام في الصلاة...، ح ٥٣٧،

(٢) صحيح مسلم: نفس الموضع السابق.

- عن أبي إسحاق السبيعي قَالَ: كَانَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي بَعْثٍ بِأَرْمِينَةَ قَالَ: فَأَصَابَتْهُمْ مَحْمَصَةٌ أَوْ مَجَاعَةٌ قَالَ: فَكَتَبَ جَرِيرٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَمْ يَرْحَمْ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَقْفَلَهُمْ، وَامْتَعَهُمْ<sup>(١)</sup>.

إن هذه الأمثلة، والشواهد تُبَيِّنُ شيئاً يسيراً من النجاح الذي حققه الرسول ﷺ - بقوله وعمله - في نشر وتعميق خُلُقِ الرَّحْمَةِ في مُجْتَمَعِ الصحابة الكرام - رضوان الله تعالى عليهم - النجاح الذي أخبر عنه المولى سبحانه فقال: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ<sup>ع</sup> وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ<sup>ط</sup> تَرْتَهُمُ رُكْعًا<sup>ط</sup> سُجَّدًا<sup>ط</sup> يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا<sup>ط</sup> سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ<sup>ع</sup> ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ<sup>ع</sup> وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزِعٍ<sup>ع</sup> أُخْرِجَ شَطْفُهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ<sup>ط</sup> وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

\*\*\*

(١) مسند الإمام أحمد: ٤/ ٣٦١، والمعنى أنه أمرهم بالعودة إلى ديارهم، وزادهم أن أهدهم من

## لِلْحَيَاةِ

الحمد لله رب العالمين الذي جعلنا من هذه الأمة المرحومة، وامتَنَّ علينا  
 بنبي الرَّحمة ﷺ، وبعد هذه الإطلالة المختصرة والمُمتعة، على بعض أحوال  
 الرسول ﷺ وأعماله، أختتم هذا البحث بِذِكْرِ أَبرز النتائج، والتوصيات، وهي:  
 ١ - أن الرسول ﷺ مَفْطُورٌ عَلَى الرَّحمة وهي خُلُقُه، بِدَلالة القرآن،  
 وملازمته لها، وظهورها في تصرُّفاته، وتأثيرها في الآخرين.

٢ - أن الله تعالى أشاد برحمة الرسول ﷺ وامتَنَّ بها؛ وبَيَّن أثرها؛ ولذا  
 فبيان هذه الرَّحمة والحديث عنها أمرٌ مُهمٌّ سواءٌ للمسلمين - للاقتداء والمحبة -  
 ولل كفار دعوة وإعذارًا.

٣ - أن الرَّحمة أصل من أصول الأخلاق؛ ينبني عليه الكثير من  
 السُّلوكِيَّات، والأعمال؛ فلا بد أن تُعْطَى حَقُّها من الدعوة والبيان.

٤ - أن اتَّصاف الإنسان بالرَّحمة من أقوى وسائل التأثير في الآخرين؛  
 فَحَرِيٌّ بِأهل العلم والدعوة، أن يَتَقَدُّوا بالرسول ﷺ في العمل، والتعامل  
 بِالرَّحمة.

٥ - تأثير اتصاف الرسول ﷺ بالرحمة موضوع يستحق العناية والإبراز؛ إذ له علاقة بالسيرة، والدفاع عن الرسول ﷺ، والدعوة للرحمة، ومحبة الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

٦ - التجديد في عرض السيرة النبوية ووقائعها؛ من خلال التعريف بشخصية الرسول ﷺ، وأخلاقه، وأعماله؛ وإبراز جوانب التميز، والعظمة، والتأثير فيها، وعدم الاختصار على السرد التاريخي فقط، تقوية للمحبة؛ وتحفيزاً على الاقتداء.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

\*\*\*





## قائمة المراجع

- (١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، علاء الدين بن بلبان الفارسي (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق وتخرّيج: شعيب الأرناؤوط، الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- (٢) الأخلاق الإسلامية وأُسُسُها، عبد الرحمن حسن حنكة الميداني، دار القلم - دمشق، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ.
- (٣) أدب الدنيا والدين، الإمام أبي الحسن محمد بن حبيب الماوردي - شرح وتعليق محمد كريم راجح - دار إقرأ - بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
- (٤) الأدب المفرد، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ.
- (٥) أساس البلاغة، أبو القاسم جارا الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق محمد باسل السواد - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ.
- (٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم، الإمام عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- (٧) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور - محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي - مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- (٨) تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية بيروت.

- (٩) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- (١٠) تفسير الطبري = جامع البيان.
- (١١) تفسير القرآن العظيم، الإمام إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٨٧م.
- (١٢) تفسير القرآن العظيم مسنداً، الإمام عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم (٣٢٧هـ) تحقيق: أسعد محمد طيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- (١٣) تيسير الكريم المنان في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - تحقيق د. عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٠هـ.
- (١٤) جامع بيان العلم وفضله، الإمام يوسف ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب الإسلامية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.
- (١٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق د. عبد الله التركي، دار هجر - الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- (١٦) الجامع الصحيح المسند من أحاديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري = فتح الباري.
- (١٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.



- (١٨) دستور الأخلاق في القرآن - محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق د. عبد الصبور شاهين مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البحوث العلمية.
- (١٩) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت ٢٧٥هـ)، صححه ورقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربية، دون تاريخ.
- (٢٠) سنن أبي داود، سليمان الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، إعداد: عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.
- (٢١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ)، تحقيق: أحمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ.
- (٢٢) السنن الكبرى، الإمام أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) تحقيق: د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسرواي دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- (٢٣) سنن النسائي، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ)، مع شرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.
- (٢٤) شرح مشكل الآثار، الإمام أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- (٢٥) شعب الإيثار، الإمام أحمد الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- (٢٦) صحيح ابن حبان = الإحسان.

- (٢٧) صحيح البخاري = الجامع الصحيح.
- (٢٨) صحيح مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، دون تاريخ.
- (٢٩) الطبقات الكبرى، الإمام محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ)، دار الفكر، دون تاريخ.
- (٣٠) طرح التثريب في شرح التقريب، الإمام أبي الفضل عبد الرحيم العراقي (ت ٨٠٦هـ) وابنه أبي زرعة (٨٢٦هـ) دار إحياء التراث - بيروت.
- (٣١) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري، الحافظ أحمد بن علي ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، المكتبة السلفية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ.
- (٣٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المحدث عبدالرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دون تاريخ.
- (٣٣) لسان العرب، الإمام محمد بن منظور المصري، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى.
- (٣٤) المخصص، لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- (٣٥) المستدرك على الصحيحين، الإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) دار المعرفة - بيروت - طبعة مذيلة بتلخيص الذهبي.
- (٣٦) المسند، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، طبعة المكتبة الإسلامية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- (٣٧) المصنف في الأحاديث والآثار، الإمام عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، تحقيق: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.



- (٣٨) المعجم الكبير للطبراني، أحمد بن سليمان (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، الطبعة الثانية، دون تاريخ.
- (٣٩) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ.
- (٤٠) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة - بيروت.
- (٤١) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، الإمام أبي العباس الحسن بن عمر القرطبي (ت ٦٥٦هـ) تحقيق: محيي الدين مستو، وآخرون، دار ابن كثير والكلم الطيب، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- (٤٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، الإمام أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ.

\*\*\*

ایض



# منهج النبي ﷺ في أخلاقه

إعداد

د. مصطفى سي يعقوب







## المقدمة

إِنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية (١٠٢).

(٢) سورة النساء، الآية: (١).

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: (٧٠-٧١).

أما بعد:

فَإِنَّ مُحَمَّدًا ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۖ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطَطُهُ فَأَزَّزَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾.

«إنَّه سيّد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من ينشق عنه القبر، وأوّل شافع، وأوّل مشفّع»<sup>(٢)</sup>، «كان أول بدء أمره ﷺ بدعوة أبيه إبراهيم، وبشرى نبي الله عيسى ﷺ به، ونورا رآته أمّه خرج منها فأضاءت به قصور الشام»<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الفتح، الآية: (٢٩).

(٢) رواه مسلم: باب تفضيل نبيّنا ﷺ على جميع الخلائق برقم: (٦٠٧٩).

(٣) رواه أحمد من مسند العرياض بن سارية برقم: (١٧١٩٠)، قال الأرئوط صحيح لغيره،

(٤/١٢٧)، والبخاري في مسنده المعروف بالبحر الزاخر، من مسند العرياض بن سارية:

(١٠/١٣٥)، برقم: (٤١٩٩)، وقال: «وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن رسول الله ﷺ

بإسناد متصل عنه بأحسن من هذا الإسناد» إشارة منه ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ

فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[البقرة: ١٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].



وقد شرف الله نسبه ﷺ، فهو «مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مِرَّةٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ عَلَابٍ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسٍ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارٍ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ»<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن هذا النبي ﷺ كان عظيمًا في أخلاقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup>، مثلما كان عظيمًا في أسماؤه، فهو «مُحَمَّدٌ، وهو أحمد، وهو الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وهو الحاشر الذي يحشر الناس على قدمه، وهو العاقب الذي ليس بعده أحد»<sup>(٣)</sup>، كما كان أسوةً في كل خير عرفه الإنسان فردًا ومجتمعًا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري معلقًا: كتاب مبعث النبي، باب مبعث النبي ﷺ، (١٨٧/٧)، ولم أقف عليه في تغليق التعليق، وظاهر صنيع ابن حجر - والعلم عند الله - التوقف؛ فقد أغلق ما قبله وما بعده في (٣٨٤٧) و(٣٨٥٦)، انظر تغليق التعليق: (٤/٨٥)، وقد أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء: (١/١٤٣)، ونقل الإجماع على نسبه الشريف إلى عدنان.

(٢) سورة القلم، الآية: (٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: باب قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَجْمَدُ﴾، برقم: (٤٨٩٦)،

(١٨٨/٦)، ومسلم؛ واللفظ له، باب: باب فِي أَسْمَائِهِ ﷺ برقم (٦٢٥١)، (٧/٨٩).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

لئن كانت الأمم قد اختلفت في إعراب كلمة الخلق، والإعراب عنها-بناء على أسسها الديموغرافية والجغرافية تعييناً فتقديماً واهتماماً- فإن نبينا أعظم مثال عرفه البشرية في كل ما صحّ خلقاً:

فلئن اعتبرنا الخلق بتزكية الله للعبد ورضاه ﷺ عن خلقه فنبينا ﷺ سيد

البشر: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وإن كان بالرحمة والرأفة فنبينا ﷺ سيد البشر: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وإن كان بالجلود والكرم فنبينا ﷺ سيد البشر فيه، عن ابن عباس، قال:

«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ

جَبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ

أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ»<sup>(٣)</sup>.

إنه رسول الله ﷺ لا يرد سائلاً أبداً، عن سهل بن سعد ﷺ قال:

(١) سورة القلم، الآية: (٤).

(٢) سورة التوبة؛ الآية: (١٢٨).

(٣) رواه البخاري: كتاب بدء الوحي: (١/٥) حديث رقم: (٦)، ومسلم: باب كان

النبي ﷺ أجود الناس، برقم: (٦١٤٩)، واللفظ للبخاري.



«جاءت امرأة بُرْدَة، قالت: يا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي أَكْسُو كَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ، اكْسُيْهَا، فَقَالَ: نَعَمْ، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ سَأَلْتَهَا إِيَّاهُ؛ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ، قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنُهُ»<sup>(١)</sup>.

وإن كان بالاهتمام بالمرأة تعليمًا ووعظًا فنبينا ﷺ سيد البشر فيه، عن ابن عَبَّاسٍ (عنه السلام): «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ وَمَعَهُ بِلَالٌ، فَظَنَّ أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعِ النِّسَاءَ، فَوَعَظَهُنَّ، وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمُرَأَةُ تُلْقِي الْقُرْطَ وَالْخَاتَمَ وَبِلَالٌ يَأْخُذُ فِي طَرَفِ ثَوْبِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وإن كان بعلو الهمة وصدق الإخلاص والتجرد، فنبينا ﷺ سيد البشر فيه ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠٨﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب ذكر النساك: (٣/ ٦٨)، برقم: (٢٠٩٣).

(٢) المرجع السابق: كتاب العلم، باب عظة الإمام النساء، وتعليمهن، برقم (٩٨).

(٣) سورة الأنعام، الآية: (١٦٢-١٦٣).

وإن كان الخلق بالتزام منهج اليسر والتيسير منهجًا وسلوكًا ونظام حياة فنبينا ﷺ دائمًا سيّد البشر فيه، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنْفِرُوا»<sup>(١)</sup>.

فما خَيْر بين أمرين إلاّ أخذ -بأبي وأمي هو ﷺ- أيسرهما ما لم تكن معصية، مع أنّه أقوى الناس، وأشجع الرجال، لكن تعليلًا ورفقًا ﷺ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا خَيْرٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِتْمًا، فَإِنْ كَانَ إِتْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا»<sup>(٢)</sup>.

لم يخرج منهجه مع خدمه ونسائه قط عن اليسر والتيسير، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط، ولا امرأة له قط، ولا ضرب بيده، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فانتقم من صاحبه، إلا لمن

(١) متفق عليه: البخاري: كتاب: العلم، باب: باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوُّهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لَا يَنْفِرُوا، (٢٧/١)، حديث رقم (٦٩)، ومسلم: كتاب: الجهاد والسير، باب: باب فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ، (٥/١٤١)، برقم (٤٦٢٢).

(٢) رواه البخاري؛ كتاب: المناقب، باب صفة النبي ﷺ برقم: (٣٥٦٠)، (٦/٦٤٨)، ومسلم؛ باب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْأَثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسهَلَهُ... حديث رقم: (٦١٩٠)، (٨٠/٧).



تنتهك محارم الله ﷻ فينتقم الله ﷻ...»<sup>(١)</sup>.

وإن كان الخلق بالحياء الذي لا يأتي إلا بخير، فنبينا ﷺ سيّد البشر في ذلك؛ فقد كان أكثر الناس حياءً، لم يعهد منه قط فحش، ولا بذاءة، إذا كره شيئاً عرف من وجهه ﷺ.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعُذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا»<sup>(٢)</sup>.

وإن كان الخلق بمعرفة قيمة حسن الخلق والحث عليه فنبينا ﷺ كان سيّد البشر في ذلك، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنَهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارَكُمْ خِيَارَكُمْ لِنِسَائِكُمْ»<sup>(٣)</sup>.

فلو رأيت رسول الله ﷺ لألفيته دائم البشر، إذا رضي انطلقت أسارير وجهه، وتبين رضاه، كثير التبسم، أكثر ضحكه تبسم، سهل الخلق، لين الجانب،

(١) رواه أحمد في المسند، (٣١ / ٦)، من مسند أم المؤمنين عائشة ﷺ، برقم: (٢٤٠٨٠)، وقال

شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عبد الرحمن.

(٢) رواه البخاري؛ كتاب المناقب، باب: خاتم النبوة، برقم: (٣٥٦٢)، (٢١٦ / ٤).

(٣) رواه أبو داود؛ كتاب: السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، برقم: (٤٦٨٤)

(٤ / ٣٥٤). والترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها برقم

(١١٦٢) وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني: (٣ / ٤٥٠).

ليس بفظ ولا غليظ، ولا صحّاب، ولا فحّاش.

يعطي من سأله، أو يرّده بميسور من أطيب الأقوال، يقبل الهدية، ويشيب عليها، لا يأكل الصدقة، ولا يأكلها أهل بيته، لا يجازي السيئة بالسيئة، لكن يعفو ويصفح، ويعرض عن الجاهلين.

ما غضب لنفسه قط، بل غضبه إذا انتهكت حرّات الله، حينئذ لا يقوم لغضبه عندها شيء، خير الناس للناس، يكرم كريم كلّ قوم، قريباً إلى الناس. حلیم جمّ الحياء، صبور على المكاره، لا يزيده كثرة الأذى إلاّ صبراً، ولا إسراف جاهل إلاّ حلماً.

أعدل الناس، وأوفاهم عهداً، وأعفهم إزاراً، وأوصلهم رحماً، وأعظمهم أمانةً، يوصل إلى العدوّ اللدود أمانته وإن كان قد وضع على رأسه مائة ناقة!. من أقلّ الناس كلاماً، ومن أحسنهم فعلاً، لا يخالف فعله قوله أبداً، إذا تكلم نطق قلبه، وإذا عمل نطقت جوارحه، أحبّ العمل إليه أدومه وإن قلّ، قد ترك نفسه من الرياء، ومن الإكثار، ومما لا يعنيه، لا يذمّ أحداً، ولا يعير أحداً، ولا يطلب عورات الناس، ولا يتكلم إلاّ بخير، وفيما يرجي ثوابه.

متواضع لا يتميّز من جلسائه، إذا أتى الغريب يسأل: أيكم محمّد؟ يشعر كلّ واحد من جلسائه أنّه يخصّه هو بالاهتمام دون الآخرين.





يداعب أصحابه ويمازحهم، ولا يقول إلّا حقًا، أحرص الناس على جبر القلوب، وتأليفها، وتطيب الخواطر، وتوخي المواساة، واجتناب الإساءة، يتفقّد أصحابه كبارًا وصغارًا، ويسأل عنهم، فلا يحسب أحدهم أنّ غيره أكرم عليه منه، ومع ذلك ينزل كلّ أحد منهم منزلته اللائقة به.

إذا استوقفه أحد لحاجة لم ينصرف حتّى ينصرف صاحبها، يبادر من لقيه بالسلام والمصافحة، ويُقبل عليه بوجهه جميعًا، ويكون آخر من ينزع يده من يد صاحبه، إذا مرّ بالصبيان والنساء لوّح بيده يقرئهم السلام.

خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلّ نظره التّفكر والتأمّل، لا يثبت نظره في وجه أحد، يحافظ على ود أصحابه؛ فيعمم في الإنكار، يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا.

إذا سار مع أصحابه تأخر عنهم، وتخلّف في المسير، فيزجي الضعيف، ويردف، ويدعوله.

إنّه مبعوث؛ ليتمم مكارم الأخلاق، فخلقه القرآن، بل حياته كلّها تفسير للقرآن بالبيان القولي والفعل، والتقرير، فقد زكّاه ربّه، وأدّبه فأحسن تأديبه.

اصطفاه وزكّاه من الضلالة والغواية، لا ينطق عن الهوى، قال ﷺ: ﴿مَا

ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿١﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٣﴾.

وزكى فواده فقال ﷺ: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾<sup>(١)</sup>.

وزكى بصره فقال ﷺ: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾<sup>(٢)</sup>.

وزكى عقله، فقال ﷺ: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وزكاه أن يكون - سبحانه - قد هجره أو قاطعه، فقال ﷺ: ﴿ مَا وَدَّعَكَ

رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾<sup>(٤)</sup>.

لا شك أنه ﷺ قد رسم أروع المثل التي عرفها الإنسان في كل زمان ومكان، إلا أنه ﷺ ضرب أقوم المناهج في الأخلاق لأُمَّته، بل للإنسان أينما كان، فتميّزت أُمَّته بين الأمم والشعوب بتلك الأخلاق، فهاذا كان منهجه ﷺ في أخلاقه مع نفسه؟ ومع أصحابه في السلم والحرب؟ ومع أعدائه؟ هذا ما سنتعرف عليه فيما يلي:

(١) سورة النجم، الآيات: (٢-٤).

(٢) سورة النجم، الآية: (١١).

(٣) سورة النجم الآية: (١٧).

(٤) سورة التكويد، الآية: (٢٢).

(٥) سورة الضحى، الآية: (٣)، انظر: هذه المعاني وغيرها في رسالة (هذا هو رسول الله)

للباحث: أسامة محمد الحمصي، من موقع نبي الرحمة على الشبكة العالمية.



### شكر وتقدير:

أشكر الله - تعالى - على ما أولى من التوفيق والامتنان، وأصليّ وأسلم على نبيّه الأمين نبي الرحمة، صلوات الله وسلامه عليه.

ثم أشكر المملكة العربية السعودية متمثلة في حكومة مولاي خادم الحرمين الشريفين - يرعاه الله - على رعايتها للإسلام وأبناء الإسلام وقضايا المسلمين في ربوع العالم، وأشكر - كذلك - الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها على تنظيمها لهذا المؤتمر العلمي تحت شعار: (نبي الرحمة)، سائلين المولى - سبحانه - التوفيق والسداد والإخلاص، كما نسأله لكم حسن الجزاء على ترشيحكم وعنايتكم، آمليّن لكم التوفيق والنّجاح الباهر في تحقيق الأهداف السامية المرجوة من خلال هذا المؤتمر وأمثاله.

\*\*\*

## أصول منهج النبي ﷺ في أخلاقه<sup>(١)</sup>

لقد بعث النبي ﷺ؛ ليتمم مكارم الأخلاق التي درج عليها الأنبياء والرسل قبله صلوات الله عليهم أجمعين، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»<sup>(٢)</sup>.

- (١) المنهج في اللغة: مصدر ميمي، من (نَهَجَ)، بفتح الهاء وكسرهما، يَنْهَجُ مَنْهَجًا، وَمِنْهَجًا وَمِنْهَجًا، بمعنى أوضح الطريق، أو سلكها، معنويًا كان ذلك الطريق أو حسيًا. وترد كلمة المنهج في الأصل لمعنيين متباينين.
- يقول ابن فارس: «النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول النَهَجُ: الطريق، ونَهَجَ لي الأمر: أو ضححه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهَجُ: الطريق أيضًا، والجمع: المناهج. والآخر: الانقطاع، وأتانا فلان ينهَج، إذا أتى مبهورًا منقطع النفس، وضربت فلانًا حتى أنْهَج، أي سقط». انظر غريب الحديث، لابن الأثير: (٢/ ٨٠٩)، مجاز القرآن لأبي عبيدة: (١/ ١٦٨) ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس: (٥/ ٣٦١)، والقاموس المحيط: (١/ ٣٢٠).
- أما في الاصطلاح: فالطريق المستقيم والسنن القويمة، التي كان عليها النبي ﷺ في أخلاقه وأقواله ومعاملاته، وسلكه السلف الصالح من بعده.
- يقول ابن شهاب: «الهرب الهرب، والنَّجاة النَّجاة!، والتمسَّك بالطريق المستقيم والسنن القويم، الذي سلكه السلف الصالح، وفيه المتجر الرابع» ذكره القرطبي في تفسيره: (٩/ ١١٧).
- (٢) رواه البزار: (١٥/ ٣٦٤)، برقم: (٨٩٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١٠/ ١٩١)، =



وكانت تلك الأخلاق هي الدين الذي بعثهم الله - تعالى - به من التوحيد، والدعوة والعبادات، والمعاملات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإنَّ «الْخُلُقَ» مَا صَارَ عَادَةً لِلنَّفْسِ وَسَجِيَّةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ عُيَيْنَةَ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رحمهم الله: عَلَى دِينٍ عَظِيمٍ، وَفِي لَفْظٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ. وَكَذَلِكَ قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ. وَكَذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: أَدَبُ الْقُرْآنِ هُوَ الْخُلُقُ الْعَظِيمُ»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الخلق إنما هو الدين، فلا شك أنَّ أصول الدين هي أصول الأخلاق، ولهذا فقد كان للنبي المصطفى ﷺ أصول منهجية في أخلاقه، إليها ترجع مناهج أخلاقه مع نفسه، ومع أمته، ومن أهم تلك الأصول:

أولاً: تحقيق توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة له ﻋَظِمْ:

فلقد كان خلق النبي ﷺ القرآن؛ كما في حديث سعد بن هشام بن عامر قال: «أتيت عائشة، فقلت: يَا أُمَ الْمُؤْمِنِينَ، أَخْبِرْنِي بِخُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، قالت:

=برقم: (٢١٣٠١)، والحاكم في المستدرک: (٢/ ٦٧٠)، برقم: (٤٢٢١)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١) مجموع الفتاوى: (١٠/ ١٢٧).

كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>». (٢)  
ولا شك أن أعظم خلق دعا إليه القرآن وكل كتاب أنزل على الرسل ﷺ هو التوحيد، وقد شدد الله في شأنه ما لم يشدد في غيره، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: «يقول تعالى ذكره: ولقد أوحى إليك -يا محمد- ربك، وإلى الذين من قبلك من الرسل ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ يقول: لئن أشركت بالله شيئاً -يا محمد- ليحبطن عملك، ولا تنال به ثواباً، ولا تدرك جزاء إلاّ جزاء من أشرك بالله. وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم، ومعنى الكلام: لقد أوحى إليك لئن أشركت ليبطلن عملك، ولتكونن من الخاسرين، وإلى الذين من قبلك بمعنى وإلى الذين من قبلك من الرسل من ذلك، مثل الذي أوحى إليك منه، فاحذر أن تشرك بالله شيئاً فتهلك»<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة القلم، الآية: (٤).

(٢) رواه أحمد في المسند، برقم: (٢٤٦٤٥)، وقال الأرئؤوط: حديث صحيح (٩١ / ٦).

(٣) سورة الزمر، الآية: (٦٥).

(٤) تفسير الطبري: (٢٣ / ١١).



فكان أعظم خلق أمر به القرآن ودعا إليه هو التوحيد، بل يقال في ذلك قولاً جامعاً؛ وهو إذا كان خلق النبي ﷺ القرآن فإنّ القرآن كلّ في بيان التوحيد، وفي تقرير مسأله، والإفصاح عن مآل الملتزمين به، وعاقبة من خالف حكمه بالشرك والكفر.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «بل نقول قولاً كلياً: إنّ كلّ آية في القرآن هي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ فإنّ القرآن: إمّا خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كلّ ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإمّا أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإمّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإمّا خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد»<sup>(١)</sup>.

فكان التوحيد هو أعظم أخلاقه ﷺ وأحبّه إليه، وأجلّه قدرًا في نظره، التزمه في كلّ حياته، ولم يخرج عنه قيد أنملة، ولا دعا إلى مثله، فكانت حياته ﷺ

(١) مدارج السالكين: (٣/ ٣٣٢).

كلّها في تقرير هذا الأصل وبيانه: وأنّه أوّل الواجب على المكلف، وآخر ما يخرج به العبد من الدنيا، وعليه قامت أهمّ وصاياه ﷺ، مع النهي عن كلّ ما يؤدّي إلى مخالفته من الغلو في الصّالحين، بل حتّى في ذاته ﷺ، فعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنه أنّه سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعتُ النّبيّ ﷺ يقول: «لا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»<sup>(١)</sup>.

فكان تحقيق التوحيد والتحذير من الشّرك وسد الذرائع المفضية إليه هو أعظم ما تميّز به دين النّبيّ ﷺ الذي هو خلقه.

عن عائشة وابن عبّاس رضي الله عنهما قالا: «لما نُزِلَ برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه، فقال - وهو كذلك -: «لعنة الله على اليهود والنّصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذّر ما صنعوا»<sup>(٢)</sup>.

ولعظيم شأن التوحيد، وخطورة المخالفة في بابه بالشّرك والبدع الكفرية فقد اشتدّت عناية النّبيّ ﷺ به؛ عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ برقم (٣٤٤٥)، (٦/٥٥١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة: (١/٥٣٢)، برقم: (٤٣٥)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع السجود: (١/٣٧٧)، برقم: (٥٣١).





قال في مرضه الذي مات فيه: «أدخلوا عليّ أصحابي» فدخلوا عليه وهو متنّع ببردة معافري، فكشف القناع، فقال: «لعن الله اليهود والنصارى...» الحديث<sup>(١)</sup>.

### ثانيًا: الدعوة إلى الله تعالى:

إنّ من أعظم أخلاق النبي ﷺ بعد التّوحيد دعوة العباد إلى النّور الذي بعث به، وقد كانت دعوته ﷺ رافة ورحمة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

لم يكن يدعو النّاس إلّا على علم وبصيرة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يجادل إلّا بالتي هي أحسن.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

ولا ريب أنّ الدّعوة إلى الله تعالى أعظم الأخلاق وأجلها، وهي خلق

(١) رواه أحمد: (٢٠٤/٥)، وحسنه الألباني في تحذير الساجد (٢١).

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٢٨).

(٣) سورة يوسف الآية: (١٠٨).

الأنبياء والرسل وأدبهم، وميراثهم للعلماء: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فَالدَّعْوَةُ وَالْعِبَادَةُ اسْمُ جَامِعٍ لِغَايَةِ الْحُبِّ لِلَّهِ وَغَايَةِ الذَّلِّ لَهُ، فَمَنْ ذَلَّ لَهُ مِنْ غَيْرِ حُبٍّ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا، بَلْ يَكُونُ هُوَ الْمُحْبُوبَ الْمُطْلَقَ؛ فَلَا يُحِبُّ شَيْئًا إِلَّا لَهُ، وَمَنْ أَشْرَكَ غَيْرَهُ فِي هَذَا وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ حَقِيقَةَ الْحُبِّ فَهُوَ مُشْرِكٌ، وَإِشْرَاكُهُ يُوجِبُ نَقْصَ الْحَقِيقَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> الْآيَةُ، وَالْحُبُّ يُوجِبُ الذَّلَّ وَالطَّاعَةَ»<sup>(٢)</sup>.

لم تكن دعوته ﷺ قط لقصد إقامة الحجة على الهالكين، ثم يفعل الله بهم ما يشاء، بل كان يحرص على هداية الناس، وإن لزم من ذلك أن يعرض نفسه للهلاك، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول الإمام الطبري: «فلعلك -يا محمد- قاتل نفسك ومهلكها على آثار قومك الذين قالوا لك: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾»<sup>(٤)</sup>

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: (١٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى: (٧-٦/٢٠).

(٣) سورة الكهف، الآية: (٦).

(٤) سورة الإسراء الآية: (٩٠).



تمرداً منهم على ربهم، إن هم لم يؤمنوا بهذا الكتاب الذي أنزلته عليك، فيصدقوا بأنه من عند الله حزناً وتلهفاً ووجداً، بإدبارهم عنك، وإعراضهم عما أتيتهم به وتركهم الإيمان بك»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: بناء النموذج المثالي للدولة المدنية على أساس مبدأ العدل في الحقوق والواجبات:

كان من أصول أخلاقه ﷺ - بعد تحقيق التوحيد والدعوة - إقامة النموذج المثالي للدولة المدنية على أساس المساواة، وهذا الخلق العظيم هو المسرح الذي ظهرت فيه بقية صفاته الخلقية كلها، من الرحمة، والشجاعة، والعدل، والأمانة، والصدق، والجود، فكان ﷺ يرسم بصفاته وأخلاقه السلوك القويم لنوع المجتمع الذي يرئس إلى بنائه، مجتمع يكون التفاضل فيه بالتقوى لا غيرها، قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّمُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

عن أبي نضرة قال: حدثني من سمع: خطبة رسول الله ﷺ في وسط أيام

(١) تفسير الطبري: (١٧/٥٩٧).

(٢) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

التشريق، فقال: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»<sup>(١)</sup>.

روى البخاري بسنده إلى المعرور قال: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ ﷺ يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ. إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ونهى عن كل ما يحول دون ترابط أفراد ذلك المجتمع، فأقام دعائم هذا الترابط على منع كل ما يهدد تماسكه من التباغض، والتحاسد، والتدابير. عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»<sup>(٣)</sup>.

- (١) رواه أحمد في المسند: (٤١١ / ٥) برقم: (٢٣٥٣٦)، قال الأرئوط حديث صحيح.
- (٢) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية، برقم: (٣٠)، (١٠٦ / ١).
- (٣) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب ما ينهى من التحاسد والتدابير، برقم: (٦٠٦٥)، =



جعل تلك المدنية على أساس الأخوة، كما قال - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

ورتب الحقوق والواجبات على أساس تلك الأخوة؛ فالمسلم لا يظلم أخاه المسلم، ولا يسلمه، ولا يبيع على بيعه، ولا يسوم على سومه، ولا يخطب على خطبته، بل يكون في حاجته، ويحب له مثل ما يحبه لنفسه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

فالمسلم أخو المسلم فلا يبيع على بيعه؛ قال رضي الله عنه: «لا يبيع أحدكم على بيع أخيه، ولا يسام على سوم أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه»<sup>(٣)</sup>.

=ومسلم: باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابير، برقم: (٦٦٩٠)، (٨/٨).

(١) سورة الحجرات، الآية: (١٠).

(٢) رواه البخاري، كتاب المظالم، باب لَا يَظْلِمُ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ، وَلَا يُسْلِمُهُ، برقم: (٢٤٤٢)، (١١١/٥). ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠).

(٣) رواه البخاري: كتاب البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه، برقم: (٢١٣٩)، (٤٠٦/٤)، ومسلم: كتاب النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، برقم: (٣٥٠٨)، (١٣٦/٤).

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبهُ لنفسه»<sup>(١)</sup>.

فليس هنالك مبدأً أبلغ من الأخوة الإيمانية في ربط القلوب، وتوحيد الهدف؛ إذ هي الأفق السامي الذي تُخلَقُ إليه العناصر الزكية من البشر جميعاً على مختلف أجناسهم، ولغاتهم، وألوانهم، وهي -في تحليقها نحو هذا الأفق السامي- تنظر إلى الروابط الجاهلية الحقيرة نظرة استخفاف واحتقار، وقد كانت من قبل تعتز بها، وتعدّها أشياء مقدسة غير قابلة للنقد والتبديل<sup>(٢)</sup>.

ولم يكن خير هذا المجتمع فقط في أبنائه، بل شمل الأبعدين، حتّى من الأعداء فضلاً عن غيرهم، وسواء في السلم أو في الحرب.

فكان توجيهه يجمع غاية الرفق بالخلق حتّى وهو في ساحة القتال ومعركة الملحمة وبين يدي السنان، يقول لأمرائه: «اغزوا بسم الله، في سبيل الله، من كفر بالله، لا تغدروا، وتغلّوا، ولا تقتلوا وليداً، ولا امرأة، ولا كبيراً فانيّاً، ولا منعزلاً

(١) رواه البخاري: كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه.. برقم (١٣)، (١٠/١)،

ومسلم الإيمان باب دليل أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه... (١٧٩)، (١/٤٩).

(٢) انظر: الأخوة الإسلامية هي الرابطة العالمية، للدكتور عبد العزيز بن عبد الله الحميدي:



بصومعة، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرة، ولا تهدموا بناءً»<sup>(١)</sup>.

يفي بالهدنة والعهود التي يقطعها مع أعدائه وإن عرض ذلك حياة بعض محبيه للخطر في الظاهر، لكنه كان يكل أمرهم إلى الله، ويعلم أن الله ناصر الصادقين صلوات الله وسلامه عليه.

#### رابعاً: نشر العلم والحث عليه:

لقد كان المجتمع الذي بعث فيه النبي ﷺ مجتمعاً أمياً لا يقرأ ولا يكتب، أي كان ذلك العلم فيهم قليلاً جداً، فكان من أعظم الأخلاق التي التزمها ﷺ نشر العلم والحث عليه في ربوع ذلك المجتمع، وذلك لما للعلم من تعميق مكارم الأخلاق التي بعث ﷺ ليتممها.

ومن حثه ﷺ على العلم ما يسوقه من أمثلة، كتمثيله العالم بالغيث النافع العميم يصيب الأرض الصالحة، فينتفع به العباد والبلاد، عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت

(١) رواه أحمد في المسند من رواية صفوان بن عسال المرادي برقم: (١٨١٢٢)، قال الأرنبوط

صحيح لغيره: (٢٤٠/٤).

منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا، وسقوا، وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»<sup>(١)</sup>.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، ورثوا العلم؛ فمن أخذه أخذ بحظ وافر»<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أنه يدخل في ذلك - وفي هذا العصر - جميع العلوم النافعة التي تقوم عليها مصالح العباد: من صناعات، وحرف، والعلوم الإنسانية الأخرى،

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، (١/ ٦٥) حديث: (٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود كتاب العلم، باب: الحث على طلب العلم، حديث رقم: (٣٦٤١).  
والترمذي: كتاب العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم: (٢٦٨٢)،  
وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود: (٢/ ٦٩٤) برقم: (٣-٦٩).





كالطب، وعلم الاجتماع ونحوها.

ولهذا قرر العلماء استنادًا إلى اهتمامه ﷺ بالعلم وحثه عليه أنّ تعلم العلوم الإنسانية كلّها من فروض الكفاية التي لا بدّ من قائم به في المجتمع المسلم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال غير واحد من الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم: كأبي حامد الغزالي، وأبي الفرج ابن الجوزي وغيرهم: إنّ هذه الصناعات فرض على الكفاية؛ فإنّه لا تتمّ مصلحة الناس إلّا بها، كما أنّ الجهاد فرض على الكفاية، إلّا أن يتعيّن فيكون فرضًا على الأعيان..»<sup>(١)</sup>.

فقد كان الحث على طلب العلم، وتعليم العلم، وبيان فضله، وفضل أهله ومنزلتهم في الدنيا والآخرة من أهمّ مناهج النبي ﷺ في أخلاقه، وهذا الأمر كغيره مقرر لا يحتاج إلى إطالة.

\*\*\*

(١) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام بن تيمية: (٨٠ / ٢٨).

## منهجه ﷺ في نشر مكارم الأخلاق في أمته

لقد كانت بعثة نبينا ﷺ رحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فقد جعل ﷺ همه هماً واحداً هو رضوان الله جل شأنه، فتفرع عن هذا الهم حرصه الشديد على أمته رحمة ورأفة ورجاء في ربّه، فكان غايته الكبرى هي نجاة أمته، نجاتها في الدنيا من دار الغرور وفي الآخرة من العذاب الحرور، فهو لم يكن يخشى عليها الفقر، بل كان خوفه عليها من الدنيا وانبساطها وإغرائها الشديد<sup>(٢)</sup>، فنشر بالرحمة والرأفة جميع مكارم الأخلاق في أمته، وسلك في ذلك أسدّ المسالك وأنفعها وأكثرها موائمة لأحوال أمته، فمن مسالكه في ذلك:

### ١ - القدوة الحسنة في جميع مكارم الأخلاق:

لقد كان منهج النبي ﷺ في نشر الأخلاق في أمته تقوم على تمثيله لأعلى قدوة حسنة في المجتمع، إذا أمر بشيء كان أسرع الناس إلى فعله، أو نهى عن أمر فهو أبعد الناس عنه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ

(١) سورة الأنبياء، الآية: (١٠٧).

(٢) انظر: كتاب نبي الرحمة: (١٧).



يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿١﴾.

يقول الإمام مقاتل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أن كسرت رباعيته، وجرح فوق حاجبه، وقتل عمه حمزه.. ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ يعني لمن كان يخشى الله ﷻ ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال «وذكر الله كثيرا»<sup>(١)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ يكتفي أحياناً بالإشارة إلى هذا الأصل؛ لتقرير الحق، وإبطال الباطل، من ذلك أنه اكتفى ﷺ بقوله: «فَمَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ!!» للذي قال له: اعدل يا محمد.

عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَثَرِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَسًا فِي الْقِسْمَةِ، فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، فَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ الْقِسْمَةَ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُريدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَاتَيْتُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: فَمَنْ يَعْدِلْ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، رَحِمَ اللَّهُ

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٢١).

(٢) تفسير مقاتل: (٣/ ٢٤).

مُوسَى قَدْ أُوْذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا درج الصحابة رضي الله عنهم - أعني بالإشارة إلى أصل الأسوة لرد الباطل أو بيان الحكم المخالف له - فعن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سئل عن رجل معتمر طاف بالبيت: أيقع على امرأته قبل أن يطوف بالصفاء والمروة فقال: «قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين وسعى بين الصفا والمروة ثم قرأ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ  
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>»، والأمثلة والنماذج على ذلك أكثر من أن تحصى<sup>(٣)</sup>.

وكان ﷺ يعمق هذا الأصل الأصيل في أصحابه، فيأمرهم أن يقتدوا به في جميع أعمال الدين والدنيا، فقال في الصلاة: «صلوا كما رأيتموني أصلي»<sup>(٤)</sup>،

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح باب: (قول الرجل لأخيه انظر أي زوجتي شئت حتى أنزل لك عنها)، حديث رقم: (٥٠٧٣)، (٥/٧)، ومسلم: كتاب النكاح، باب: (استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه....) حديث رقم: (٣٤٧٠)، (٤/١٢٨).

(٢) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

(٣) الدر المنثور: (١١/٧٥٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري: (٢٠/٢٣٥)، والقرطبي: (١٤/١٥٥)، وتفسير ابن كثير: (٢/٢٤٢)، الدر المنثور: (٤/٥٦٧)، و(٧/٥٧٣).

(٥) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين إذا كانوا جماعة، برقم: (٦٣٢)، =



وقال في الحج: «خذوا عني مناسككم»<sup>(١)</sup>.

وأخبر الذين تقالوا عبادته أنه ليس وراء الاقتداء به ﷺ، والوقوف عند هديه إلا الهلاك المحقق، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فأخبروا بها، فكأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(٢)</sup>.

وكان رسول الله ﷺ أسوة حسنة لأئمة في مكارم الأخلاق كلها، فهو

سيد الصابرين، وكان ﷺ يقول: «ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي»<sup>(٣)</sup>.

= (١٣٢/٢).

(١) رواه مسلم؛ كتاب الحج، باب استحباب رمي الجمرة يوم النحر راكباً برقم: (١٢٩٧)،

(٣٩٤/٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم: (٥٠٦٣)، ومسلم،

باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه (٣٤٦٩)، (١٢٨/٤).

(٣) رواه مالك في الموطأ: باب جامع الحسبة في المصيبة، برقم: (٥٥٩)، (٢٣٦/١)، وقال =

وكان من أخلاقه ﷺ أنه جَمِيل العِشْرَةِ دائِم البِشْرِ، يُدَاعِبُ أَهْلَهُ، وَيَتَلَطَّفُ بِهِمْ، وَيُوسِّعُهُمْ نَفَقَتَهُ، وَيُضَاحِكُ نِسَاءَهُ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَسَاقِبُ عَائِشَةَ أُمَ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ، يَتَوَدَّدُ إِلَيْهَا بِذَلِكَ. قَالَتْ: «سَابَقَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَبَقْتُهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ أَحْمَلَ اللَّحْمَ، ثُمَّ سَابَقْتُهُ بَعْدَ مَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ، فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: «هَذِهِ بَتْلُكَ»، وَيَجْتَمِعُ نِسَاؤُهُ كُلُّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي بَيْتُ عِنْدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَأْكُلُ مَعَهُنَ الْعِشَاءَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، ثُمَّ تَنْصَرِفُ كُلُّ وَاحِدَةٍ إِلَى مَنْزِلِهَا<sup>(١)</sup>.

وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كَتِفَيْهِ الرِّدَاءَ وَيَنَامُ بِالْإِزَارِ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ يَدْخُلُ مَنْزِلَهُ يَسْمُرُ مَعَ أَهْلِهِ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَنَامَ، يُؤَانِسُهُمْ بِذَلِكَ ﷺ<sup>(٢)</sup>.

=الألباني: (مرسل صحيح) بعد أن أروود مجموعة من الشواهد على حديث بمعناه (وبالجملة فالحديث بهذه الشواهد صحيح والله أعلم) انظر: صحيح جامع الصغير برقم: (٥٤٥٩)، والسلسلة الصحيحة: (٣/ ١٨٠).

(١) رواه أبو داود: باب في السبق على الرجل: (٣٣٠/ ٢)، برقم: (٢٥٨٠)، وأحمد من مسند عائشة أم المؤمنين: (٢٦٤/ ٦)، برقم: (٢٦٣٢٠)، قال الأرئؤوط: رجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير عمر بن أبي حفص الميعطي، ورواه النسائي في السنن الكبرى: (١٧٨/ ٨)، برقم: (٨٨٩٥) و(٨٨٩٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (٢/ ٢٤٢).



٢ - أمره ﷺ بجوامع مكارم الأخلاق التي تستوجب جميع الصفات

الحميدة، والأخلاق الطيبة، ونهيه عن سفاسفها:

تحدثنا عن كون النبي ﷺ قدوةً لأُمَّته -بل للإنسان في كلِّ زمان ومكان-  
تحتذى جميع أفعاله وأقواله وتقاريره، كان منهجه الآخر في أنه لا يدع خيرًا في  
الأخلاق من أمر الدين والدنيا إلا أمر به، ولا شرًّا يفسد الأخلاق دينًا أو دنيا  
إلا زجر عنه.

أمره بالتقوى دائم؛ لأنه جامع لكل خير مناف لكل شرٍّ، يراعي ضعف  
الإنسان فيرشده إلى ما يجب عليه، وإذا حصل له خلل في المسير وجهه مع  
الحرص على أصل التقوى، يوجه مع دعوة إلى حسن الخلق مع الناس، فتقوى  
الله لا تعفي من حسن الخلق مع الناس، بل حسن خلق المؤمن من تقواه.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع  
السيئة الحسنة تَمْحُهَا، وخالق الناس بخلق حسن»<sup>(١)</sup>.

يأمر بالصدق، ويبيِّن محاسنه، وينهى عن الكذب، ويبين عاقبته الوخيمة،

---

(١) الترمذي: باب ما جاء في معاشره الناس، وقال حديث حسن صحيح، برقم: (١٩٨٧)،  
وحسنه الألباني: في صحيح الترغيب والترهيب (٨/٣) برقم: (٢٦٥٥) و(٣١٦٠)، وفي  
المشكاة برقم: (٥٠٨٣)، والروض النضير برقم: (٨٥٥).

وما فيه من فساد إنسانية الإنسان، ودين المؤمن وإيمانه يقول:

«عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ؛ فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»<sup>(١)</sup>.

ينهى عن الغش بأبلغ النهي وأشد النكير؛ لأنه مفسد للمجتمع، ومحلل لكيانه وتماسكه، عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ مرّ على صبرة من طعام، فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً، فقال: يا صاحب الطعام، ما هذا؟ قال: أصابته السوء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس؟ ثم قال: من غش فليس منا»<sup>(٢)</sup>.

كان يتعهّد شرائع المجتمع بما يناسب كلّ أحد منهم، فيحرص على الشباب بالإرشاد والتوجيه؛ لقوّة صائل الشهوة عليهم.

عن عبد الله قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَبَابًا لَا نَجِدُ شَيْئًا، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ

(١) رواه مسلم: باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٦٨٠٥)، (٢٩/٨).

(٢) الترمذي: باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، وقال حديث حسن صحيح، برقم:

(١٣١٥)، وصححه الألباني: (٦٠٦/٣).





الله ﷻ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ»<sup>(١)</sup>.

وعن أَبِي سَلَمَةَ يَقُولُ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»<sup>(٢)</sup>.

وعن أَبِي حَكَمٍ الْغِفَارِيِّ يَقُولُ: حَدَّثَنِي جَدَّتِي عَنْ عَمِّ أَبِي رَافِعِ بْنِ عَمْرِو الْغِفَارِيِّ، قَالَ: «كُنْتُ غُلَامًا أُرْمَى نَخْلَ الْأَنْصَارِ، فَأَتَى بِي النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ، لَمْ تَرْمِ النَّخْلَ»، قَالَ: أَكُلُّ، قَالَ: «فَلَا تَرْمِ النَّخْلَ، وَكُلْ مِمَّا يَسْقُطُ فِي أَسْفَلِهَا»، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، فَقَالَ «اللَّهُمَّ أَشْبِعْ بَطْنَهُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري: كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، برقم: (٥٠٦٦)، (١٢٩/٩)، ومسلم: كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، برقم: (٣٤٦٤)، (١٢٨/٤).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، برقم (٥٣٧٦).

(٣) أبو داود: باب من قال إنه يأكل مما يسقط، برقم (٢٦٢٤)، (٣٤٤/٢)، وابن ماجه: باب من مرّ على ماشية قوم أو حائط هل يصيب منه برقم: (٢٢٩٩)، وأحمد في المسند: (٣١/٥)، برقم: (٢٠٣٥٨)، قال الأرنبوط: حديث محتمل للتحسين، وهذا إسناد ضعيف لجهالة ابن أبي الحكم الغفاري وجدته، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود=

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف»<sup>(١)</sup>.

وقد كان النبي ﷺ ينبه الأولاد على ما يتضمن أمره ﷺ من الحكم؛ رجاء تأثير ذلك في سلوكهم وأخلاقهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أَخَذَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رضي الله عنه تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: كَيْفَ كَيْفٍ - لِيَطْرَحَهَا - ثُمَّ قَالَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ»<sup>(٢)</sup>.

= برقم (٤٠٣)، وضعيف سنن الترمذي: (٢٤٠) و(١٣١٢).

(١) الترمذي: باب رقم (٥٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح برقم: (٢٥١٦)، وصححه الألباني: (٤/٦٦٧).

(٢) رواه البخاري: كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة النبي ﷺ، برقم: (١٤٩١)، (٣/٤٠٢). ومسلم: باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله، برقم: (٢٥٢٢)، (٣/١١٧).



ثمَّ يَخْتَمُ ذَلِكَ كُلَّهُ ﷺ بقوله: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»<sup>(١)</sup>.

ولا شكَّ أنَّ هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام يقوم على أساس مراعاة قدرة العبد في الالتزام بهديه ﷺ؛ فإنَّه لا بدَّ أن يحصل له قصور، بخلاف ترك المنهي فإنَّه مقدور للعبد بإذن الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - الْمُتَّقِينَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ - قَدْ لَا يَخْضُلُ لَهُمْ مِنْ كَمَالِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَا حَصَلَ لِلصَّحَابَةِ، فَيَتَّقِي اللَّهُ مَا اسْتَطَاعَ وَيُطِيعُهُ بِحَسَبِ اجْتِهَادِهِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ خَطَأٌ إِمَّا فِي عُلُومِهِ وَأَقْوَالِهِ، وَإِمَّا فِي أَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ، وَيُثَابُونَ عَلَى طَاعَتِهِمْ، وَيَغْفِرُ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَالَ: ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup> - إِلَى قَوْلِهِ - ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنْسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾<sup>(٣)</sup> قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

(١) رواه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، برقم:

(٢٢٨٨)، (٢٩٩/١٣).

(٢) سورة البقرة، الآية (٢٨٥).

(٣) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

قَدْ فَعَلْتُ<sup>(١)</sup>. فَمَنْ جَعَلَ طَرِيقَ أَحَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُقَهَاءِ أَوْ طَرِيقَ أَحَدٍ مِنَ الْعِبَادِ وَالنِّسَاكِ أَفْضَلَ مِنْ طَرِيقِ الصَّحَابَةِ فَهُوَ مُحْطِئٌ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ جَعَلَ كُلَّ مُجْتَهِدٍ فِي طَاعَةٍ أَخْطَأَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ مَذْمُومًا مَعِيًّا مَقْمُوتًا فَهُوَ مُحْطِئٌ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ. ثُمَّ النَّاسُ فِي الْحُبِّ وَالْبُغْضِ وَالْمُؤَالَاةِ وَالْمُعَادَاةِ هُمْ - أَيْضًا - مُجْتَهِدُونَ يُصَيِّوْنَ تَارَةً، وَيُحْطِئُونَ تَارَةً، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا عَلِمَ مِنَ الرَّجُلِ مَا يُحِبُّهُ أَحَبَّ الرَّجُلَ مُطْلَقًا، وَأَعْرَضَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ، وَإِذَا عَلِمَ مِنْهُ مَا يُبْغِضُهُ أَبْغَضَهُ مُطْلَقًا، وَأَعْرَضَ عَنْ حَسَنَاتِهِ، مُحَاطٌ وَحَالَ مَنْ يَقُولُ بِالتَّحْفِظِ؟ وَهَذَا مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَرِلَةِ وَالْمُرْجِيَّةِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُونَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ، وَهُوَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِقُّ وَعْدَ اللَّهِ، وَفَضْلُهُ الثَّوَابُ عَلَى حَسَنَاتِهِ، وَيَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، وَإِنَّ الشَّخْصَ الْوَاحِدَ يَجْتَمِعُ فِيهِ مَا يُثَابُ عَلَيْهِ، وَمَا يُعَاقَبُ عَلَيْهِ، وَمَا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، وَمَا يُذَمُّ عَلَيْهِ، وَمَا يُحِبُّ مِنْهُ، وَمَا يُبْغِضُ مِنْهُ، فَهَذَا هَذَا<sup>(٢)</sup>.

فَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْهُجٌ فِي تَعْلِيمِ أُمَّتِهِ مَا يَجِبُ لَهُ ﷺ مِنْ عَظِيمٍ حَقٍّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا هُوَ عُنْوَانُ حَدِيثِنَا فِي الْمُبْحَثِ التَّالِي، بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) إشارة إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما في صحيح مسلم، كتاب التفسير، باب «وإن تُبَدَّوْا مَا فِي

أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ» برقم: (٣٤٥)، (١/ ٨١).

(٢) مجموع الفتاوى: (١١/ ١٥-١٦).



## منهجه ﷺ في تقرير حقه على الأمة

إِنَّ حَقَّ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ هُوَ أَعْظَمُ الْحَقُوقِ بَعْدَ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، فَهُوَ نِعْمَةُ اللَّهِ الْمَهْدَاةُ، لِلْعَالَمِينَ، وَسَيِّدُ الثَّقَلَيْنِ، بَبَعَثَهُ صَارَتْ أُمَّتُهُ خَيْرَ الْأُمَّةِ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ<sup>(١)</sup>.

ولا شكَّ أَنَّ ذلك كان يستلزم أن تتخلق وتتأدَّب أُمَّتُهُ مَعَهُ عَلَى ضَوْءِ تِلْكَ الْحَقُوقِ بِمَا يُوَافِقُ الْمَشْرُوعَ، وَأَنْ يَتَّعَدُوا عَنْ كُلِّ مَا يَخَالِفُ ذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْهَاجَانِ فِي بَيَانِ تِلْكَ الْحَقُوقِ وَتَقْرِيرِهَا:

المنهج الأول: تقريره ﷺ لحقه الذي هو من حقوق الله المحضة له على الأمة، أو يغلب فيه جانب حقِّ الله تعالى.

فمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَرَّرَ هُنَا هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْلَمُ أُمَّتَهُ الْحَقَّ الْوَاجِبَ لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَمْ يَكُنْ يَقْصُرُ قَطُّ فِي هَذَا الْبَيَانِ.

لَكِنْ حِينَ يَكُونُ الْحَقُّ فِي الْأَصْلِ لِلَّهِ -تَعَالَى- مِمَّا أَوْجِبَهُ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ، أَوْ

(١) سورة آل عمران، الآية: (١١٠).

كان من حقوقه ﷺ مع غلبة جانب حق الله تعالى فيه، كوجوب طاعته ومحبته ونحوها فإنه ﷺ كان مع بيانه وتقريره لهذا الحق لا يتنازل عن شيء منه.

ووجه ذلك في منهج أخلاقه ﷺ أنه رسم لأمته أن الحقوق التي تكون أصلها لله تعالى، أو يغلب عليها حقه تعالى لا ينبغي التنازل فيها، لا لقصد التأليف ولا لغيره، فلا ينبغي للوالدين أن يسمحا لولدهما أن يعقها، وهكذا؛ لأن حق طاعتها من حقوق الله تعالى في الأصل.

أما الأدلة على تلك الحقوق للنبي ﷺ فكثيرة، منها على سبيل الإشارة لا الحصر:

١ - وجوب طاعته ومحبته ﷺ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «افترقت اليهود إلى إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى

(١) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلح، باب إذا صلحوا على صلح جور فالصلح مردود، (١٧٧/٢) حديث رقم: (٢٦٩٧)، ومسلم كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور بلفظ: (ما ليس منه): حديث رقم: (٤٥١٣).



إلى اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»<sup>(١)</sup>.

ومنه قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

٢ - نهيه ﷺ عن التقديم بين يديه ﷺ، ورفع الصوت فوق صوته ﷺ  
قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup> يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ<sup>(٤)</sup>.

٣ - أمره سبحانه تعالى بالاستجابة له تعالى وللنبي استجابة الطاعة

(١) رواه أبو داود: كتاب السنة؛ باب: شرح السنة برقم (٤٥٩٦ و٤٥٩٧). والترمذي: كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، (٥/ ٢٥-٢٦) رقم: (٢٦٤٠ و٢٦٤١)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٣/ ٤٨٠) برقم: (١٤٩٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، برقم: (١٥)، (١٠/ ١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل.. برقم: (١٧٧)، (٤٩/ ١).

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: (١-٢).

وَالْإِمْتِثَال، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.  
وفي هذا التنبيه على أَنَّ التَّقْصِيرَ فِي الْأَدَبِ مَعَهُ ﷺ ذَنْبٌ مُجَاوِرٌ لِلْكَفْرِ يُوشِكُ أَنْ يَجْرَّ إِلَيْهِ، فَيَجِبُ الْإِحْتِرَاسُ مِنْهُ بِتَرْكِ الْأَلْفَافِ الْمُوَهِّمَةِ لِلْمَسَاوَاةِ، بَلْهُ الْأَلْفَافِ الْمُنَافِيَةِ لِلْأَدَابِ.

فَعَدَمُ الْإِصْغَاءِ لِمَا يَقُولُهُ الرَّسُولُ ﷺ، وَخِطَابُهُ خِطَابُ الْأَكْفَاءِ وَالنُّظَرَاءِ مُجَاوِرٌ لِلْكَفْرِ؛ لِأَنَّهُ ﷺ يَتَكَلَّمُ عَنِ اللَّهِ ﷻ؛ لِسَعَادَةِ مَنْ يَسْمَعُ وَيَعْمَلُ، وَيَأْخُذُ مَا يُؤْمَرُ بِهِ بِالْأَدَبِ، وَيَسْأَلُ عَمَّا لَا يَفْهَمُهُ بِالْأَدَبِ، وَمَنْ فَاتَتْهُ هَذِهِ السَّعَادَةُ فَهُوَ الشَّقِيقُ الَّذِي لَا يُعْدِلُ بِشِقَائِهِ شَقَاءً<sup>(٢)</sup>.

كان منهجه ﷺ في ذلك هو الصرامة؛ إمَّا لِأَنَّهَا مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ الْمُحَضَّةِ، أَوْ لِكَوْنِ الْغَالِبِ فِيهِ هُوَ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ يَقَابِلُ ذَلِكَ بِمَنْهَجٍ آخَرَ حِينَ يَكُونُ حَقُّهُ ﷺ مُحَضًّا أَوْ غَالِبًا.

المنهج الثاني: وهو في تقريره ﷺ لحقوقه التي ليست من حقوق الله المحضة على الأمة، فقد كان منهجه ﷺ في تلك الحقوق هو التنازل، فيصبر على

(١) سورة الأنفال، الآية: (٢٤).

(٢) انظر: تفسير المنار: (١/٣٣٩).





جفاء الأعراب، وجهل الجاهلين، وسفه السفهاء.

ووجه ذلك واضح بلا شك في منهجه ﷺ في أخلاقه، فهو الأسوة؛ يعلم المصلحين من أمته ألا يكون تعاملهم مع الناس بالنظر إلى ما فضلهم الله به من منزلة ومكانة، بل عليهم التأسي به ﷺ في التنازل عن بعض الحقوق الخاصة لمصلحة الدعوة، وتأليف المدعويين.

ومن الأدلة على ذلك:

١ - ما كان يحصل له من التأذي بطول استئناس بعض الصحابة بالحديث عنده ببعض الأكل؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

فالمراد بتأذي النبي ﷺ هو ما حصل من بعض الصحابة من إطالة الحديث، لا أنهم قصدوا ذلك، فإن قصد أذيته ﷺ كفر.

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٥٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن المؤذي له هنا إطالتهم الجلوس في المنزل، واستئناسهم للحديث، لا أنهم هم آذوا النبي ﷺ، والفعل إذا آذى النبي من غير أن يعلم صاحبه أنه يؤذيه ولم يقصد صاحبه أذاه فإنه ينهى عنه، ويكون معصية، كرفع الصوت فوق صوته، فأما إذا قصد أذاه، وكان مما يؤذيه، وصاحبه يعلم أنه يؤذيه، وأقدم عليه مع استحضاره هذا العلم فهذا الذي يوجب الكفر، وحبوط العمل، والله سبحانه أعلم»<sup>(١)</sup>.

٢ - جفاء بعض الأعراب عليه، وعدم مراعاة ما يستحق من حق أثناء المخاطبة والمناداة، قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

فلا شك أن قوله تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ يشمل أوجهًا عدة في النهي، كما قال السعدي: «لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم ودعائكم للرسول كدعاء بعضكم بعضا، فإذا دعاكم فأجيبوه وجوباً، حتى إنه تجب إجابة الرسول ﷺ في حال الصلاة، وليس أحد إذا قال قولاً

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول: (٣/ ٧٥).

(٢) سورة النور، الآية: (٦٣).



يجب على الأمة قبول قوله والعمل به، إلا الرسول؛ لعصمته، وكوننا مخاطبين باتباعه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً، فلا تقولوا: (يا محمد) عند ندائكم، أو: (يا محمد بن عبد الله)، كما يقول ذلك بعضكم لبعض، بل من شرفه وفضله وتميزه ﷺ عن غيره أن يقال: يا رسول الله، يا نبي الله<sup>(٢)</sup>.

والمقصود من هذه الأوجه هو مناداة النبي ﷺ باسمه أو كنيته، فإن أجلاف الأعراب لم يزالوا ينادونه به، وهو يتحملهم، ويتألفهم<sup>(٣)</sup>.

٣ - جفاء بعض الأعراب عليه في المعاملة بما لا يليق بمقامه ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ

(١) سورة الأنفال، الآية: (٢٤). درر

(٢) تفسير السعدي: (١/٥٧٦).

(٣) وأما باب الخبر فهو أوسع من باب الطلب والنداء، ولهذا يجوز أن تقول: أنا تابع لمحمد ﷺ،

أو اللهم! صل على محمد، وما أشبه ذلك. انظر القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٤٤).

الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك ما في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: تَقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ! فَمَا نَقَبْلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»<sup>(٢)</sup>.

هكذا كان النبي ﷺ يقابل الجهل والطيش والجفاء بالحلم والتأليف، إلا أن يكون في حق من حقوق الله تعالى، فينتقم الله تعالى.

فإذا تقرر هذا فإنه قد بقي في هذا الباب مسألة، وهي موقفه ﷺ من أذية المنافقين، ونفاقهم، وإفسادهم في المجتمع المسلم، فإنه لم يكن يتحمل هؤلاء للسبب نفسه الذي من أجله تحمل الأعراب ومن في حكمهم، بل كان له ﷺ حكمة أخرى في صرف النظر عن هؤلاء، مدارها حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: «كُنَّا فِي غَزَاةٍ - قَالَ سُفْيَانُ: مَرَّةً فِي جَيْشٍ - فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ،

(١) رواه البخاري: كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم... برقم (٣١٤٩)، (٢٨٤/٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله وعانقته، برقم: (٥٩٩٨)، (٤٨٤/١٠)، ومسلم: باب رَحْمَتِهِ ﷺ الصَّبِيَّانَ وَالْعِيَالَ برقم (٦١٧٠).



وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: دَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مُتَنَتَّةٌ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، فَقَالَ: فَعَلَوْهَا، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَامَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدُ<sup>(١)</sup>.

فكان منهجه ﷺ مع هؤلاء المنافقين هو صرف النظر عنهم، حتى لا يكونوا عقبة أمام قبول الدعوة الإسلامية في المجتمع.

فإذا تبين منهج نبينا ﷺ في أخلاقه وأصول ذلك المنهج إلى جانب مسالكة في إقامة المجتمع الإسلامي، ثم منهجه في التعامل مع هذا المجتمع بقي أمر آخر لا يقل أهمية عما تقدم، وهو أن النبي ﷺ بشر يموت كما يموت سائر البشر، فما هو المنهج الأخلاقي الذي رسمه النبي ﷺ لأُمَّته حتى يثبتوا على ما تركهم عليه؟ وهذا ما نتناوله في المبحث التالي.

(١) رواه البخاري: كتاب التفسير، باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ برقم: (٤٩٠٥)،

(٧٦٢/٨)، ومسلم: باب نَصْرِ الْأَخِ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا برقم: (٦٧٤٨).

## منهجه ﷺ في ضمان ثبات أُمَّته على تعاليمه

إنَّ أهمَّ جزءٍ من منهج النبي ﷺ في أخلاقه يتمثّل في إقامة مجتمع مسلم يعبد إلاّ الله ولا يشرك به شيئاً، يدين بالإسلام عبادة وسلوكاً ونظاماً ومنهج حياة، ثمّ يحمل هذا النور إلى العالم، فرسم لهم منهجاً قوياً به يثبتون على تعاليمه، وبيان ذلك:

١ - أنه ﷺ بيّن لهم أهمية ما تركهم عليه من منهج في الأخلاق، مع تقرير ما في مخالفة منهجه من الهلاك؛ فقال ﷺ: «تركتم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك»<sup>(١)</sup>.

٢ - أنه ﷺ عرّفهم بما في مخالفة منهجه القويم في الأخلاق من الضلال والفساد في الدين والدنيا، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، وخط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثمّ قال: «هذا سبيل الله، وهذه السبل على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثمّ قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: (٩٦/١)، وأحمد في المسند: (١٢٦/٤)، وابن أبي عاصم في السنّة: من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه برقم (٤٩)، (٢٧/١) وصححه الألباني بمجموع طرقه في ظلال الجنة في تخريج السنّة - المطبوع مع السنّة - (٢٧/١).



صِرَاطِي ﴿... الآية (١)﴾ (٢).

٣ - أنه ﷺ ربطهم بسنة خلفائه الراشدين، حتّى لا يتأثروا بعواصف التغيير القادم بسبب بعد العهد به ﷺ:

عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله، كأنّها موعظة مودّع، فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنّه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنّ كلّ بدعة ضلالة» (٣).

وقد خصّ ﷺ الشيخين أبا بكر وعمر بالاقتداء، وهو أخصّ من الاتباع العام الذي للخلفاء الراشدين:

عن حذيفة بن اليمان ؓ قال: قال رسول الله ﷺ «اقتدوا بالذين من

(١) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة: من رواية جابر بن عبد الله ؓ برقم (١٦)، (١٣/١)، وصححه الألباني: في ظلال الجنة في تخريج السنة المطبوع مع السنة (١٣/١).

(٣) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم: (٤٦٠٧) ص: (٦٩٩). والترمذي: حديث رقم: (٢٦٧٦). وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه: ابن أبي عاصم في السنة، وصححه الألباني وقال «سنده صحيح ورجاله ثقات» (١٨/١).

بعدي أبي بكر، وعمر»<sup>(١)</sup>.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «فأمر باتباع سنة الخلفاء الراشدين، وهذا يتناول الأئمة الأربعة، وخصّ أبا بكر وعمر بالافتداء بهما، ومرتبة المقتدى به في أفعاله وفيما سنّه للمسلمين فوق مرتبة المتبع فيما سنّه فقط، وفي صحيح مسلم أنّ أصحاب النبي ﷺ كانوا معه في سفر، فقال: «إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

وبهذا فقد ضمّن النبي ﷺ ثبات أمّته على ما جاء به من منهج أخلاقي رفيع شمل جميع حاجات الإنسان، ووفى بمطالب روحه وجسده وعقله، فأصل التوحيد، وقام بالدعوة، ورسم لهم ما به يلتزمون منهجه، ولا يخرجون عن هديه ﷺ. وبهذا نكون قد توصلنا إلى نهاية هذه الكلمة الموجزة في بيان منهجه ﷺ في أخلاقه، والله تعالى أعلم.

- (١) رواه الترمذي: (٤٣/٦) رقم (٣٦٦٢)، وقال هذا حديث حسن، وابن ماجه: (٢٣/١) رقم (٩٧)، وأحمد: (٥/٣٨٥-٤٠٢)، وابن أبي عاصم في السنة: (٥٣١) رقم: (١١٤٨)، وصححه الألباني في الصحيحة: (٣/٢٣٤)، رقم: (١٢٣٣)، وصحيح سنن الترمذي: رقم: (٢٨٩٥).
- (٢) رواه أحمد في المسند: (٣٧/٢٣٥-٢٣٧)، برقم: (٢٢٥٤٦) قال الأرئوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الصحيحين غير حماد بن سلمة، وعبد الله بن رباح فهما من رجال مسلم، ورواه أبو نعيم في الحلية: (٨/١٢٢).
- (٣) مجموع الفتاوى: (٤/٤٠٠).





## أهم نتائج البحث

١ - أهمية الدراسات العلمية المنهجية في ضبط المسائل والأبواب، بتحصيل المقاصد وتحقيقها، وتقريب الفوائد وتجليتها، فإن تناول أخلاق النبي ﷺ بالبحث والدراسة بغير المسلك المنهجي مظنة التشتت؛ لكثرة النصوص الواردة في الباب، وتنوعها، فضلاً عن التطويل الذي قد يؤثر في تحقيق المقصود، بينما المسلك المنهجي يرسم الخطوات العامة، ويضبطها، ويقرب الصورة ويوضحها مهما كان مختصراً، سواء في خطبة أم مقال.

٢ - أهمية الفرق بين أصول أخلاقه ﷺ التي هي مدار رسالته وبين أخلاقه التي هي في خدمة تلك الأصول، وعلى رأس تلك الأصول الأخلاقية التوحيد، وتبليغ الرسالة، وتعليم العلم الشرعي، وبناء المجتمع المسلم الذي يحدد هوية أُمته ضمن المنظومة الدولية.

٣ - منهجه في تأصيل الأخلاق يقوم على القدوة الحسنة؛ فالنبي ﷺ هو المثل الأعلى في الأخلاق لأُمته في كل شيء، فلا يخالف قوله فعله، ولا يلزم أتباعه بالعزيمة؛ ليأخذ بالرخص، بل هو أشجع الناس، وأوفى الناس، وأعف الناس، وأجود الناس، وأصبر الناس، فهو الأسوة للعالمين في كل خلق حميد.

٤ - منهجه فى نشر الأخلاق يقوم على الأمر بمكارم الأخلاق، والنهى عن سفاسفها، ويراعى ضعف الإنسان، فيمدّه بما يرجع به إلى ربه ويتوب إذا أخطأ، ويخص كل طبقة من طبقات المجتمع، فيوجهها إلى ما يعينه على تحقيق تلك الأخلاق الفاضلة.

٥ - يتنازل ﷺ عن بعض حقوقه لتأليف أمته، وكسب ودهم؛ تقديمًا لحق الله - تعالى - فى دعوتهم، فلم ينتقم لنفسه قط، بل كان ينتقم لله تعالى.

٦ - يغض الطرف عن بعض المنافقين لا تأليفًا لهم فحسب، لكن ترجيحًا لمصلحة عدم التصديّ لهم مما قد يفهم منه على غير وجهه، فيتحدث الناس أنّ محمدًا يقتل أصحابه، ويصير ذلك عقبة أمام نشر الدعوة إلى الله - تعالى - فى محيط مجتمعه ﷺ.

٧ - توجّ النبى ﷺ منهجه بأن ربط أمته بسنته بعد كتاب الله تعالى، وأمرهم بالاعتداء بالخلفاء الراشدين ومن بعدهم من سلف هذه الأمة، فهم أعرف الناس بهديه، وأحرصهم على الاقتداء به ﷺ، فما أروعه من منهج أخلاقي متكامل فى إحاطته لحاجة الإنسان أينما كان، ومهما كان، وكيفما كان، وصدق الله العظيم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ



السُّجُودَ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْعُهُ ۚ فَفَازَرَهُ  
فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ ۖ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾. والله تعالى أعلم.

فهذه هي أهمّ النتائج التي توصلنا إليها خلال هذا البحث الموجز، سائلاً  
المولى القدير التوفيق والسداد؛ إنّه ولي ذلك والقادر عليه، وهو حسبنا وكفى ولا  
حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

\*\*\*

## قائمة المراجع

- (١) الأخوة الإسلامية هي الرابطة العالمية، للدكتور عبد الله الحميدي، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر - دمشق - سورية.
- (٢) البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تأليف الإمام أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى: ٢٩٢ هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩ م).
- (٣) تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، تأليف العلامة المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض: الطبعة الأولى.
- (٤) تغليق التعليق على صحيح البخاري، للعلامة الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، تحقيق سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، طبعة المكتب الإسلامي، دار عمار بيروت، عمان الأردن. الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- (٥) تفسير القرآن العظيم: للحافظ أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤)، تحقيق سامي بن محمد السلامة الطبعة الأولى: ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة الثانية: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.



- (٦) تفسير المنار، لمحمد محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
- (٧) تفسير مقاتل بن سليمان، تأليف أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م الطبعة: الأولى، تحقيق: أحمد فريد.
- (٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي ١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (٩) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- (١٠) جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ - دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- (١١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفى ٤٣٠هـ، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.
- (١٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ)، تحقيق الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى القاهرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، طبعة مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.

- (١٣) السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الصَّحَّاحُ بن مَخْلَد الشَّيبَانِي المتوفى ٢٨٧هـ ومعه ظلال الجَنَّة في تخريج السَّنة لمحمد ناصر الدِّين الألباني المكتب الإسلامي، والطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م.
- (١٤) سنن البيهقي الكبرى، تأليف أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، طبعة مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- (١٥) سنن الترمذي المعروف بالجامع الصحيح تأليف الإمام المحدث أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، السلمي، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت، وبهامشه تحقيق أحمد محمد شاكر.
- (١٦) الصارم المسلول على شاتم الرسول، تأليف: أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني ٧٢٨هـ، دراسة وتحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.
- (١٧) صحيح الإمام أبي عبد الله إسماعيل البخاري (١٩٤-٢٥٦هـ)، طبعة جديدة مضبوطة ومصححة، ومفهرسة، طبعة دار ابن كثير دمشق - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
- (١٨) صحيح سنن أبي داود الإمام الحافظ، سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تأليف الإمام المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني، المتوفى سنة ١٤٢٠هـ، طبعة دار غراس للنشر والتوزيع الكويت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.



- (١٩) ظلال الجنة في تخريج السنة لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، يقع ضمن كتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن مخلّد الشيباني المتوفى ٢٨٧ هـ ومعه.
- (٢٠) فتح الباري شرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري برواية أبي ذر الهروي، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق عبد القادر شيبه الحمد، طبعة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود.
- (٢١) القاموس المحيط للفيروز آبادي، دار الكتب العلمية ١٩٨٨ م الطبعة الأولى.
- (٢٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، اعتنى به كلّ من د. سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل، ود. خالد بن علي بن محمد المشيقيح، طبعة دار العاصمة.
- (٢٣) كتاب نبي الرحمة، للباحث محمد مسعد ياقوت، الناشر دار الخزاز جدة، من موقع نبي الرحمة على الشبكة العالمية.
- (٢٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض طبعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- (٢٥) سنن ابن ماجه: للحافظ أبي الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه ٢٠٧-٢٥٧ هـ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
- (٢٦) سنن أبي داود: تأليف: الإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ)، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

- (٢٧) سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي توفي ٧٤٨هـ-١٣٧٤م، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ-١٩٨١م، الثانية: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- (٢٨) صحيح الترغيب والترهيب، للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة مكتبة المعارف - الرياض.
- (٢٩) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى من علماء القرن الثالث، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة تحقيق: محمد فواد سزكين.
- (٣٠) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم، وساعده ابنه محمد، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة. عام ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- (٣١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- (٣٢) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥هـ، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- (٣٣) المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- (٣٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٦٤-٢٤١هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٦-١٩٩٥هـ.





(٣٥) الموطأ للإمام الأئمة وعالم المدينة مالك بن أنس، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

(٣٦) النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري (ت ٦٠٦هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن غويضة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٣٧) هذا هو رسول الله ﷺ، جمع وإعداد أسامة الحمصي، (موقع نبي الرحمة على الشبكة العالمية).

\*\*\*

أبيض



# معالم الرحمة في أخلاق النبي ﷺ

إعداد

الباحث: عراقي محمود سيد حامد

إمام وخطيب بأوقاف القاهرة





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الحنان المنان الرؤوف الرحيم،  
الحليم العفو، أعدل العادلين، الذي حرّم الظلم على نفسه، وأرحم الراحمين، ذي  
الرحمة الواسعة، التي وسعت كل شيء، والتي سبقت غضبه، والتي كتبها على  
نفسه سبحانه جلّ في علاه.

فما أعظمه من ربّ جليل، له الكمال المطلق الذي يليق بذاته المقدسة؛  
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وما أرحمه من إلهٍ حليم كريم، له الأسماء الحسنى والصفات العلى!  
خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَرْحَمَهُمْ؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ  
مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ  
الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ٢٧ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ  
الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦ - ٢٨].

ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، ليُخرج العباد من الظلمات إلى النور،  
وأرسل خاتم النبيين وإمام المرسلين نبيّه وصفيّه وحبيبه وخليفه محمداً ﷺ

رحمة لجميع العالمين.

ذلكم هو رسول الله ﷺ، أرحم الخلق بالخلق؛ أول من تنشق عنه الأرض، أول شافع، وأول مُشَفِّع، وأول من يَجُوز على الصراط، وأول من يدخل الجنة، صاحب الحوض المورود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، صاحب الغُرَّة والتَّحجِيل، المذكور في التوراة والإنجيل، المؤيَّد بجبريل، البشير النذير، والسراج المنير، خير الخلق في طفولته، وأطهر المُطهرين في شبابه، وأنجب البشرية في كهولته، وأزهد الناس في حياته، وأعدل القضاة في قضائه، وأشجع قائد في جهاده.

اختصه ربُّه بكل خلق نبيل؛ وطهره من كل دَنَس، وحفظه من كل زل، وأدبه فأحسن تأديبه، وجعله على خلق عظيم.

وجمع فيه صفات الجمال والكمال البشري، وتألَّقت روحه الطاهرة بعظيم الشَّامِل والخِصال، وكريم الصفات والأفعال، حتى بهرت سيرته القريب والبعيد، وتملَّكت هيَّته العدوُّ والصديق، وقد صوَّر لنا هذه المشاعرَ شاعره

حسان بن ثابت رضي الله عنه أبلغ تصوير؛ فقال:

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرْقُطْ عَيْنِي \* وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ  
خُلِقْتَ مُبْرَأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ \* كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ<sup>(١)</sup>

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه - (ص ١٠) - عبد الرحمن البرقوقي - المكتبة =



فكان من سمات الكمال التي تحلّى بها ﷺ: «خُلِقَ الرحمة»، فقد وهبه الله قلباً رحيماً، يرقُّ للضعيف، ويحنُّ على المسكين، ويعطف على الخلق أجمعين، حتى صارت الرحمة له سجيّة؛ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله، وأصحابه وأزواجه وأتباعه إلى يوم الدين.

فمن أنكر هذه الحقائق ودفعها بعد وصولها إليه بيضاء نقية بحسن عَرَض وجميل طرح؛ فإنما ينكت على نفسه، ولن يضر الله شيئاً، ولن ينال من قدر الرحمة المهداة ﷺ قليلاً ولا كثيراً.

وقد وقع بالثلب في عرضه ﷺ من لم يعرفوه، وآذوا أتباعه بانتقاصه، مع أنه ﷺ خير مَنْ وَطِئَ الثَّرَى، وما جاء إلا لهدايتهم وإنقاذهم، وما أرسل إلا رحمة لهم، وللعالمين أجمعين.

وقد نَافَحَ المسلمون عن عِرْضِ نَبِيِّهِمْ ﷺ حِيَال هذه الهجمة الشرسة التي لا مُسَوِّغَ لها من دين أو عقل.

وقد استشعر القائمون على الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها ضرورة إيجاد نشاط علمي يتصف بالتأصيل الشرعي، والمنطق المقنع، في أهم جوانب سيرته ﷺ، فدَعَت إلى إقامة مؤتمر دولي، موضوعه: «نبي الرحمة محمد ﷺ».

وقد منَّ الله تعالى عليَّ بالمشاركة بهذا البحث، الذي هو تحت عنوان: (معالم الرحمة في أخلاقه ﷺ)، محاولةً مني أن أسهم في الدَّبِّ عن عرض نبيي ﷺ طلباً لشفاعته، وأن أحشر تحت لوائه، وفي زمرة، ولأبرز فيه للعالم شيئاً ولو يسيراً مما كان عليه ﷺ من رحمة، تجلَّت في محاسن أخلاقه، ولدعوة أتباعه لأن يقتربوا من شمائله ﷺ أكثر؛ حتى يحسُن لهم اتباعه؛ إذ لا سبيل مُوصَّلةً إلى الجنة إلا ذاك.

وهذا جهْدُ المقل؛ فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت أو قصَّرتُ فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله ألا يجرمني من الأجر، إذ اجتهدتُ وسعيتُ في هذا الغرض النبيل.

وقد قسَّمت - بحول الله وتوفيقه - البحث إلى أربعة مباحث:

عقدت المبحث الأول لبيان تمسكه ﷺ بمكارم الأخلاق ودعوته الخلق إليها، ورأيت لزماً أن أعرِّف بالخلق، وأن أبين أقسام الأخلاق، وأن أظهر أهمية حسن الخلق، ثم خلصت لخصائص أخلاقه ﷺ، وحثه على التمسك بمكارم الأخلاق.

وكان المبحث الثاني لإلقاء الضوء على وصف رحمته ﷺ، وبيان أقسامها، والآيات التي أشارت إلى معالم الرحمة في أخلاقه ﷺ.





أما المبحث الثالث فبيّنتُ فيه رحمته ﷺ بأُمته، ثم تعرّضت لطرف من رحمته ﷺ بالحيوان، ثم بالكافرين، ثم بالجن.

والمبحث الرابع خصصته لبيان وجوب طاعته والاقتراء به ﷺ وبأخلاقه، وبخاصة رحمته ﷺ، وآثار ذلك علينا في الأولى والآخرة إن فعلنا.

وأخيراً: ختمت البحث بخاتمة وتوصيات أظهرت فيها مدى احتياج العالم إلى الإسلام وتطبيق مبادئه، واستلهم ذلك من أعظم الخلق أجمعين، سيد الأولين والآخرين ﷺ، وأنَّ الأمة لو تمسّكت ببعض أخلاقه، وعصّت على ما دعا إليه من الأخلاق لفتحت العالم، ولدخل الناس في دين الله أفواجا الآن، كما دخلوا أيامه ﷺ لما رأوا من أخلاقه وزهده وصدقه وحبّه لهدايتهم، فيسعد العالم بعد شقائه، ويهتدي بعد ضلاله، ويفوز بالسعادتين، وأن المسلمين إن لم يفعلوا فهم حَجَر عثرة في طريق دخول الناس في الإسلام، وسيسألهم الله تعالى عن ذلك.

\*\*\*

## المبحث الأول

تمسكه ﷺ بمكارم الأخلاق ودعوته الخلق إليها

أولاً: تعريف الخلق:

قال ابن منظور: «الخلق، بضم اللام وسكونها: الدين والطبع والسجية»<sup>(١)</sup>.  
وقال الراغب الأصفهاني: «الخلق والخلق في الأصل واحد... لكن خُصَّ الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُصَّ الخلق بالقوى والسجاياء المدركة بالبصيرة»<sup>(٢)</sup>.

وقال الغزالي: «... فالخلق: عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية»<sup>(٣)</sup>.

هذا هو تعريف الأخلاق بصفة عامة، أما الأخلاق في الإسلام فهي المبادئ والقواعد المنظّمة لسلوك المسلمين مع الخالق والمخلوقين<sup>(٤)</sup>.

(١) «لسان العرب» (١٠ / ٨٥)، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

(٢) «المفردات في غريب القرآن» (ص ١٥٨)، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣ / ٥٣) دار المعرفة، بيروت.

(٤) ينظر «الأزمة الفكرية المعاصرة، تشخيص ومقترحات وعلاج» - طه جابر العلواني (القاهرة: إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٢)، (ص ١٦٧).



## ثانيًا: أقسام الأخلاق:

ليست الأخلاق جميعها جبلية، وليست أيضًا كلها كسبية.

قال ابن القيم: «فإن قلت: هل يمكن أن يقع الخلق كسبيًا، أو هو أمر خارج عن الكسب؟ قلت: يمكن أن يقع كسبيًا بالخلق والتكلف، حتى يصير له سَجِيَّةً وَمَلَكَةً»<sup>(١)</sup>.

واستدل على ذلك بأن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا». قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ»<sup>(٢)</sup>.

ثم قال: «فدلَّ على أن من الخلق ما هو طبيعة وجبلة، وما هو مكتسب»<sup>(٣)</sup>.  
فبيَّن ﷺ أن الأخلاق تنقسم إلى قسمين: أخلاق جبلية، وأخلاق مكتسبة.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٥)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، تحقيق: محمد حامد الفقي.

(٢) أخرجه أبو داود (٥٢٢٥) من حديث زارع بن عامر ؓ، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥٢٢٥).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٥).

ويشهد أيضًا أن من الأخلاق ما هو مكتسب: قوله ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعْفِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

وتنقسم أيضًا من حيث علاقة صاحبها بغيره إلى قسمين:

أخلاقه مع الله تعالى، وأخلاقه مع عباده.

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن رجب: «فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله وحقوق عباده»...

إلى أن قال: «قوله ﷺ: «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»: هذا من خصال التقوى، ولا تتم التقوى إلا به، وإنما أفرد بالذكر للحاجة إلى بيانه، فإن كثيرًا من الناس يظن أن التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده، فنص له على الأمر بإحسان العشرة للناس، فإنه كان قد بعثه إلى اليمن معلّمًا لهم ومُفَقِّهًا وقاضيًا، ومَن كان كذلك فإنه يحتاج إلى مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «حسن صحيح»، وصححه

الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٨٧).



إليه غيره مما لا حاجة للناس به ولا يخالطهم، وكثيرًا ما يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته - إهمال حقوق العباد بالكلية أو التقصير فيها، والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جدًا لا يقوى عليه إلا الكُمَّل من الأنبياء والصدّيقين»<sup>(١)</sup>.

وتنقسم كذلك إلى ما هو حسن، وما هو قبيح.

فالأخلاق الحسنة: هي حال للنفس جبلية أو مكتسبة، يصدر عنها سلوك إنسانيّ يستحسنه الشرع، وتقبله النفوس البشرية السليمة، فيكون محمودًا؛ لأنه يرجع بالخير والنفع على الفرد أو الجماعة، وتُسمّى «مكارم الأخلاق، أو محاسن الأخلاق، أو الأخلاق الحميدة». ومثالها: الصدق، الأمانة، الوفاء بالوعد، بر الوالدين، الإحسان، التراحم...

أما الأخلاق السيئة: فهي حال للنفس جبلية أو مكتسبة، يصدر عنها سلوك إنسانيّ يستقبحه الشرع، وتأنف منه النفوس البشرية السليمة، فيكون مذمومًا؛ لأنه يرجع بالشر والضرر على الفرد أو الجماعة، وتُسمّى «رذائل الأخلاق، أو مساوئ الأخلاق، أو الأخلاق الذميمة». ومثاله: الكذب، الخيانة،

(١) انظر «جامع العلوم والحكم» (ص ١٥٨ - ١٨١)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى:

الغش، البخل، خلف الوعد، الشحناء والتباغض...

وقد ثبت باستقراء نصوص الشرع المُشَرَّف، أن المُعْتَبَر من الأخلاق هو ما كانت حسنة دون غيرها؛ لذا جاء الأمر باكتسابها والاتصاف بها، والحث على التخلق بها، ووعد صاحبها بالثواب الجزيل، وثبت أيضًا: النهي عن ضدها من الأخلاق الذميمة الرديئة، والتحذير منها، وإيعاد مرتكبها بالعقاب الأليم إن لم يتب منها.

ولا شك أن الأخلاق من أعمال الجوارح، كما أنها من أعمال القلوب؛ فالإيمان كما يُعرِّفه أهل السنة والجماعة: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

### ثالثًا: أهمية حسن الخلق:

إذا حُسِنَتْ أخلاق العبد واستقامت وصلحت في كل ما يصدر عن صاحبها من أقوال وأفعال - كانت دليلًا واضحًا، وبرهانًا ساطعًا على قوة إيمانه، وعلى سلامة وجدانه، وعلى أنه لا يعمل إلا وَفْقَ ما يرضي ربه سبحانه.

لذلك كان السلف الصالح يُعَدُّون الدين هو الخُلُق، والخلق هو الدين.

وقد قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

[القلم: ٤]: «دين عظيم»<sup>(١)</sup>.

(١) انظر «الكشف والبيان» للثعلبي النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، =



ويقول الإمام ابن القيم: «الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ؛ فمن زاد عليك في الخلق - زاد عليك في الدين»<sup>(١)</sup>.

ولما سُئِلَتْ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، قالت: «... فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»<sup>(٢)</sup>.

أي: كان متمسكاً بآداب القرآن وأوامره ونواهيه وأحكامه وتوجيهاته. وإنه لمن الحقائق التي اتفق عليها جميع العقلاء: أن الأخلاق الكريمة هي ثمرة الإيمان القوي الصادق، وأن الأخلاق السيئة هي وليدة ضعف الإيمان. ولقد حصّت الشريعة الإسلامية أتباعها على التمسك بالأخلاق الفاضلة، وحذّرتهم من الوقوع والاقتراب من رذائلها، وبيّنت لهم أن حُسْنَ الخلق يرفع صاحبه إلى أعلى الدرجات، وأن سوء الخلق يهوي بصاحبه إلى أسفل الدَرَكَات. وأوجبت تزكية النفس، وبيّنت أن بدايتها ونهايتها: التوحيد، ويدخل في ذلك تطهير النفس من أمراضها، ومنعها من ارتكاب المحرمات، وإقامتها

---

= ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، الطبعة الأولى، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق

الأستاذ: نظير الساعدي.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦).

للطاعات، وحملها على فعل الخيرات التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع.  
والأمم التي تتمسك بمكارم الأخلاق، وتعتنق الفضائل - لا بد أن تصل  
إلى ما تَصْبُو إليه من سَلَام ورخاء وسعادة في الدنيا والآخرة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].  
أما الأمم التي تَنْهَار فيها الأخلاقُ الحَسَنَة، وتشيع فيها الفاحشة، ويتعامل  
أفرادها بمرذول الأخلاق - فإنَّ مصيرهم حتمًا سيؤول إلى الهَوَان والضعف،  
وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

وللأخلاق الفاضلة في دين الله تعالى المَكانة السَّامِقة، فقد سئل النبي ﷺ  
عن البر - وهو جماع الخير - فقال: «حُسْنُ الْخُلُقِ»<sup>(١)</sup>.  
وحين سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ  
الْخُلُقِ»<sup>(٢)</sup>.

وأعلن ﷺ أن «أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(٣)</sup>.  
قال المباركفوري: «لأنَّ كمالَ الإيمان يُوجب حُسنَ الخلق والإحسان إلى

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «صحيح غريب».

(٣) أخرجه الترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».





كافة الإنسان»<sup>(١)</sup>.

وَيَنْبَغِي ﷺ أَنْ الْمُؤْمِنَ يُدْرِكَ بِهِ مِنْ سَبْقِهِ مِنَ الْعِبَادِ؛ قَالَ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»<sup>(٢)</sup>.

وَيَكُونُ مِنْ أَحَبِّ الْخَلْقِ وَأَقْرَبِهِمْ فِي جَنَاتِ النِّعَمِ إِلَى سَيِّدِ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَةِ الْمَهْدَاةِ، أَفْضَلِ النَّاسِ خَلْقًا وَخُلُقًا؛ فَعَلَى قَدَرٍ تَشْبِهُهُ بِخُلُقِهِ ﷺ، وَاتِّبَاعِهِ لِكَرِيمِ خِلَالِهِ، وَاقْتِفَائِهِ لَجَمِيلِ آثَارِهِ يَكُونُ قَرْبُهُ مِنْهُ؛ قَالَ ﷺ: «إِنَّ مَنْ أَحَبَّنَا إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(٣)</sup>.

وَكَيْفَ لَا يَأْمُرُ ﷺ أُمَّتَهُ بِأَنْ يَحْسِنُوا أَخْلَاقَهُمْ، وَقَدْ قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٤)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ: «صَالِحِ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٥)</sup>.

قَالَ الْمَنَاوِي: «إِنَّمَا بُعِثْتُ»: أَيُّ: أُرْسِلْتُ، «لَأَتَمِّمَ»: أَيُّ: لِأَجْلِ أَنْ أَكْمَلَ

(١) «تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي» (٧ / ٢٩٩)، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨) من حديث عائشة ؓ، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٧٩٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) من حديث جابر ؓ، وقال: «حسن غريب».

(٤) تقدم قريباً.

(٥) أخرجه أحمد (٣٨١ / ٢) حديث (٨٩٣٩) من حديث أبي هريرة ؓ، وقال الأرنبوط:

«صحيح».

«صَالِح»، وفي رواية بدله: «مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ» بعدما كانت ناقصة، وأجمعها بعد التفرقة<sup>(١)</sup>.

فحدّد بهذه الكلمات الرسول الأكرم ﷺ الغاية من بعثته: من أنّه ما بعث إلا ليتمم مكارم الأخلاق في نفوس أمته والناس أجمعين، ويريد للبشرية أن تتعامل بقانون الخلق الحسن الذي ليس فوقه قانون.

فهي حُلّة تقصّر دونها الحُلَل، ويسرّ لا يُغني عنه سِرّ، وهل افترق الإنسان عن حيوان الغاب وسباع الدواب إلا بالأخلاق؟!

وهي تتمرّج بتصرّفات الإنسان كلّها، في سلوكه جميعه، وأحواله كلّها، في جدّه وهزله، وفرّحه وحزنه، ورضاه وسخطه، وخطئه وصوابه.

وجوامع الأخلاق التي دعا إليها ﷺ تسري في كيان الإسلام كله بجوامع كلمه، سواء في ذلك ما كان في الأصول أو كان في الفروع، وسواء منها ما كان في التّوحيد والعقائد، أو كان في العبادة والشريعة، وما كان في معاملة الخالق جلّ وعلا، أو معاملة المخلوقين، حتّى في إقامة حدود الشّرع، وحتّى مع الحيوان في قتله أو ذبحه.

(١) «فيض القدير» (٢/ ٧٢٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ،



وقد جسّد ﷺ كلّ ذلك وبلغ فيه الغاية؛ فاستحقّ أن يُزكّيه ربُّه سبحانه بهذا الشّاء العاطر: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

رابعاً: خصائص أخلاقه ﷺ مع أمته:

مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تُنال الدرجات، وتُرفع المقامات، والنبِيُّ ﷺ - كان أحسنَ النَّاسِ خُلُقًا وَخُلُقًا، واجتمع فيه من أوصاف المدح والشّاء ما تفرّق في غيره، فقد صانه الله سبحانه وحَفِظَه مِن أدنى وصفٍ يُعابُ به صاحبه، تفضُّلاً منه سبحانه ومِنَّةً، وقطعاً لألسنة أعدائه الشّائنين له الذين يتربصون به، ويقفون في طريق دعوته مُحذرين منه، يودُّون هَفْوةً يَنْفُخُونَ فيها؛ ليفرقوا الناس عنه ويعيبوه بها، ولكن أنى لهم ذلك!

فقد نشأ ﷺ مُتَحَلِّياً بكل خلق كريم، مُبتعداً عن كل وصف ذميم، فهو أعلم الناس وأنصحهم، وأفصحهم لساناً، وأقواهم بياناً، وأكثرهم حياءً، يُضرب به المثل في الأمانة والصدق والعفاف.

أدبه ربُّه فأحسن تأديبه؛ فكان لذلك أرجح الناس عقلاً، وأكثرهم أدباً، وأوفرهم حلماً، وأكملهم قوة وشجاعةً وشفقةً، وأكرمهم نفساً، وأعلاهم منزلةً، وبالجملة، فكل خُلُقٍ فاضل فله ﷺ منه القسط الأكبر والحظ الأوفر،

وكل وصف مذموم فهو أَسْلَمَ الناس منه وأبعدهم عنه؛ شهد له بذلك العدو والصديق.

ولما بعثه الله سبحانه بالنور والهدى إلى الثقلين الجن والإنس - زاده الله قوة في هذه الخصال الحميدة إلى قُوَّتِهِ؛ وقد نوّه الله سبحانه بتفضله وامتنانه على نبيه وخليفه محمد ﷺ في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

فأعطاه ربّه جلّ في علاه السيادة البشرية على العالم؛ قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدٌ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرٌ»<sup>(١)</sup>.

قال العزُّ بن عبد السلام: «السَّيِّدُ: هُوَ مَنْ اتَّصَفَ بِالصِّفَاتِ الْعَلِيَّةِ، وَالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، وَهَذَا مُشْعَرٌ بِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُمْ فِي الدَّارَيْنِ، أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَلِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْعَظِيمَةِ، وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلِأَنَّ الْجَزَاءَ مُرْتَبٌّ عَلَى الْأَخْلَاقِ وَالْأَوْصَافِ، فَإِذَا فَضَّلَهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي الْمُنَاقِبِ وَالصِّفَاتِ، فَضَّلَهُمْ فِي

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٤٧٧).



الآخرة في المراتب والدرجات، وإنما قال ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ»؛ لتعرف أمته منزلته من ربه ﷻ<sup>(١)</sup>.

وقد خَصَّ اللهُ جَلَّ وَعَلَا نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ بآية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب؛ فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: «أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهَ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>، يعني: قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وعن جعفر الصادق أنه قال: «ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها»<sup>(٣)</sup>.

ومن خصائص أخلاقه ﷺ مع أمته:

إيثاره ﷺ أمته على نفسه؛ حيث قال ﷺ: «لكل نبي دعوة قد دعا بها أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»<sup>(٤)</sup>.

(١) «بداية السؤل في تفضيل الرسول» (ص ٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٤٤).

(٣) انظر «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي (٣/ ٣٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن رجب بعد أن ساق هذا الحديث وغيره من الروايات: «والمراد من هذه الأحاديث - والله أعلم - أنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ دَعْوَةً شَامِلَةً لِأُمَّتِهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ دَعَا عَلَى أُمَّتِهِ الْمُكَذِّبِينَ لَهُ فَهَلَكُوا، وَمِنْهُمْ مَنْ سَأَلَ كَثَرَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا كَمَا سَأَلَهُ سُلَيْمَانُ، وَاخْتَصَّ النَّبِيُّ بِأَنْ أَدَّخَرَ تِلْكَ الدَّعْوَةَ الْعَامَّةَ الشَّامِلَةَ لِأُمَّتِهِ شَفَاعَةً لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

ومنها: أنه جاء بإتمام مكارم الأخلاق.

حيث قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(٢)</sup>.

قال المناوي: «إِنَّمَا بُعِثْتُ»: أي: أرسلت، «لَأَتَمِّمَ»: أي: لأجل أن أكمل «صَالِحًا»، وفي رواية بدله: «مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» بعدما كانت ناقصة، وأجمعها بعد التفرقة»<sup>(٣)</sup>.

(١) «فتح الباري» لابن رجب الحنبلي - دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - ١٤٢٢هـ - الطبعة الثانية، تحقيق: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وذكر هذا الحديث السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢ / ٣٣١) تحت باب (اختصاصه ﷺ بالمقام المحمود، وبأن بيده لواء الحمد، وبأن آدم فمن دونه تحت لوائه، وبأنه إمام النبيين يومئذ وخطيبهم وقائدهم، وبأنه أول شافع وأول مشفع...).

(٢) تقدم قريباً.

(٣) «فيض القدير» (٢ / ٧٢٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، =



ومنها: لينه في الله، وأنه لم يغضب لنفسه قط؛ ومجازاته السيئة بالحسنة:

فقابل ﷺ كل ما لقيه من أذى قومه وغيرهم في وطنه وغربته - بسمو أخلاقه؛ وهو ما يدل على كريم خليقته، وحسن سجيته، ونصحه لأمته، وحرصه على إيمان عشيرته، وقيامه بأعباء رسالته في نصرة دين الله، وإعلاء كلمته؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا أَنْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ، حَتَّى يُنْتَهَكَ مِنْ حُرْمَاتِ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

قال الخضري: «وقد تضافرت الأخبار على اتصافه عليه الصلاة والسلام بنهاية هذه الأوصاف، فما من حليم إلا عُرِفَ منه زَلَّةٌ، وحُفِظَتْ عنه هَفْوَةٌ، ونُبِنَا ﷺ لا يزيد مع كثرة الإيذاء إلا صبرًا، وعلى إسراف الجاهل إلا حلمًا»<sup>(٢)</sup>.  
خامسًا: شهادات المخالطين له ﷺ:

يقول خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا»<sup>(٣)</sup>.

= ١٩٩٤ م.

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٣).

(٢) «نور البقين في سيرة سيد المرسلين» (ص ٢١٣، ٢١٤) تحقيق: هيثم هلال - دار المعرفة - بيروت، لبنان - الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٦٥٩).

قال المناوي: «لحيازته جميع المحاسن والمكارم وتكاملها فيه، ولما اجتمع فيه من خصال الكمال وصفات الجلال والجمال ما لا يحصره حد ولا يحيط به عدٌّ»<sup>(١)</sup>.

ومعلوم أن الخدم والغلمان تقع منهم الأخطاء والهفوات كثيرًا؛ ومع ذلك يُعامل النبي ﷺ خادمه هذه المعاملة الفذة التي قال عنها أنس: «خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللَّهِ مَا قَالَ لِي أَفَّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لَشَيْءٍ: لَمْ فَعَلْتَ كَذَا! وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا!»<sup>(٢)</sup>.

وتقول زوجته صفية بنت حيي ﷺ: «ما رأيت أحسن خلقًا من رسول الله ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

وعائشة ﷺ لما سئلت عن خلقه ﷺ قالت: «... فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير: «ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجيّةً

(١) «فيض القدير» (٥ / ٩٠).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨ / ٥٧٣)، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩ / ٤٠٦)، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط، وأبو يعلى باختصار، ورجاله ثقات، إلا أن الربيع ابن أخي صفية بنت حيي لم أعرفه».

(٤) أخرجه مسلم (٧٤٦).





له وَخُلُقًا تَطَبَّعَهُ، وترك طبعه الجبِّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبَّله الله عليه من الخُلُق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خُلُقٍ جميل». اهـ.<sup>(١)</sup>

ولخص جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) للنجاشي حالهم قبل بعثته (ﷺ) وما جاء به فقال: «أَيُّهَا الْمَلِكُ! كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ؛ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، وَيَأْكُلُ مِنَ الْقَوِيِّ الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِّنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَأَبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ، وَحَسَنِ الْجَوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدَّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا نَشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ...»<sup>(٢)</sup>.

ولقد سأل هرقلُ عظيمُ الرومِ أبا سفيانَ عمًّا يأمرهم به (ﷺ): فقال

(١) «تفسير ابن كثير» (٨ / ١٨٩) الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، دار طيبة للنشر

والتوزيع، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.

(٢) أخرجه أحمد (١ / ٢٠١) حديث (١٧٤٠)، وقال الأرئؤوط: «إسناده حسن».

أبو سفيان: «يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ»<sup>(١)</sup>.

سادساً: حثُّ الرسول ﷺ على التمسك بمكارم الأخلاق:

تَخَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَخْلَاقِ الْقُرْآنِ الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ حَتَّى نَالَ الْمَنْزِلَةَ الْعُلْيَا مِنْ حَسَنِ الْخَلْقِ؛ فَسَمَتْ رُوحُهُ وَعَلَتْ أَخْلَاقُهُ.

وَحَضَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَعَامَلَةِ النَّاسِ جَمِيعِهِمْ مَعَامَلَةً حَسَنَةً بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ الْجَامِعَةِ؛ فَقَالَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «حُسْنُ الْخَلْقِ يَقُومُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ، لَا يَتَصَوَّرُ قِيَامُ سَاقِهِ إِلَّا عَلَيْهَا: الصَّبْرُ، وَالْعِفَّةُ، وَالشَّجَاعَةُ، وَالْعَدْلُ... وَمِنْشَأُ جَمِيعِ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ». اهـ. باختصار<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»<sup>(٤)</sup>.

فَجَعَلَ الْمُسْلِمَ الْحَقُّ هُوَ مَنْ يَسْلَمُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وقال: «حسن صحيح».

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.



وَيَنْبَغِي أَنْ التَّقْوَى وَحَسَنَ الْخَلْقِ مِنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ بِهِمَا الْعَبْدُ الْجَنَّةَ.  
إِذْ تَقْوَى اللَّهِ تُصْلِحُ مَا بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَحَسَنَ الْخَلْقِ يُصْلِحُ مَا بَيْنَ  
الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْخَلْقِ؛ فَتَقْوَى اللَّهِ تَوْجِبُ لَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَحَسَنَ الْخَلْقِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى  
مَحَبَّتِهِ.

وَلَمَّا سَأَلَهُ النَّوَّاسُ بْنُ سَمْعَانَ رضي الله عنه عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ، قَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ  
الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»<sup>(١)</sup>.  
قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ تَعْلِيْقًا عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ: «فَقَابَلَ الْبِرَّ بِالْإِثْمِ، وَأَخْبَرَ أَنَّ  
حَسَنَ الْخَلْقِ وَالْإِثْمَ حَوَازِ الصَّدُورِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حَسَنَ الْخَلْقِ هُوَ الْدِّينُ  
كُلُّهُ، وَهُوَ حَقَائِقُ الْإِيْمَانِ، وَشَرَائِعُ الْإِسْلَامِ»<sup>(٢)</sup>.  
وَرَتَّبَ الْأَثَرَ الْعَظِيمَ وَالثَّوَابَ الْجَزِيلَ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ  
بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»<sup>(٣)</sup>.  
وَالسِّرُّ يَكْمُنُ فِي أَنَّ صَاحِبَ الْخَلْقِ الْحَسَنِ أُعْطِيَ هَذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ؛ لِأَنَّ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٣) من حديث النّوَّاس بن سمعان رضي الله عنه.

(٢) «مدارج السالكين» (٣١٨/٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٤٧٩٨).

الصائم في النهار والمصلي في الليل يجاهدان أنفسهما في مخالفة شهواتهما؛ وأما من يحسن خلقه مع الناس مع اختلاف طبائعهم وأخلاقهم، فكأنه يجاهد نفوساً كثيرة، فأدرك ما أدركه الصائم القائم، فاستويا في الدرجة.

وَعَدَّ ﷺ حُسْنَ الخلق من تمام إيمان العبد وكمال، فقال: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»<sup>(١)</sup>.

وقال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وأعلن أن صاحب الخلق الحسن سيفوز بمحبته ﷺ وبصحبه في الفردوس؛ فقال: «إِنَّ مَنْ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَسَّنَكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(٣)</sup>.

وتكفل له بالجنة؛ فقال: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَارِحًا، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال: «حسن غريب».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٨٠٠)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح سنن» =



فالبَيْتُ الْعُلُوِّيُّ جزاءٌ لأعلى المقامات الثلاثة، وهي حسن الخلق، وكلها راجعة إليه.

وجعله من أحب الأعمال إلى الله؛ فقال: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَمَلٌ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدَ عَنْهُ جُوعًا، وَلَآنَ أَمْشِي مَعَ أَخِي الْمُسْلِمِ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي الْمَسْجِدِ شَهْرًا»<sup>(١)</sup>.

وقال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَمَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا»<sup>(٢)</sup>.

وأعظم من ذلك أن جعل الكلمة الهَيِّئَةَ اللَّيِّنَةَ صدقةً؛ فقال: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»<sup>(٣)</sup>.

=أبي داود (٤٨٠٠).

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢ / ٤٥٣) حديث (١٣٦٨٠)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٧٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «الكبرى» (١٠ / ١٩١) حديث (٢٠٥٧٠)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٧٨).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

بل وحتى التَّبَسُّم الذي لا يُكَلِّف الإنسان شيئاً، فقال: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وأشار إلى أن حسن الخلق أثقل شيء في ميزان المؤمن يوم القيامة، وأن الله يبغض سيئ الخلق؛ فقال: «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»<sup>(٢)</sup>.

وأنه خير ما عمل ابن آدم؛ فقال: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنَ الصَّلَاةِ، وَصَلَاةِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ»<sup>(٣)</sup>.

وأثنى على الرفق؛ فقال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»<sup>(٤)</sup>، وقال: «مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ»<sup>(٥)</sup>.

حتى أمر بإحسان القتل والذبح؛ فقال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ

(١) أخرجه الترمذي (١٩٥٦)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وقال: «حسن غريب».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠٢)، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وقال: «حسن صحيح».

(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٩ / ٧) حديث (١١٠٩١)، من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٤٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٢٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٩٢) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.



فَلْيُرْخَ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(١)</sup>.

وأمر بكظم الغيظ وبيّن حسن عاقبته، فقال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفِذَهُ - دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ مَا شَاءَ»<sup>(٢)</sup>.

ولما سأله رجل: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»<sup>(٣)</sup>.

إذ إطعام الطعام مما يقوّي الروابط بين الناس، وإفشاء السلام مما يوطّد المحبّة في القلوب.

ويربطُ ﷺ بين ترك الإيذاء، وإكرام الضيف، وقول الخير بالإيمان بالله واليوم الآخر؛ فقال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ»<sup>(٤)</sup> - هذا لبيان أهمية إصلاح ذات البين، وتوثيق العلاقات حتى

(١) أخرجه مسلم (١٩٥٥)، من حديث شدّاد بن أوس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٢١)، من حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه، وقال: «حسن غريب».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

يسعد المجتمع ويقوّي.

وبين أنه أفضل ما في الدنيا فقال: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: صدق الحديث، وحفظ الأمانة، وحسن الخلق، وعفة مطعم»<sup>(١)</sup>، وكلها تعود إلى حسن الخلق.

و«أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْطُوا شَيْئًا خَيْرًا مِنْ خَلْقِ حَسَنٍ»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ وَحَسَنُ الْخَلْقِ وَحَسَنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»<sup>(٣)</sup>.

وأن الله يرفع حسن الأخلاق؛ فقال: «ما نقصت صدقةً من مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، ومن تواضع لله رفعه»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١٧٧ / ٢) حديث (٦٦٥٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨٧٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧٩ / ١) حديث (٤٦٦)، من حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٧٤٠).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٩ / ٦) حديث (٢٥٢٩٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥١٩).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٨٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.





وبشّره بالنجاة من النار؛ فقال: «حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس»<sup>(١)</sup>.

وأوضح أن العابد سيئ الخلق مُعَذَّب في النار بسبب سوء خلقه؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رجل: يا رسول الله، إن فلانة يُذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقته، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في النار». قال: يا رسول الله! فإن فلانة يُذكر من قلة صيامها وصدقته وصلاحها، وإنها تصدّق بالأثوار من الأقط<sup>(٢)</sup>، ولا تؤذي جيرانها بلسانها. قال: «هي في الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وبيّن صلوات الله عليه أن العبد مُطالب بأن يكتسب الأخلاق الحسنة، ويستعين الله على ذلك؛ فقال: «وَمَنْ يَسْتَغْفِرْ يُعَفِّهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) أخرجه أحمد (١ / ٤١٥) حديث (٣٩٣٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقال الأرئوط: «حسن بشواهده، وهذا إسناد ضعيف».
  - (٢) الأثوار: جمع ثور، وهي قطعة من الأقط، وهو لبن جامد مستحجر.
  - (٣) أخرجه أحمد (١٥ / ٤٢١) حديث (٩٦٧٥)، من حديث رضي الله عنه، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨ / ٣٠٨) وقال: «رواه أحمد والبخاري، ورجاله ثقات».
  - (٤) أخرجه البخاري (١٤٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وكان من دعائه ﷺ: «وَاهِدْنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٧٧١)، من حديث علي رضي الله عنه.

## المبحث الثاني

وصف رحمته ﷺ وأقسامها،

والآيات التي أشارت إلى معالم الرحمة في أخلاقه ﷺ

أولاً: وصف رحمته ﷺ وأقسامها:

من عظيم رحمة الله تعالى الجليلة بعباده أن أنزل الكتب وأرسل الرسل، واصطفى محمداً ﷺ وفضّله، فكان سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء وإمام المرسلين، بعدما أدّبه ربُّ العالمين فأحسن تأديبه، وحسّن خلقه وزكّى خلقه؛ فأكرم الناس بمبعثه لهم كافة؛ ليخرجهم به من الظلمات إلى النور، وليتمم به مكارم الأخلاق، وليكون رحمة للعالمين.

فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «كان محمد ﷺ رحمة لجميع الناس؛ فمن آمن به وصدّق به سعد، ومن لم يؤمن به سلّم مما لحق الأمم من الخسف والغرق»<sup>(١)</sup>.

فكان رسوله محمدٌ ﷺ رحمةً للخلائق عامّة؛ للمؤمن بالهداية، وللكافر بتأخير العذاب، وللمنافق بالأمن من القتل، وللمُعاهد وللمستأمن وللذميّ

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١١/٣٥٠).

بدخوله في عهده وأمانه وذمته.

ولذلك كانت الرحمة التي حبّأها سبحانه لنبيه تنقسم إلى قسمين:

رحمة عامة لسائر الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

[الأنبياء: ١٠٧].

ورحمة خاصة بأتباعه؛ قال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال ابن كثير: «يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أي:

أرسله رحمة لهم كلّهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة - سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردّها وجحدّها خسر في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

وقد قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ

يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وقد بيّن ﷺ منزلة رحمته العظيمة من أخلاقه المنيفة فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ!

إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»<sup>(٣)</sup>.

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٥ / ٣٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) أخرجه الحاكم (١ / ٩١) حديث (١٠٠)، من حديث أبي هريرة ؓ، وصححه، =



وقال: «أَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي سَبَبْتُهُ سَبَبَةً أَوْ لَعَنْتُهُ لَعْنَةً فِي غَضَبِي، فَإِنَّمَا أَنَا مِنْ وَلَدِ آدَمَ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُونَ، وَإِنَّمَا بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ؛ فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ صَلَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>.

ولما قيل له: يا رسول الله، ادْعُ اللهَ على المشركين. قال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»<sup>(٢)</sup>.

وعن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً فَقَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَفِّي، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وجعل الله تعالى وَجُودَهُ بَيْنَ أَصْحَابِهِ أَمَنَةً لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ، فَقَالَ ﷺ: «... وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ...»<sup>(٤)</sup>.

وقال ﷺ كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في صلاة الكسوف: «... رَبِّ أَلَمْ تَعَذِّبْنِي إِلَّا تَعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ؟ أَلَمْ تَعَذِّبْنِي إِلَّا تَعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

---

= وصححه الألباني في «الصحيحه» (٤٩٠).

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٩)، وصححه الألباني في «الصحيحه» (١٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٥٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٣١)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

يَسْتَغْفِرُونَ؟»<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه صفته ﷺ في الكتب السابقة قبل أن تنالها يد التحريف؛ فعن عطاء رضي الله عنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: «أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]....»<sup>(٢)</sup>.

ومظاهر رحمته ﷺ قد تجلّت في حياته كلها، وحفلت بها سيرته المباركة، وامتلاّت بها شريعته المشرفة، فرحم كل من حوله: الصغير والكبير، والقريب والبعيد، والمرأة والضعيف، بل شملت رحمته الإنس والجان والحيوان، وجاء بشريعة كلها خير ورحمة للعباد، وما من سبيل يوصل إلى رحمة الله تعالى إلا جلاّه لأمته، وحضّهم على سلوكه، وما من طريق تبعدهم عن رحمة الله تعالى إلا زجرهم عنها، وحذرهم منها؛ رحمة بهم، وشفقة عليهم؛ حتى كاد من حرصه على هدايتهم يهلك نفسه، فعاتبه ربّه ونهاه عن ذلك؛ فقال: ﴿لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ

(١) أخرجه أبو داود (١١٩٤)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وصححه الألباني في

«صحيح سنن أبي داود» (١١٩٤).

(٢) تقدم كاملاً، والحديث أخرجه البخاري (٢١٢٥).



يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ [الكهف: ٦].

ودعا ﷺ إلى التراحم فقال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ - يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وأخبر أن الرحيم مثواه الجنة فقال: «... وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...»<sup>(٢)</sup>.

ومع امتلاء سيرته بمواقف جلّت للعالمين رحمته بهم؛ إلا أنها حفظت كذلك مواقف أخرى أوقع فيها العقوبة الشديدة على من يستحقها، وليس ذلك مما يتعارض مع صفة الرحمة التي امتلأ بها قلبه، بل هي من وضع الرحمة في موضعها اللائق بها؛ لئلا تتحول إلى ضعف وعجز؛ فقاتل ﷺ من استحق القتال من المشركين واليهود، وضرب بسيفه في سبيل الله، وقتل أبي بن خلف بيده، وأمر بقتل جماعة من المشركين ومن اليهود، وقتل المحاربين المرتدين بعد أن قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف.

(١) أخرجه الترمذي (١٩٢٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح من حديث عبد الله بن عمرو



(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥)، من حديث عياض بن حمار ؓ.

وكما دعا ﷺ لبعض المشركين بالهداية، واستسقى لهم؛ دعا كذلك على آخرين بالعذاب والزلزلة والنار.

كل هذه الحوادث ومثيلاتها تشريعٌ من رب العالمين، أوحى به إلى الرسول الأمين ﷺ، أو أقرَّ الله تعالى اجتهاده فيها، وهو ﷺ لا ينطق عن الهوى؛ إن هو إلا وحي يوحى؛ فكانت هذه الأحكام منه ﷺ حقًا وصدقًا وعدلاً.

وقد ضلَّ قومٌ من أعداء هذا الدين؛ فحاولوا التشنيع بمثل هذه الأحداث على سيرة الرحمة المهداة ﷺ، واختزلوا السيرة النبوية فيها، وقَدَّموها لأذنانهم على أنها براهين على دموية النبي ﷺ وأتباعه من المسلمين، وحملوها ما لا تحمل.

وكذلك لم يُنصفوا فيذكروا ما فاضت به كتب السنة والسيرة مما لا يكاد يُحصى من مواقفه ﷺ الرحيمة، وكريم شمائله، وعظيم صفحه.

فالنبي العظيم ﷺ كان يحمل القرآن لمن أراد الهداية والنجاة، والسيف لمن وقف في وجه الدعوة وحادَّ الله ورسوله مضطرًّا لذلك، بعد بذل قصارى الجهد في الدعوة والبلاغ لإيصال رسالة الحق لمن وراءهم.

فلا بد لإقامة الدين والدولة من الرحمة الوسطية الحق؛ دونما إفراط أو تفريط؛ وهذا ما شهد به الأعداء قبل الأحزاب والأتباع.

ونبينَا ﷺ القائد الوحيد الذي علَّم الدنيا أن القتال ليس للتشفي ولا لحبِّ





التملك؛ إنما لإزالة العوائق أمام تبليغ دين الله، ولذلك لم تحُلْ حروبه من رحمة، كما  
سأبين - إن شاء الله - في المبحث الثالث عند الحديث عن (رحمته ﷺ بالكافرين).  
وكان من رحمته بأتباعه أن أقام الحدود على من انتهكها؛ فرجم ماعزًا  
والغامدية لما زنيا، وقطع السارق.

وهذا منتهى الرحمة بهم، وإن كان في ظاهرها الشدة؛ إذ عقاب الدنيا أهون  
من عذاب الآخرة، فكانت الحدود جواهر لمرتكبيها، وزواجر لغيرهم.  
وهذا - لعمر الله - من أظهر الأدلة على صدق النبي الأمين ﷺ، إذ لو  
كان يريد أن يستكثر بالاتباع أو يتقوى بالنصر - ما جلد ظهر من اتبعه، ولا  
رجم من آمن به، لكنه مُبلِّغ دين ربه، قائمٌ بشرعه، لا يفعل هذا إلا طلبًا لرضاته  
سبحانه؛ ولذلك لم يخش فيه لومة لائم.

وفي المقابل لما خالطت بشاشة الإيمان قلوب أصحابه وأيقنوا بصدق  
نبيهم - هانت نفس من وقع في المعصية منهم عليه، وجاد بها لله؛ ليظهر من درن  
الرديلة، فرضي الله عنهم، وغفر لهم.

رحمة النبي ﷺ في القرآن الكريم:

الآيات التي أشارت إلى هذه الصفة في أخلاقه ﷺ تصريحًا وتلميحًا  
كثيرة جدًا؛ أذكر منها:

١ - قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].  
يقول ابن كثير: «غَلِيظَ الْقَلْبِ» أي: لو كنت سيئ الكلام، قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم»<sup>(١)</sup>.

فكانت هذه صفته الدائمة الملازمة له؛ التي أسر بها قلوب الناس حوله، فلم يسعهم بباله، ولا بتوزيع المناصب عليهم، وإنما وسعهم برحمته بهم، وحرصه على هدايتهم، حتى جمعهم الله عليه؛ قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِرَبِّ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيِّنُهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

فلين الله قلبه لهم، وحسن أخلاقه معهم، وامتن على العالمين ببعثته.  
٢ - قوله ﷺ في معرض ذكر إيذاء المنافقين له ﷺ: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].  
يقول السعدي: «﴿وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾؛ فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه



يقتدون.

وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة، بل ردوها، فخسروا دنياهم وأخرتهم<sup>(١)</sup>.

٣- قوله جل في علاه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال ابن كثير: «... وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: منكم وبلغتكم...، وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها...، وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة، يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على هدايتكم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم». اهـ باختصار<sup>(٢)</sup>.

وذكر القرطبي عن الحسين بن الفضل قوله: «لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا للنبي محمد ﷺ؛ فإنه قال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: ٦٥]<sup>(٣)</sup>.

(١) «تفسير السعدي» (ص ٣٤١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤ / ٢٤١).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (٨ / ٣٠٢)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، =

٤ - قوله عز من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

يقول الشنقيطي عند تفسيره لهذه الآية: «ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه ما أرسل هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه إلى الخلائق إلا رحمة لهم؛ لأنه جاءهم بيا يسعدهم، وينالون به كل خير من خير الدنيا والآخرة إن اتبعوه، ومن خالف ولم يتبع فهو الذي ضيع على نفسه نصيبه من تلك الرحمة العظمى»<sup>(١)</sup>.

فلا يحتاج محتج بأن النبي ﷺ لم يكن رحمة للكفار؛ إذ من كفر به دخل النار؛ لأنهم هم الذين أبوا طاعته ﷺ الذي ما أرسل إلا رحمة لهم؛ فقال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»<sup>(٢)</sup>.

هذا بعد أن قام بالبلاغ خير قيام، وما ترك سبيلاً يوصل إلى الجنة إلا دَلَّ أُمته (أمة الدعوة والرسالة) عليه، وما ترك شيئاً يقربها إلى النار إلا حذرهما منه؛

= الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(١) «أضواء البيان» (٤/ ٢٥٠، ٢٥١) دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان،

سنة الطبع: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[الأنفال: ٤٢].

وقد بين في هذا المثل حاله مع أمته؛ فقال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ، جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا؛ فَأَنَا أَخَذَ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا»<sup>(١)</sup>.

٥ - قوله تبارك وتعالى: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾... الآية [الفتح: ٢٩].

قال السعدي: «يخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار: أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذلَّ أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه»<sup>(٢)</sup>.

(١) متفق عليه: البخاري (٦٤٨٣) واللفظ له، ومسلم (٢٢٨٤) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) «تفسير السعدي» (ص ٧٩٥).

وهذا على ميزان الحق والعدل مع المخالفين المحاربين؛ حماية لهذه الدعوة المباركة، ونشرًا لها؛ فلا بد للحق من قوة تحميه وتمنعه، حتى يبلغ تمامه، وعلى ميزان الفضل والإيثار مع الإخوة في الدين.

٦- وذكر الله تعالى في كتابه البشارة بمبعث محمد ﷺ في الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء السابقين؛ فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فكان من رحمة الله بهم أن أرسل إليهم هذا النبي الأمي ليرحمهم مما لحقهم من الإصر والأغلال، وصارت هذه الرحمة سمة هذه الشريعة ومن جاء بها. يقول الطاهر بن عاشور: «وحكمة تمييز شريعة الإسلام بهذه المزية أن أحوال النفوس البشرية مضت عليها عصور وأطوار تهيأت بتطوراتها لأن تُسَّاس بالرحمة، وأن تُدفع عنها المشقة إلا بمقادير ضرورية لا تقام المصالح بدونها، فما في الشرائع السالفة من اختلاط الرحمة بالشدة، وما في شريعة الإسلام من تمحض الرحمة - لم يجز في زمن من الأزمان إلا على مقتضى الحكمة، ولكن الله أسعد هذه الشريعة والذي جاء بها والأمة المتبعة لها بمصادفتها للزمن والطور

الذي اقتضت حكمة الله في سياسة البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى انقضاء العالم.

فأقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر؛ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال النبي ﷺ: «بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»<sup>(١)</sup>. اهـ<sup>(٢)</sup>.

٧- ويُنَّ سبحانه الحكمة من إنزال كتابه على نبيه؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

٨- وكان من فضله ﷺ على أمته ورحمته بهم في حياته: أنهم إذا ارتكبوا المعاصي وجاءوه ﷺ نادمين مستغفرين - استغفر لهم الله ودعاه ليقبل توبتهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٦) حديث (٢٢٣٤٥)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحه» (٢٩٢٤).

(٢) «التحرير والتنوير» (١٧/ ١٢٣، ١٢٤).

أما في الآخرة فستكون شفاعات الرءوف الرحيم ﷺ، بعد أن يأذن الله  
لمن يشاء ويرضى.

\*\*\*



### المبحث الثالث

#### رحمته ﷺ بالخلق أجمعين

أولاً: رحمته بأمته:

قال القاضي عياض: «أما إحسانه وإنعامه على أمته، فكذلك قد مرّ منه في أوصاف الله تعالى له: من رافته بهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، وشفقته عليهم، واستنقاذهم به من النار، وأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، ورحمة للعالمين، ومُبَشِّرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، ويتلو عليهم آياته، ويزكيهم ويُعلمهم الكتاب والحكمة، ويهديهم إلى صراط مستقيم. فأَيُّ إحسان أَجَلُّ قَدْرًا وأعظمُ خَطَرًا من إحسانه إلى جميع المؤمنين؟!»<sup>(١)</sup>.

أ- رحمته ﷺ في دعوته أمته:

كانت دعوته ﷺ كلها رحمة وشفقة وإحسانًا وحرصًا على جمع القلوب، وهداية الناس جميعًا، لا يكل ولا يمل، ولا يدخر في ذلك أقل وسع؛ حتى كاد يهلك نفسه الشريفة ﷺ حزنًا وكمدًا على تكذيبهم له.

ولما نزل عليه الأمر بالإنذار والبلاغ - قام بتبليغ دين الله خير قيام، وترك

(١) «الشفّا بتعريف حقوق المصطفى»، بحاشية الشمنى (٢/ ٣٠).

النوم والراحة والدعة.

هذا كله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، كما علّمه ربه سبحانه.

وكان مع هذا كأحدهم يدخل الداخل عليهم فيقول: «أيكم محمد؟!»<sup>(١)</sup>، ويتسم في وجوههم ويدعوهم إلى ذلك، ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم. وكان يتعاهدهم بالموعظة، ولا يملهم بها؛ كما قال ابن مسعود: «كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةِ السَّامَةِ عَلَيْنَا اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

وهاك أمثلة من دعوته أصحابه بالرحمة والرفق واللين مما لا مثيل لها، ولا مزيد عليها:

ففي الحديث أَنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزَّانَا! فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَرَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ. فَقَالَ: «اِذْنُهُ». فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ: فَجَلَسَ. قَالَ: «أَتُحِبُّ لَأُمِّكَ؟!» قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ! قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ»... الحديث، إِلَى أَنْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ». فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ

(١) أخرجه البخاري (٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) متفق عليه: البخاري (٦٤١١)، ومسلم (٢٨٢١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

إِلَى شَيْءٍ»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزِرُ مَوْهُ، دَعُوهُ!» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»<sup>(٢)</sup>.

ب- رحمته ﷺ بأُمَّته في التشريع:

جاء ﷺ بالتيسير ورفع الحرج والتخفيف على أُمَّته؛ فقال: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا أَيْسَرُ مِنَ الْآخَرِ، إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا؛ فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥٦ / ٥) حديث (٢٢٢٦٥)، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وقال

الأرنؤوط: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه: البخاري (٦٧٨٦) ومسلم (٢٣٢٧) واللفظ له، من حديث عائشة رضي الله عنها.

وكان ﷺ يشتدُّ على من يخالف هذا الهدى؛ فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فَلَانٍ يَمَّا يُطِيلُ بِنَا! فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشَدَّ غَضَبًا فِي مَوْعِظَةٍ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ؛ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفَرِّينَ؛ فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ»<sup>(١)</sup>.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْوَصَالِ»<sup>(٢)</sup>، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: فَإِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تُوَاصِلُ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي! إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي». فَلَمَّا أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ وَاصَلَ بِهِمْ يَوْمًا ثُمَّ يَوْمًا، ثُمَّ رَأَوْا الْهَلَالَ، فَقَالَ: «لَوْ تَأَخَّرَ الْهَلَالُ لَزِدْتُكُمْ»؛ كَالْمُنْكَلِ هُمْ حِينَ أَبَوْا أَنْ يَنْتَهُوا»<sup>(٣)</sup>.

وكان ينهاهم عن التكلف؛ فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟». فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ تُصَلِّي! قَالَ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمْلُكُوا، وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ

(١) أخرجه البخاري (٦١١٠).

(٢) وهو أن يصل الصائم الليل بالنهار؛ فيصوم اليومين لا يأكل بينهما شيئاً.

(٣) متفق عليه: البخاري (٧٢٤٢)، ومسلم (١١٠٣)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



عَلَيْهِ صَاحِبُهُ<sup>(١)</sup>.

بل كان يترك العمل وهو يحبه رحمة بأمته؛ وفي ذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>؛ وذلك كما حَدَّثَ في قيام رمضان. أو يخففه خوف المشقة عليهم؛ كقوله: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أَطَوَّلَ فِيهَا، فَاسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَاتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

وكان ينهاهم عن كثرة السؤال وتتبع المسكوت عنه؛ فقال ﷺ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ؛ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»<sup>(٤)</sup>.

بل كان ﷺ يعلن دائماً أنه لولا خشية أن يشق على أمته لأمرها بما هو ليس بواجب عليها إرادة الخير بها؛ فقال: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي - أَوْ عَلَى النَّاسِ - لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٧٨٥).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (١١٢٨)، ومسلم (٧١٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٧) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٣٣٧).

(٥) أخرجه البخاري (٨٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُؤَخَّرُوا الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفِهِ»<sup>(١)</sup>.

ج- رحمته ﷺ في تعامله معهم:

كان ﷺ يعامل أصحابه برحمة عظيمة حتى صار أحب إليهم من أولادهم وآبائهم وأموالهم، ومن الناس أجمعين، بل من أنفسهم، وليس هذا مع كبرائهم فقط، بل ومع الإماء والغلمان منهم؛ قال أنس رضي الله عنه: «إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ»<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ؛ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَّةَ»<sup>(٣)</sup>.

وكان لا يترفع عليهم في مأكَل، أو مشرب، أو ملبس، أو مسكن، أو مركب، أو غير ذلك؛ فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعِدُ فَرَائِضُهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَوْنٌ عَلَيْكَ! فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ؛ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ

(١) أخرجه الترمذي (١٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٢).

(٣) أخرجه النسائي (١٤١٤) من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، وصححه الألباني في

«صحيح سنن النسائي» (١٤١٤).

الْقَدِيدَ»<sup>(١)</sup>.

فلم يكن يعاملهم كأنه مَلِكٌ، إنما كان بينهم كأحدهم حتى يدخل الداخل عليهم فيقول: «أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟»<sup>(٢)</sup>.

ويجيب دعوتهم ويقبل هديتهم؛ قائلاً: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ<sup>(٣)</sup> لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن حجر: «وخصَّ الذُّرَاعَ والكُرَاعَ بالذكر؛ ليجمع بين الحقير والخطير؛ لأن الذراع كانت أحبَّ إليه من غيرها، والكُرَاع لا قيمة له»<sup>(٥)</sup>.

فأسرهم بأخلاقه، واستمال قلوبهم بشمائله العظيمة، وخصائصه الجليلة.

د- رحمته بهم بعد مماتهم:

لم تكن رحمته ﷺ بأصحابه حال حياتهم فقط، ليجمعهم عليه، بل

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٣١٢) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) مستدق الساق. انظر «مختار الصحاح» للرازي (ص ٥٨٦)، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت - طبعة جديدة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) «فتح الباري» (٥/ ١٩٩، ٢٠٠) - دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

شملتهم حتى بعد مماتهم، حتى ولو كانوا ممن لا يرفع الناس شأنهم في هذه الحياة؛ فعن أبي هريرة أن رجلاً أسود - أو امرأة سوداء - كان يقيم المسجد فمات، فسأل النبي ﷺ عنه، فقالوا: مات. قال: «أفلا كنتم أذنتموني به، دُلوني على قبره، أو قال: قبرها»، فأتى قبرها فصلى عليها<sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما كان يدفن أصحابه ويكيهم ويدعو لهم؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «رأيت رسول الله ﷺ يقبل عثمان بن مظعون وهو ميت، حتى رأيت الدموع تسيل»<sup>(٢)</sup>.

ومن عظيم رحمته ﷺ بأمته أنه اشتاق إلى رؤية من يأتي بعده منهم؛ فقال: «وددتُ أنا قد رأينا إخواننا! قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟! قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»<sup>(٣)</sup>.

هذا؛ لأنه ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ قال ﷺ: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]؛ فأياً مؤمن مات وترك مالا فليُرثه عصبته من كانوا، ومن

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٣١٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣١٦٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.





تَرَكَ دِينًا أَوْ ضَيَاعًا فَلْيَأْتِنِي؛ فَإِنَّا مَوْلَاهُ»<sup>(١)</sup>.

وتتجلى عظمه رحمة النبي ﷺ بأتمته حينما دعا الله ﷻ ألا يهلكها بسنة عامة<sup>(٢)</sup>.

فالأمة - بفضل الله تعالى - في أمان من الهلاك بسنة عامة، ومحفوظة بحفظ الله من أن تستباح ببيضتها؛ ولم يبق إلا أن تصلح ذات بينها، حتى لا يهلك بعضهم بعضًا.

وبلغ من رحمته عليه الصلاة والسلام بأتمته أنه آثر أتمته على نفسه بدعوته المستجابة؛ فقال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ؛ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»<sup>(٣)</sup>.

ولما رفع يديه قائلاً: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي»، وبكى؛ أرسل الله تعالى إليه جبريل، فقال: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل له: «إِنَّا سَرَّضْنَا فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوِّكَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٣٩٩)، من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) عن ثوبان ؓ.

(٣) أخرجه مسلم (١٩٩) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٠٢) من حديث عبد الله بن عمرو ؓ.

قال النووي: «هَذَا الْحَدِيثُ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْفَوَائِدِ، مِنْهَا: بَيَانُ كَمَالِ شَفَقَةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى أُمَّتِهِ وَاعْتِنَائِهِ بِمَصَالِحِهِمْ، وَاهْتِمَامِهِ بِأَمْرِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

هذه رحمته ﷺ بأُمَّته؛ حَرَصَ عَلَى سَعَادَتِهِمْ فِي الدَّارَيْنِ، وَأَمَرَهُمْ بِمَا يَصْلَحُهُمْ فِيهِمَا، وَحَذَّرَهُمْ مِمَّا يَضِيْعُ حَظَّهُمْ فِيهِمَا.

ثانيًا: رحمته ﷺ بالحيوان:

قبل أن تعرف الدنيا منظمات حقوق الإنسان أو حتى حقوق الحيوان - عرفت سيد الأنام رءوفًا رحيماً، داعياً للرحمة بكل معانيها وبجميع الخلائق، وضرب ﷺ أروع الأمثلة في ذلك:

فجعل رحمة الله بعبده جزاء لرحمته بالحيوان؛ لما قال له رجل: يا رسول الله، إني لأرحم الشاة أن أذبحها، قال: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللَّهُ»<sup>(٢)</sup>.

وأوصى ﷺ بالبهايم العجماوات؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ؛ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ

(١) انظر «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٧٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٦) حديث (١٥٦٣٠)، من حديث قرة بن إياس رضي الله عنه، وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح».


المُعْجَمَةِ؛ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُّوهَا صَالِحَةً»<sup>(١)</sup>.


ونهى عن اتخاذها لغير الغرض الذي خُلِقَتْ من أجله؛ فَقَالَ:  
«إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغُكُمْ إِلَى  
بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ، فَعَلَيْهَا فَافْضُوا  
حَاجَتَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وَيَبَيِّنُ أَنْ لِلْعَبْدِ أَجْرًا فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهَا، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْحَيَوَانُ كَلْبًا، وَقَدْ  
يَكُونُ ذَلِكَ سَبَبَ مَغْفَرَةِ ذَنْبِهِ؛ فَقَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ،  
فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ التُّرَى مِنَ الْعَطَشِ،  
فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي؛ فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيْهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى  
الْكَلْبَ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا!  
قَالَ: «فِي كُلِّ كَيْدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»<sup>(٣)</sup>.

وَأَنَّهُ لَوْ أَحْسَنْتَ بَعِيًّا - وَلَوْ إِلَى كَلْبٍ - تَابَ اللَّهُ عَلَيْهَا وَغَفَرَ لَهَا؛ فَعَنْ

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٤٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٥٤٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٦٧) من حديث أبي هريرة ، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٥٦٧).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٢٤٤)، ومسلم (٢٢٤٤) من حديث أبي هريرة .

أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ، يُطِيفُ بِبَيْتِهَا، قَدْ أَذْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ، فَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا<sup>(١)</sup> فَعُفِرَ لَهَا»<sup>(٢)</sup>.

وأمر بإحسان ذبحها إن كانت مما يذبح، أو إحسان قتلها - إن كان لا بد من قتلها - بأن كانت مؤذية؛ فقال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلِيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلِيُرِخَ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وحذر من قتلها إلا بحقها؛ فقال: «مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا سَأَلَهُ اللَّهُ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: «حَقُّهَا أَنْ تَذْبَحَهَا فَمَا كَلَّهَا، وَلَا تَقْطَعَ رَأْسَهَا فَيُرْمَى بِهَا»<sup>(٤)</sup>.  
ولعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً<sup>(٥)</sup> للرمي<sup>(٦)</sup>.

(١) أي: استقّت له بخفّها.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٥).

(٣) أخرجه الترمذي (١٤٠٩) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، وقال: «حَسَنٌ صَحِيحٌ».

(٤) أخرجه النسائي (٤٤٤٥)، والحاكم في «مستدرکه» (٢٦١ / ٤) حديث (٧٥٧٤)، وصححه، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٦٦).

(٥) العَرَضُ: المَهْدَفُ الَّذِي يُرْمَى إِلَيْهِ. انظر «مختار الصحاح» للرازي (ص ٤٨٨).

(٦) أخرجه مسلم (١٩٥٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

ونهى أن تُصبرَ البهائم<sup>(١)</sup>.

ونهى عن تحريقها بالنار؛ فعندما رأى قرية نملٍ قد حُرقت، قال: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

ولعن من وسمها في وجهها؛ فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ مرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسمَهُ»<sup>(٣)</sup>.

لأنَّ كُلَّ هَذَا مُنَافٍ لِلرَّحْمَةِ الَّتِي يَنْبَغِي عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا.  
وَرَجَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامُ حُمْرَةً<sup>(٤)</sup> قَدْ أَخَذَ وَلَدَهَا وَهِيَ تُفَرِّشُ بِجَنَاحَيْهَا فِي الْأَرْضِ وَجَدًّا عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا؟ رُدُّوْا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»<sup>(٥)</sup>.

(١) كُلُّ ذِي رُوحٍ يُؤْتَى حَتَّى يُقْتَلَ فَقَدْ قُتِلَ صَبْرًا. انظر «المصباح المنير» للفيومي (٥ / ١٥١).

والحديث متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٧٥)، من حديث (١) رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢١١٧).

(٤) طائر صغير كالعصفور. انظر «عون المعبود» للعظيم آبادي (٧ / ٢٤٠) - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ.

(٥) أخرجه أبو داود (٢٦٧٥)، من حديث (١) رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٦٧٥).

ورفع الظلم عن الحيوان؛ فأمر بإحسان صُحبته وإطعامه وألا يكلف ما لا يطيق؛ فقد دَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ<sup>(١)</sup> فَسَكَتَ، فَقَالَ: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟» فَجَاءَ فَتَى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؛ فَإِنَّهُ شَكََا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْبِئُهُ<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

وأخبر - بما علّمه الله - «أن امرأةً عُدْبَتْ فِي هِرَّةٍ، سَجَّتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) الدَّفَرَى مِنَ الْبَعِيرِ: مُؤَخَّرَ رَأْسِهِ. انظر «غريب الحديث» لابن الجوزي (١ / ٣٦١) - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م - تحقيق: د. عبدالمعطي أمين قلعجي.  
(٢) أي: تَكُدُّهُ وَتُتْعِبُهُ. انظر «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الجزري (٢ / ١٩٩) - المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٥٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٨٢)، ومسلم (٢٢٤٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وأعظم من ذلك أنه قال: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ<sup>(١)</sup>، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ<sup>(٢)</sup>».

وهذه دعوةٌ للتراحم وإعمار للكون، حتى ولو كان في آخر لحظات الدنيا - رحمةً بالإنسان والحيوان؛ وأخذًا بأسباب الحياة ومقوماتها إلى النهاية.

ثالثاً: رحمته ﷺ بالكافرين:

لما أكرم الله نبيه بالرسالة واصطفاه نادى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ<sup>(٣)</sup>».

فَقَبِلَ هذه الرحمة كُلُّ سعيد، ورفضها كل شقي، ومع ذلك كان له من رحمة الرحمة المهداة نصيب في الدنيا، ومن ذلك:

١ - حَالُ وجودِ النبي ﷺ دون نزول عذاب الاستئصال بالكافرين، كما حصل مع بعض الأمم السابقة لهم، مثل قوم عاد، وثمود، ولوط؛ قال تعالى:

(١) نخلة صغيرة. انظر «التيسير بشرح الجامع الصغير» للمناوي (١/ ٧٥٦) - مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م - الطبعة الثالثة.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٩١) حديث (١٣٠٠٤) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال الأرئؤوط: «إسناده صحيح».

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٩١) حديث (١٠٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٩٠).

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾  
[الأنفال: ٣٣]. وتلك رحمة نعيم بها الكافرون جميعاً.

٢- ترك الدعاء عليهم لما كذبوه وعاندوه، ولو دعا عليهم، لاستجاب الله له، كما استجاب لدعوة غيره من الأنبياء على أقوامهم، فعندما قال له أصحابه: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَآئِنَا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»<sup>(١)</sup>؛ وكان هذا في معركة أُحُد، بعدما أصيب فيها ﷺ بجراحات كثيرة، وقُتِل فيها خيرة أصحابه. وحين تعرّض المسلمون لأذى ثقيف، قالوا: يا رسول الله، ادع على ثقيف، فدعا لهم قائلاً: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا»<sup>(٢)</sup>.

ولما قَدِمَ الطُّفَيْلُ بن عمرو وَأَصْحَابُهُ على رسول الله ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا قَدْ كَفَرَتْ وَأَبَتْ، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَقِيلَ: هَلَكْتُ دَوْسٌ! فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا، وَائْتِ بِهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

٣- تجنب صدامهم بكل وسيلة ممكنة حتى يكون آخر الدواء القتال، فقد

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٩٤٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وقال: «حسن صحيح غريب».

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤).





منع مقاتلتهم مدة ثلاثة عشر عاماً، وحين قَاتَلَهُمْ، كان حريصاً على إنهاء الصراع سريعاً، ويشهد لهذه قلة عدد المعارك بينهم، وقلة عدد القتلى كذلك.

وقد قال له عليٌّ: نقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «عَلَى رِسْلِكَ، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَام، وأخبرهم بما يجب عليهم؛ فوالله لأن يُهْدَى بك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حُمْرِ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup>.

هذا هو المقصود من القتال: دفع العدوان وصد البغي، وإزالة المعوقات من طريق الدعوة، ولإقامة الحُجَّة.

٤ - شعور عامة الكفار برحمة النبي ﷺ بهم، وشفقته عليهم، إذ على الرغم من خذلانهم ومعاداتهم له إلا أنه دعا الله تعالى أن يرفع عنهم الْقَحْطَ والجُدْبَ، عندما أصابهم، فقد قيل له: يا رسول الله، استسقى الله لمضر؛ فإنها قد هلكت، فاستسقى لهم ﷺ فسُقُوا<sup>(٢)</sup>.

٥ - صلتهم بالعطاء لتأليف قلوبهم؛ فأعطى رسول الله ﷺ صفوان بن أمية مائة من النِّعَم، ثم مائة، ثم مائة. حتى قال صفوان: «وَالله لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَا بَغْضَ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٢١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ»<sup>(١)</sup>.

وقال أنس رضي الله عنه: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لِمَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضًا: «مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ اسْلِمُوا! فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ»<sup>(٣)</sup>.

ويا لله العجب! يعطيهم الدنيا ويعيش على الكفاف؛ ليؤلف قلوبهم فيربحوا الدارين، فما أرحمه!

وكان يَعودُ مريضهم رضي الله عنه، فعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ». فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ رضي الله عنه، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٣١٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٤) أخرجه البخاري (١٣٥٦).



٦- تفضله عليهم بالعتق، وترك المؤاخذة بالمثل؛ مثلما فعل بأهل مكة، وغيرهم.

٧- معاملتهم بالرفق ولو كانوا يهودًا، فعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ! قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمْتُهَا، فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ! قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ! إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ لَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ!»<sup>(١)</sup>.

بل وفي حروبه التي اضطر إليها كان رحيماً، فقابل الإساءات بالإحسان والعفو والصفح الجميل، ومع أنه كان يقاتل بشجاعة، إلا أنه كان صاحب شفقة عظيمة.

فكان يُوصي أمراءه بمثل هذه الوصية؛ فعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ أَوْ خِلَالٍ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٤).

فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلِّهُمْ الْجَزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ؛ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ...» الحديث<sup>(١)</sup>.

ونهى عن قتل الصبيان والشيخ والنساء في الحرب؛ فعَنْ حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَمَرَرْنَا عَلَى امْرَأَةٍ مَقْتُولَةٍ، قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهَا النَّاسُ فَأَفْرَجُوا لَهَا، فَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ تُقَاتِلُ فِيمَنْ يُقَاتِلُ». ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ: «انْطَلِقْ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ يَقُولُ: لَا تَقْتُلَنَّ ذُرِّيَّةً وَلَا عَسِيفًا»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «أَعْفُ النَّاسِ قِتْلَةً: أَهْلَ الْإِيمَانِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

(٢) العسيف: الأجير، وكأن المراد الأجير على حفظ الدواب لا المقاتل، والحديث أخرجه ابن ماجه (٢٨٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٢٢٩٤).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٣) حديث (٣٧٢٨)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وحسنه =



وحذّر تحذيرًا شديدًا من قتل المُعَاهِدِينَ؛ فَقَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»<sup>(١)</sup>.

وحذّر من ظلم المعاهد بأي نوع من أنواع الظلم؛ فقال: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ - فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وحتى يوم الفتح الأكبر لما قال سعد بن عباد: «اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحْلُ الحرمة»، قال ﷺ: «كَذَبَ سَعْدٌ»<sup>(٣)</sup>؛ وَلَكِنَّ هَذَا يَوْمٌ يُعَظَّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ»<sup>(٤)</sup>، وأخذ الراية منه.

وبينما كان المشركون جادّين في حملتهم لقتله كان أكثر رحمة بهم، وكان يدعو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(٥)</sup>.

=الأرنؤوط.

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٥٢)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٠٥٢).

(٣) قال ابن حجر: «فيه إطلاق الكذب على الإخبار بغير ما سيقع، ولو كان قائله بناء على غلبة ظنه وقوة القرينة». «فتح الباري» (٩ / ٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤٢٨٠).

(٥) أخرجه ابن حبان (٢٥٤ / ٣) حديث (٩٧٣) وقال الأرنؤوط: «إسناده حسن».

رابعاً: رحمته ﷺ بالجن:

الجن: عالم غيبي، سمووا بهذا الاسم؛ لاجتنانهم عن العيون، أي: استتارهم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَلُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].  
وقد خلقهم الله سبحانه من النار؛ فقال: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

وكانت الغاية من خلقهم أيضاً عبادته سبحانه كالإنس؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ومن خصائصه ﷺ أنه بُعِثَ إلى الإنس والجن عامة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ»؛ وذكر منها: «وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخُلُقِ كَافَّةً»<sup>(١)</sup>؛ هذا لكون رسالته خاتمة الرسالات.

ولما كان النبي ﷺ مبعوثاً رحمة للعالمين، كان الجنُّ من ضمن العالمين الذين رحمهم الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ببعثته.

قال الإمام الطَّحَاوِيُّ: «وهو المبعوث إلى عامة الجنِّ، وكافة الوريِّ، بالحقِّ والهدى، وبالنور والضياء»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٨١٢) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز الحنفي، (ص ١٦٦)، المكتب الإسلامي، الطبعة =



وقد بلغ رسول الله ﷺ دعوته إلى الجن دون شك ولا ريب، وأعلمه الله أن دعوته بلغتهم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَنُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].  
وصرف إليه نفرًا منهم يستمعون منه القرآن؛ ليكونوا دعاة لأقوامهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وهذا يثبت بلوغ دعوته ﷺ إلى الجن قطعًا، وكان ذلك عن طريق توافدهم عليه، واستماعهم إليه ﷺ، وعن طريق ذهابه إليهم، وقراءته عليهم؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «آتاني داعي الجن فذهبت معه؛ فقرأت عليهم القرآن». قال: فأنطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وسألوه الزاد! فقال: «لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة علف لدوابكم». فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما؛ فإنهما طعام إخوانكم»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر الله تعالى في سورة الجن أن من الجن صالحين، ومنهم دون ذلك، وأن منهم مسلمين، ومنهم قاسطين، فهم أمة كسائر الأمم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا

=الثامنة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(١) أخرجه مسلم (٦٨٢).

مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ  
ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿[الأنعام: ٣٨].

فمن رحمته ﷺ العظيمة بالجن: تحمل أعباء دعوتهم، وتعليمهم أحكام الدين، وإيضاح ما يحل لهم من الطعام؛ ونهي الإنس عن إيذائهم بإفساد طعامهم، وجعل المؤمنين منهم بالله ورسوله ﷺ إخواناً للمؤمنين من الإنس في دين الله تعالى.

ونبيه ﷺ عن قتل حيات البيوت خشية أن يكون هذا المقتول جنياً قد أسلم، فقال: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا؛ فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا؛ فَإِنْ بَدَأَ لَهُ بَعْدُ فَلْيَقْتُلْهُ؛ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ»<sup>(١)</sup>.

وقد أثنى ﷺ على مؤمنهم لتدبرهم القرآن؛ فعن جابر قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا، فَقَالَ: «لَقَدْ قَرَأْتُمَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةً الْجِنُّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ؛ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ؛ فَلَكَ الْحَمْدُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٤١٥١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢١٣)، وقال: «حديث غريب»، وحسنه الألباني في «صحيح».





هذا من عظيم رحمته وجميل سجايه ﷺ حتى مع الجن، ذلك الخلق اللطيف الذي لا نراه بأعيننا.

وفي ذلك يقول البقاعي: «سورة الجن، وتسمى ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾: مقصودها: إظهار الشرف لهذا النبي الكريم الفاتح ﷺ وعلى أنه وأصحابه وذريته أهل بيته، حيث ليّن له قلوب الإنس والجن وغيرهما، فصار مالكا لقلوب المجانس وغيره، وذلك لعظمة هذا القرآن، ولطف ما له من غريب الشأن، هذا والزمان في آخره، وزمان لبثه في قومه دون رُبْع العُشْر من زمن نوح ﷺ، أول نبي بعثه الله تعالى إلى المخالفين، وما آمن معه من قومه إلا قليل»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

=الترمذي» (٢٦٢٤).

(١) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٨ / ١٨٠)، دار الكتب العلمية - بيروت -

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

## المبحث الرابع

وجوب طاعته والافتداء به ﷺ وبأخلاقه، وبخاصة رحمته ﷺ، وأشار ذلك

أولاً: وجوب طاعته والافتداء به ﷺ وبأخلاقه، وبخاصة رحمته ﷺ:

بعد أن كرم الله وجهه حبيبه محمد ﷺ بالنبوة، وجاء بها بيضاء نقية، نسخ بها الشرائع السابقة التي حُرِّفت وبُدِّلَت - لا يُقبل من أي أحد كائناً من كان أن يدين بدين؛ إلا بما جاء به محمد الأمين ﷺ.

قَالَ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

ثم من آمن به ﷺ ورضي به نبياً ورسولاً - كان من حقه ﷺ عليه: محبته وطاعته واتباعه وتوقيره من غير إفراط ولا تفريط، أي: من غير غلو ولا جفاء - كما هو معتقد أهل السنة والجماعة - ونصرته، ونشر دينه، وتعلم سنته وتعليمها، وإظهار هديهِ، وإعلاء شريعته.

إذ هو الداعي إلى صراط ربه، الهادي الخلق إليه، ففي الحديث: «... فَالِدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالِدَّاعِي مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة ؓ.



مُحَمَّدًا ﷺ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وهو الوحيد الذي جعل الله تعالى طاعته مُوجِبَةً لدخول أمته الجنة؛ وقد قال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى! قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»<sup>(٢)</sup>.

وأوجب عليهم الاقتداء والتأسي به؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. قال ابن كثير: «هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله»<sup>(٣)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال جل في علاه: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٠) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٩١).

فلقد جعل الله تعالى رسوله ﷺ قدوة ونموذجاً جسّد هذا الدين الذي أرسل به أعظم تجسيد، حتى عاش الناس مع هذا الدين ورسوله واقعاً حقيقياً بعيداً عن الأفكار المجردة، فكان هذا الرسول عليه الصلاة والسلام خير قدوة للأمة في تطبيق هذا الدين؛ ليكون مناراً لها إلى يوم القيامة.

والمُتأمل في حياة البعيدين عن هديه ﷺ والقالين لأخلاقه في هذا العصر - يرى أنهم قد أهدروا الحقوق، واستباحوا الحرمات، وسادتهم قوانين الغاب، وانتشرت فيهم الرذيلة، بعدما حاربوا الفضيلة، وجميعها معاول هدم ودمار على العالم - ويوقن أن كل ذلك في الحقيقة من نتائج هجر الاقتداء ونبذ التخلُّق بالأخلاق والقيم التي جاء بها الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

هذا، وإن كان الاقتداء به ﷺ في الهدى الظاهري والعبادات أمراً مطلوباً مرغّباً فيه، لكنّ الأشق على النفوس والذي يحتاج إلى كبير مجاهدة - هو الاقتداء به ﷺ في تعاملاته وأخلاقياته، في رحمته بالخلق أجمعين؛ ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

ولقد ابتلى الله من ادّعى محبته بهذه الآية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].



قال ابن تيمية: «... فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ إِنَّمَا يُحِبُّ لِأَجْلِ اللَّهِ، وَيُطَاعُ لِأَجْلِ اللَّهِ، وَيَتَّبَعُ لِأَجْلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

ولقد أمر الله بطاعته المطلقة إذ هو لا يأمر إلا بما يرضي ربه سبحانه، ولا ينطق عن هوى؛ فقال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢].

ولقد ترجم الصحابة الكرام محبتهم لرسولهم ﷺ باتباعهم الصادق له، وتضحيتهم الباهرة من أجله، ووفائهم له حتى بعد أن لحق بالرفيق الأعلى، فماتوا على ما مات عليه ﷺ.

وعلينا إن أردنا الفلاح في الدارين أن نصنع صنيعهم ونحذو حذوهم؛ فإن على أفراد الأمة بكل فئاتها وطوائفها: اتباع أخلاق النبي ﷺ بشمولها، دون تفرقة أو تجزئة؛ والتعامل بها في كل مكان وفي كل زمان، ومع جميع الخلق، كما تعامل النبي الأمين ﷺ.

قال الغزالي: «اعلم أن في رسول الله ﷺ أسوة حسنة حيًا وميتًا، وفعلاً وقولاً، وجميع أحواله عبرة للناظرين، وتبصرة للمستبصرين، إذ لم يكن أحدًا أكرم على الله منه، إذ كان خليل الله وحبيه ونجيّه، وكان صفيّه

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠ / ٦٤٩)، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

ورسوله ونبية<sup>(١)</sup>.

وإذا كان نبينا العظيم ﷺ رحمة مهداة من قبل ربنا الرحيم الذي أرسله رحمة للعالمين، كان لزامًا على أتباعه أن يقتدوا به اقتداء حقيقياً، وألا يحيدوا عن هديه قيد أنملة، إذ هم مشاعل الرحمة الذين قد حملوا رسالة الرحمة بعد نبينهم ﷺ؛ ليلغوها للعالمين؛ فيفوزوا بذلك الفوز العظيم، ويُسعدوا غيرهم بدخولهم في هذه الرحمة، فيسعدوا جميعاً في الدنيا والآخرة، ويظهر على الدين كله دين المبعوث رحمة للعالمين.

وهذا الاقتداء الحقيقي بالنبي ﷺ يتطلب منا:

- ١ - معرفة قدره ومنزلته ﷺ.
- ٢ - محبته وتقديمه على النفس والمال والولد.
- ٣ - معرفة أخلاقياته، التي وجب علينا اتباعه فيها، كل بحسبه.
- ٤ - وعياً بالدروس العظيمة التي نستلهمها من حياته.
- ٥ - التدرُّج بالنفس شيئاً فشيئاً حتى تكون صبغتها الدائمة هي الحياة على الهدي النبوي.

- ٦ - الاسترشاد بمواضع القدوة في سير أصحابه المكرمين الذين اقتدروا به

(١) «إحياء علوم الدين» (٤ / ٤٦٨، ٤٦٩) دار المعرفة، بيروت.



ﷺ، والتابعين لهم بإحسان ﷺ أجمعين.

٧- التزام الصحبة الصالحة التي تُعين على الثبات على هذا الطريق القويم.

٨- العلم اليقيني بأن هذا هو سبيل سعادة الدارين.

٩- الإكثار من الصلاة والسلام على هذا النبي الخاتم القدوة ﷺ.

١٠- الدعاء الصادق بالثبات على هذا السبيل حتى لقاء الله تعالى،

وصحبة الحبيب الرؤوف الرحيم ﷺ في أعالي الجنان.

ثانيًا: آثار الاقتداء به ﷺ، والتخلق بأخلاقه المباركة:

١- الفوز بمحبة الله؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ

اللَّهُ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]، وهذه منتهى آمال

المؤمنين!

٢- دخول جنة الدنيا؛ بوجود حلاوة الإيمان في القلب؛ قال ﷺ: «ثَلَاثٌ

مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ

يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ

فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

يقول ابن القيم: «وإذا كانت سعادة العبد في الدارين مُعلّقة بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصّح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مُستقل ومُستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»<sup>(١)</sup>.

٣- لزوم الهداية؛ قال تعالى: ﴿وَأِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

٤- الأمن من الفتنة والعذاب: قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

٥- مرافقته ﷺ في الجنة؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) «زاد المعاد» (١/ ٦٨) مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة

السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠١٨) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال: «حسن غريب».





وهذه وحدها كافية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد- أن يبذل  
وُسْعَه في الاقتداء به ﷺ، والعيش على سنته؛ ليكون رفيقه في الفردوس الأعلى  
في الجنة.

٦- النصرة للمسلمين والتمكين للدين؛ فالإنسانية كلها تتطلع إلى مثلٍ  
أعلى تقتدي به، ولن تجد سيرة لعظيم أو نبي معلومة جميع تفاصيلها، كاملة في  
أدق أمورها، شاملة لشتى نواحي الحياة- غير سيرة النبي العظيم ﷺ.

وما صرنا إليه في هذه الآونة من قزامة وانزامية ومذلةً بتداعي الأمم علينا  
من كل حَدَبٍ وَصَوْبٍ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها- ما هو إلا نتيجة حتمية  
لُبعَدنا عن دين الله تعالى، وتفریطنا في التمسك بما كان عليه رسول رب العالمين؛  
وهذه سنة الله في الأولين والآخرين، والله تعالى لا يجابي أحدًا من خلقه تقاعس  
عن نصرة دينه، والعصّ على ما جاء به نبيه، مهما ادعى لنفسه من أنواع المحاباة.

فإذا اقتدينا به ﷺ في جميع مناحي حياتنا، وتخلقنا بأخلاقه، وحولنا ذلك  
إلى واقع ملموس في دنيا الناس- لا شك أن ذلك سيثمر آثاره الطيبة المباركة  
علينا، وعلى الناس أجمعين، وسنعيد مجدنا المسلوب وعزنا المفقود، وسنجي رجالاً  
صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما كان صحابته الأبرار الذين رباهم بيديه، فَلَئِنَّمِ  
المُعلم ولنعم التلاميذ؛ فنالوا رضاه ﷺ، ورضوا عنه.

وتخرجوا في الجامعة المحمدية بهذه الشهادات والأوسمة، التي قلدهم إياها ﷺ؛ فقال: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَوُهُمْ أُبَيٌّ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»<sup>(١)</sup>. وغيرهم كثير وكثير.

فهؤلاء وغيرهم ممن سار على دربهم هم ممن شملهم جميعاً موعودُهُ سبحانه الذي لا يتغير ولم يتبدل بالنصر والتمكين في كل عصر ومصر: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

فما لا شك فيه أن الله لا يُمكن لعباده إلا بعد أن يحققوا الإيمان، بأن يرضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبمقتضى هذا الإيمان يعملون الصالحات التي شرعها لهم نبيهم المبعوث رحمة للعالمين، ومنها التخلق بأخلاقه العلية.

فمن أراد النصر والتمكين والعودة إلى سالف العز والمجد، فهذا هو

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٩٠)، من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: «حسن غريب».



السييل ما زال وسيظل أوضح من الشمس في رائعة النهار.

فإن فعلنا عَرَفَ العالمُ المخدوع عظمة نبينا محمد ﷺ، وكشفنا الغطاء من على أعين من عَمُوا عن الحق أو تعاموا ببيان سيرة نبي الرحمة الناصعة وأخلاقه السامقة، التي سيجد الجميع - حتى ولو لم يسعد باتباعه ﷺ أن له فيها نصيبًا، ومن ثمَّ لن يخاف من الإسلام وانتشاره، وسيرة الحبيب ﷺ وتاريخ أصحابه ومن بعدهم وفتوحاتهم - خير شاهد على ذلك.

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وسنفتح بإذنه سبحانه البلاد وقلوب العباد، كما فتحها سلفنا بعضُهم على ما جاء به نبينا ﷺ.

\*\*\*

## الخاتمة

ما أحوج الناس إلى هذا الخلق العظيم، في هذا العصر المتلاطم الأمواج، الذي صارت سمته البارزة تلك المشاهد المأساوية التي نعاينها على مدار الساعة، ما بين القتل والتشريد والحرمان والفقر.

وما أحوج الأمة الآن أن تحوّل خلق النبي ﷺ إلى منهج حياة، وإلى واقع يتجلى سموً وروعة وجلالاً، وألا نكتفي بالكلام، أو سرد السيرة على أنها رواية من سالف الزمان.

إنّ العالم اكتوى بنيران الكفر والإلحاد والشرك والفساد، والمسلمون وحدهم هم الذين يعلمون سبيل النجاة وسفينته.

لكن فشل المحامون في عرض أعدل قضية وأبينها!

ولم يرعهم إلا الإساءة إلى درة تاج الجنس البشري ﷺ!؟

وأنا على كامل اليقين بأن من فعلوا ذلك لم يعرفوه ﷺ حق المعرفة،

ووالله لو عرفوه لكان لهم معه شأن آخر!

وإذا كانت رحمة نبينا ﷺ بهذه المنزلة التي بينت طرفاً يسيراً جداً منها،



وكانت أخلاقه بهذا الكمال، فما الذي جرى لنا؟!

فلنعلم يقيناً أننا لن نستطيع تحقيق أي نفع للإسلام، ولن نثبت على هذا الدين؛ إلا باتباعنا لهذا النبي الأمين ﷺ.

فإن فعلنا فُرنا وربَّ الكعبة، وإن تولينا استبدل ربُّنا قومًا غيرنا ليسوا أمثالنا؛ نعوذ بالله من الخذلان.

### التوصيات:

١ - الدعوة إلى عمل موسوعة شاملة في السيرة، ثم ترجمتها إلى الممكن من لغات العالم - تعتني بالدروس والعبر المستفادة منها، وتركّز على الجوانب التربوية، ومعالم القدوة فيها، مؤصّلة لما يجب على العبد اعتقاده تجاه نبيه ﷺ، بعيدة كل البعد عن الإسهاب والحشو والسرَد التاريخي، خالية من الضعيف، بله الموضوع وما ليس له أصل، مقيمة الحجج الدامغة على المخالفين المشككين، دافعة بكل برهان ما قد يستغله الأعداء لتشويه صورة الإسلام والطعن في نبينا ﷺ.

٢ - السعي لإطلاق قناة فضائية خاصة بسيرته ﷺ وشأنه وخصائصه وأخلاقياته، ولتحمل مثلاً اسم: «سيد البشر»، أو «رحمة للعالمين»، أو «الرحمة المهداة»، وترجمة برامجها إلى اللغات الأخرى لدعوتهم؛ وإقامة الحجّة عليهم بأن النبي ﷺ لم يأت للعرب فحسب.

٣- اغتنام التقنية العلمية الهائلة في وسائل الاتصالات التي حوّلت العالم إلى قرية صغيرة، وعكوف المجتهدين فيها لابتكار أحدث ما يمكن أن ننشر به الدين، وننصر به النبي الأمين ﷺ من إنشاء مواقع متميزة، وإرسال رسائل لغير المسلمين عبر الهواتف والبريد الإلكتروني، وغير ذلك.

٤- إقامة مؤتمرات علمية، كهذا المؤتمر المبارك ودعوة أصحاب الرأي والفكر إلى حضوره، واختيار أفضل البحوث، ودمجها في كتاب، ومن ثم ترجمته، ونشره، وبث هذه اللقاءات عبر القنوات الفضائية والمواقع الإلكترونية ليعم النفع.

٥- عقد مناظرات بين العلماء المسلمين ورجال الدين من غيرهم؛ لإزالة الشبهات العالقة في قلوبهم تجاه الإسلام ونبينا ﷺ.

٦- إرسال الدعاة المتميزين إلى البلاد التي لا تدين بالإسلام ودعمهم، والعمل لتنشيط المراكز الإسلامية هناك لتقوم بمهمتها المنشودة.

٧- إنشاء مركز لتفقيه المسافرين إلى هذه الدول غير الإسلامية، وتعليمهم آداب معاملة المخالفين، وأنهم سفراء للإسلام في هذه البلاد.

٨- توعية المسلمين بالتعامل مع المعاهدين والمستأمنين في بلادهم ومن لهم حق المواطنة والجوار من غير المسلمين.



٩- إعادة النظر في مناهج التعليم في البلاد الإسلامية وإثراؤها بسيرة نبي

الرحمة ﷺ، ونماذج من أخلاقياته، في جميع مراحل التعليم المختلفة.

١٠- ينبغي أن يُعلم أن فريضة الوقت هي نصرة نبي الرحمة ﷺ، كل بما

يستطيع، وبما خوّله الله تعالى، فلتكن صحوة للرجوع إلى هديه المُشَرَّف ﷺ،

وليتظهر هذا في أخلاقنا، ومدارسنا، وجامعاتنا وصحفنا، وإعلامنا وثقافتنا...

هذا كله بالطبع بالحكمة والموعظة الحسنة ورحمة المخالف والجاهل - تأسيساً

بنبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، مع ملازمة الإخلاص لله تعالى، والاستغفار

من التقصير والتفريط.

وفي الختام أسأل الله أن يحشرنا مع نبينا المصطفى ﷺ وآل بيته الكرام

وصحابه العظام، وأن يغفر لي ولوالديّ ولمشايخي وللمسلمين والمسلمات يوم

يقوم الحساب؛ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك

على عبده ورسوله محمد المبعوث رحمة للعالمين.

\*\*\*







# معالم الرحمة في تعليم النبي ﷺ

إعداد

**عماد عبدالله الشريفين**

أستاذ مساعد في التربية الإسلامية بكلية الشريعة- جامعة اليرموك

و

**رابعة زكريا معابده**

ماجستير مناهج وأساليب تدريس





## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المرين، سيدنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين: يقول ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧) و«إلا» كما يقول علماء البلاغة تُفيد الحصر، أي أن هدف البعثة تتمثل في الرحمة، وعليه فخلق الرحمة يمثل قيمة محورية في النظام الإسلامي.

وقد تجلّت مظاهر الرحمة في جميع جوانب حياة النبي عليه الصلاة والسلام، حتى وصلت إلى البهائم، يقول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدِّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ»..<sup>(١)</sup>

ومن المظاهر الدالة على هذه القيمة في حياة النبي عليه الصلاة والسلام «رحمته في التعليم»، حيث إن رسول الله ﷺ كان مُعلِّماً اختاره الحق ﷻ لتعليم

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بإحسان الذبح والقُتل وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ..، ج٦، ص٧٢، حديث ٥١٦٧.

البشرية دين الله وشريعته الخالدة، فكان القدوة والأسوة الحسنة في التعليم، ومن أمثلة: رحمته عليه الصلاة والسلام تواضعه مع المتعلمين، وتقديم المكافآت لهم، ومُراعاة الفروق بينهم، وتنوُّع أساليب وطرائق التعليم، واستخدام مُختلف الوسائل التعليمية، وكذلك بناء التعليم على مجموعة من المبادئ والأسُس التي يَعمِد عليها التعليم الحديث كالزامية التعليم، واستمرارِيته، والثواب والعقاب، والتدرُّج في التعليم.

### مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تتحدد مُشكلة الدراسة في إبراز العلاقة الغائبة بين خلق الرحمة والذي هو سِمَةٌ من سمات النظام الإسلامي، وعناصر العملية التعليمية، حيث تجلَّى خُلُق الرحمة في عددٍ من الصُّور في حياة النبي ﷺ، ومن أهم الصُّور التي تجلَّى فيها خُلُق الرحمة: التعليم، وعليه فتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن معالم الرحمة في التعليم من خلال الإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

- ما معالم الرحمة في تعليم النبي عليه الصلاة والسلام؟ والذي يتفرَّع عنه.

- ما معالم الرحمة في أساليب وطرائق التعليم التي استخدمها النبي عليه الصلاة والسلام؟



- ما معالم الرحمة في المبادئ التربويّة التعليميّة التي حدّدها النبي عليه الصلاة والسلام؟

- ما معالم الرحمة في الوسائل التعليميّة التي استخدمها عليه الصلاة والسلام؟

- ما معالم الرحمة في أساليب تقويم أخطاء المتعلمين؟  
منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة على المنهج الاستقرائيّ التحليليّ من خلال النقاط الآتية:

- جمع النصوص ذات العلاقة بموضوع الدراسة.
  - تحليل النصوص، وبيان العلاقات فيما بينها، واستنباط معالم الرحمة.
  - الرجوع إلى المؤلفات المعاصرة في التعليم من أجل ربطها بالنصوص
- خطة الدراسة:

• المقدمة: وتشمل أهمية الدراسة، وأهدافها، ومنهجيتها، وأسئلتها،  
وأسسها، ومفاهيمها.

• المبحث الأول: معالم الرحمة في أساليب التعليم وطرائقه.

• المبحث الثاني: معالم الرحمة في المبادئ التربويّة والتعليميّة.

• المبحث الثالث: معالم الرحمة في الوسائل التعليميّة.

• المبحث الرابع: معالم الرحمة في أساليب تقويم أخطاء المتعلمين.

• الخاتمة: وتشمل النتائج والتوصيات.

مُسَلِّمة الدراسة:

يستند الباحث في دراسته لموضوع الرحمة في التعليم على فَرْضِيَّةٍ يعتبرها مُسَلِّمةً لا تحتاج إلى دليلٍ أو برهانٍ خلاصتها الآتي:

أولاً: أن للأخلاق في الإسلام أصولاً وكمالياتٍ عامَّةً ترجع إليها مفرداتُ الأخلاق، ويُعدُّ خلق الرحمة من الأصول والكماليات العامَّة لباقي الأخلاق، ولخلق الرحمة فروعه وظواهره السلوكيَّة، مثل صلة الرحم، إكرام اليتيم، التعاطف، الحلم، الصبر...

ثانياً: أن أساليب التعليم ووسائله ومبادئه التربويَّة تقع من النبي ﷺ ومن غيره من بني البشر، ولكن إذا وقعت من النبي ﷺ فهي من باب الرحمة، وذلك لحسن استخدامها وتوظيفها بشكلٍ كاملٍ بما يُحقِّق مصلحة المُتعلِّمين، أما إذا كانت من غيره فقد يُحسِّن استخدامها في موطن ولا يُحسِّن بموطنٍ آخر. فيلاحظ الدارس لهدي النبي ﷺ تنوعاً في أساليب التعليم، وذلك تبعاً لظروف ونوع المُتعلِّمين فقد كان ﷺ يراعي استخدام الأسلوب الأفضل في الموقف التعليمي، فلم يستخدم أسلوباً فوق مُستوى المُتعلِّمين، ولم يقتصر تعليمه على



أسلوب واحد في كافة المواطن التعليمية، ولم يخلط الأساليب بعضها ببعض، وهذا يعدُّ من رحمته ﷺ بالمتعلمين، ولكن إذا استُخدم أسلوب لا يراعي الموقف التعليمي، ولا مستويات المتعلمين فإنه يعدُّ ظلماً لهم، وهذا يتنافى مع الرحمة، وليس بالضرورة أن يظهر خُلُق الرحمة في كل أسلوب بشكل مباشر.

وهذا ما ينطبق تماماً على استخدام النبي ﷺ للوسائل التعليمية، وتقويم أخطاء المتعلمين، وكذلك المبادئ التربوية التي تجعل من عملية التعليم عملية ناجحة، وفاعلة، ومُحقِّقة للأهداف، وفي ظل غياب هذه المبادئ فلن تُؤدِّي عملية التعليم دورها المطلوب، ولن تتحقق الأهداف المرجوة منها، وهذا ما يتنافى مع الرحمة بالمتعلمين.

\*\*\*

## مفاهيم الدراسة

يشمل مفهوم الرحمة، ومفهوم التعليم، وأهميته.

أولاً: مفهوم الرحمة:

الرحمة في اللغة رِقَّة القلب، وعَطْفُه<sup>(١)</sup>، وقيل: الرحمة: رِقَّة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس، أو يتصوّر الفكر وجود الألم عند شخصٍ آخر، أو يلامسها السرور فيما تدرك الحواس، أو يتصوّر الفكر وجود المسرّة عند شخصٍ آخر<sup>(٢)</sup>. ويقال: رَحِمَ الإنسان إنساناً أي: عطف وحنّ عليه «إذا وجده في حالة تستدّرّ عطفه وحنانه كالضعف، أو المرض، أو اليتيم.... إلى غير ذلك»<sup>(٣)</sup>، وهي إرادة إيصال الخير والإنعام إلى المحتاج إليه، والرحمة فعل الراحم من رِقَّة، وتلطّف، وتعطف، وإحسان<sup>(٤)</sup>.

وخلق الرحمة إذا التزم به المرء أصبح قلبه ليناً، يفيض بالخير، والعطف واللطف والعون والمساعدة والمساندة للآخرين، ومن لم يتّصف بهذا الخلق تخلّق

(١) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٨٦م، ج ١٢، ص ٢٣٠

(٢) عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص ٩.

(٣) أحمد الأسمر، مكارم الأخلاق في الإسلام، ص ١٥١.

(٤) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، ص ١٥٥





بقسوة القلب، وعدم الإحساس بالآخرين وحاجاتهم، وقد يتعدّى الأمر إلى إيقاع الظلم بأشكاله المتعددة على الآخرين كالغصب، والنَّصب، والرَّشوة، والاحتكار، والشرك.... الخ.

لا تختص الرحمة بنوع مُعيّن من الأجناس، بل هي عامّة لكل المخلوقات على وجه البسيطة، تشمل الصغير والكبير، القريب والبعيد، والمؤمن والكافر، والحيوان، كما أن الرحمة مبصرة تأخذ اتجاهين متضادين، وفي كلٍ منها رحمة: فمُساندة البريء رحمةً، والقسوة على المجرم؛ ليُكفَّ عن إجرامه رحمةً به وبمجتمعه الذي يعيش فيه؛ لذا يُعدُّ خلق الرحمة خُلُقًا قابلاً للتقويم والتهذيب والتعديل، أي أن الإنسان المسلم يستطيع أن يتَّصف به، وبما يُضادّه من الأخلاق، فالإنسان يتحوّل بخُلُقهِ من خُلُق الملاك إلى خُلُق الحيوان، ومن خُلُق الحيوان إلى خُلُق الملاك، والواقع يُؤيّد ذلك. فتربية الأخلاق والسموُّ بها، وكسب الفضائل، والتحليّ بالآداب الكريمة والتخليّ عن الأخلاق الرديئة، فبلوغ الخُلُق الكامل هو الهدف والغرض للتربية النبويّة، فهدف التربية الخُلُقيّة تكوين رجال كريمي الأخلاق، مُهذّبين في أقوالهم وأفعالهم نبلاء في تصرفاتهم<sup>(١)</sup>.

(١) محمد الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، ص ١١٣.

وحينما يُقَرَّرُ الإسلام ضرورة إيقاع العقوبة بأصحاب الجناية الكبيرة، فإن قلب المؤمن يتأثر بمشهد العقوبة، ولكنه لا يُقاوم وقوعها، ولو كان مستحق العقوبة قريباً أو صاحباً؛ لأن إيقاع العقوبة به رحمةً بالجاني أولاً، وبالمجتمع ثانياً. ويُعَدُّ توجيه الرحمة لمن لا يستحقها جانباً من جوانب التشويه والإفساد لخلُق الرحمة، كالرحمة بالظالم فلا يُعاقَبُ على ظلمه، أو رحمة الأم التي تهمل تأديب أبنائها حتى تفسدهم؛ لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ (المؤمنون: ١١٨).

والرحمة تقلُّ وتزيد، تقلُّ بسبب استغراق النفس بالترف والملاذات، والمتع الجسدية، وتنافس المترفين فيما يملكون يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦)، وتزيد الرحمة في القلوب بأعمال الخير فعندما شكى رجل إلى رسول الله قسوة قلبه فقال له: «امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ، وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد، المسند، ج ٢، ص ٣٨٧، حديث ٩٠٠٦. حسنه الالباني في صحيح الترغيب والترهيب، حديث رقم ٢٥٤٥.



ثانياً: مفهوم التعليم وأهميته:

يدلُّ مفهوم التعليم على العملية التربويَّة الشاملة من تدريس وتهذيب لسلوك المتعلم<sup>(١)</sup>، وقد استخدم العلماء المسلمون مفهوم التعليم؛ ليدلَّ على التربية الأخلاقيَّة والمعرفيَّة؛ لذا يمكن تعريف التعليم بأنه: إحداث تعديل على البنية المعرفيَّة والسلوكية للمتعلم. وعليه فعملية التعليم تشمل جانبيين:

الأول: العملية التدريسيَّة بكلِّ مكوِّناتها: مُعلم، ومُتعلِّم، ووسائل وأساليب، وأهداف ومبادئ تربويَّة، والثاني: تهذيب السلوك الأخلاقيِّ للمتعلم.

ويعد هدف التعليم والتربيَّة من المنظور الإسلامي إنقاذ الإنسان من الضلال، يقول ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة: ٢).

وقد كان هدف الحبيب المصطفى ﷺ من التعليم: تعديل سلوك الأفراد باتِّجاه طاعة الله واجتناب نواهيه، ورفع مُستوى الأفراد من عبادة الأشياء والعباد إلى عبادة ربِّ العالمين، وهذا هو الهدف الأكبر من العملية التعليميَّة، ولتحقيق الهدف المنشود اتَّصف تعليم الرسول ﷺ لأصحابه بالرحمة واللِّين

(١) شادية التل، علم النفس التربوي في الإسلام، ص ٢٦٣

كما علّمه وربّاه عليه رب العالمين: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وهذه الرحمة لم تكن عشوائية، بل هي المنهج الذي اتّخذه الحبيب المصطفى في تأديبه وتعليمه، ومنشأ هذه الرحمة أمورٌ عدّة:

- مكانة المعلّم العظيمة، ووظيفته الأسمى وهو رسول كريم من عند الله غاية ابتعائه الرحمة للعالمين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).
- طبيعة الموضوع المطروح للتعليم هو عبادة الله ومعرفته حق المعرفة والتزام ما أمر به والبعد عما نهى عنه وذلك لتكوين شخصية متزنة إيجابية.
- الهدف الأسمى من التعليم هو دخول الناس الجنة رحمةً بهم من عذاب النار، وشقاء الدنيا والآخرة، لذلك قال الرسول ﷺ: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَّكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ مُحْرُ النَّعَمِ»<sup>(١)</sup> فكان الرسول ﷺ الرحيم من أشد الناس حرصًا على إنقاذ الناس من النار، وتجنّبهم غضب الله ونقمته.

- معرفة الرسول ﷺ بأن الجهل عدوُّ الإنسان وسببٌ لكثير من التصرفات الناشئة عن الجهل بالخالق، وصفاته فتنشأ بذلك معاصٍ كثيرة

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب، ج ٧،



كالشرك والظلم، لذا كان هدف الرسول ﷺ أن يزيل هذا الجهل ويُبدد ظلمته برقة الأب وعطف المعلم الحاني الرحيم دون إنقاصٍ من قدر المتعلم أو تسفيهه؛ لذلك كان الرسول ﷺ رحيماً.

• معرفة الرسول ﷺ أن تغيير السلوك يحتاج إلى صبر وأمد طويل، لذلك كان أصلاً لتعامل بالرحمة واللين معهم والأخذ بأيديهم حتى يصلوا إلى البرِّ السليم، والهدف الأسمى وهو الجنة؛ لذلك كان منهج الرسول ﷺ الرحمة بقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْثِنِي مُعْتَنًا، وَلَا مُتَعَتِّيًا، وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا مِّسْرًا»<sup>(١)</sup>. «فَالْعَنْتُ، وَالتَّعَنْتُ، وَالْإِرْهَاقُ، وَالشَّدَّةُ، وَالْمَشَقَّةُ، وَالتَّنَطُّعُ، وَالتَّشَدُّدُ، وَالْإِكْرَاهُ، وَالْعَجْزُ عَنْ تَسِيرِ الْمَعْلُومَةِ وَإِيصَالِهَا، وَتَقْوِيمِهَا، وَاجْتِبَارُ اكْتِسَابِهَا، وَتَحْوِيلُهَا إِلَى خُبْرَةِ عِلْمِيَّةٍ وَمَهَارَةِ مَعْرِفِيَّةٍ، تُنَمِّي الْعَقْلَ، وَتَذَكُرُ الطَّاقَةَ وَتَرْتَقِي بِالْخِصَائِصِ، وَتَعُودُ عَلَى التَّفَكِيرِ بِالنَّمُوِّ، وَالكَثِيرِ مِنَ الْوَسَائِلِ بِالتَّطَوُّرِ وَالتَّطْوِيرِ، تَتَحَوَّلُ إِلَى انْدِفَاعَاتٍ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالْحِمَاسِ، وَبِجَانِبِهَا الْإِدْرَاكُ وَالْاِخْتِصَاصُ، وَتَنْتَهِي إِلَى الْإِعَاقَةِ، وَتُكْسِبُ الْعَجْزَ، وَتُنَمِّي التَّخَلُّفَ، وَتُكْرِّسُ الْوَاقِعَ الْأَلِيمَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ، ح ٤، ص ١٨٧، حديث ٣٧٦٣.

(٢) سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي الإسلامي، ص ٧.

- وبرزت رحمة الرسول ﷺ في التعليم في أربعة محاور:
- أولاً: معالم رحمة الرسول ﷺ في أساليب التعليم وطرائقه.
- ثانياً: معالم رحمة الرسول ﷺ في المبادئ التربوية والتعليمية.
- ثالثاً: معالم رحمة الرسول ﷺ في الوسائل التعليمية.
- رابعاً: معالم رحمة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء المتعلمين.

\*\*\*

## المبحث الأول

### معالم رحمة الرسول ﷺ في أساليب التعلم وطرائقه

تُعرَف أساليب التعليم وطرائقه بأنها: مجموعة القواعد العامة، والضوابط التي يلتزمها المعلم في المواقف الصفية؛ لتحقيق التعلم المُخطَّط له والمقصود<sup>(١)</sup>، وتنوع تبعاً لنوع المادة العلمية وخصائصها، وتبعاً لمجال الأهداف، ومستوياتها، وتبعاً للمُتعلمين وجنسهم، ومستوياتهم الدراسية إضافة إلى بيئة التعليم أو الإمكانيات المتاحة والتسهيلات المرافقة.

وقد تجلَّت رحمة الرسول ﷺ في تنوع الأساليب التي استخدمها في التعليم تبعاً لظروف التعليم، ونوع المُتعلمين مُراعياً استخدام الأسلوب الأفضل، فلم يستخدم أسلوباً فوق مستوى المُتعلمين، ولم يقتصر في تعليمه على أسلوب واحد في تلك المواطن التعليمية، ولتوضيح الفكرة نذكر بعض الأمثلة فيما يلي:

#### ١ - أسلوب المحاضرة:

المحاضرة في الاصطلاح: الحديث الذي يُعرَض عرضاً شفويّاً مُستمراً

(١) ناصر الخوالدة ويحي عيد، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص ٢٤٩.

دون أن يقطعه المستمعون عادةً، ويتضمن طائفة من المعلومات والمعارف والخبرات<sup>(١)</sup>. وقد استخدم الرسول ﷺ هذا الأسلوب في الجموع الكبيرة التي يصعب استخدام أسلوب آخر معها، واستخدمها في شرح بعض القضايا العالقة والضرورية، ومثال ذلك في يوم حنين عندما أعطى النبي ﷺ من رافقه في غزوته من قريش وغيرهم عطاءً كثيراً، ولم يعط أحداً من الأنصار شيئاً، فوقع في نفوس بعضهم شيءٌ، فأمر الرسول ﷺ سعد بن عبادَةَ، فجمع أصحابه من الأنصار، وخطب خطبته المشهورة: «اللَّهُمَّ ارحم الأنصارَ، وأبناء الأنصارِ، وأبناء أبناء الأنصارِ»، فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً، ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقنا<sup>(٢)</sup>. وقد ظهرت رحمته ﷺ في استخدام أسلوب المحاضرة في أمورٍ منها:

- الموضوع كان مناسباً لاهتمامات المتعلمين مُلبياً لاحتياجاتهم.
- استخدم العاطفة العميقة التي تُناسب المتعلمين وتُلاقي قبولاً وإرضاءً لديهم، وتلبي حاجتهم، وتقوم ضعفهم، وتقوي إيمانهم ومحبتهم بقائدهم.
- الدعاء للمتعلمين وهذا من رحمته ﷺ.

(١) المرجع السابق.

(٢) محمد الغزالي، فقه السيرة النبوية، ص ٣٩٧.





## ٢- الحوار والمناقشة:

يُعرَّف الحوار في الاصطلاح بأنه: تبادلٌ للأفكار والآراء بين طرفين بصورة مُنظَّمة وموضوعية على أساس الاحترام المتبادل بينهما، وتُعرَّف المناقشة في الاصطلاح بأنها: تبادلٌ للأفكار والآراء بين طرفين أو أكثر بتعمُّق واستقصاء؛ للوصول إلى الحق<sup>(١)</sup>، ويبدأ الحوار بإثارة مُشكلة، ثم يجري تبادل للآراء وتعميق لها وفق أسس موضوعية، وقد ورد في السنة المطهرة أمثلة عديدة على ذلك نذكر منها: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَاءِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «اِذْنُهُ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا. قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لَأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لَأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأَخِيكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَانِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِحَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا. وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ

(١) ناصر الخوالدة، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص ٣١٣.

وَطَهَّرَ قَلْبُهُ، وَحَصَّنَ فَرْجَهُ» فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ<sup>(١)</sup>.

وفي مثال آخر عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ:  
حُمْرٌ. قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَتَى ذَلِكَ؟» قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ  
عِرْقٌ. قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ»<sup>(٢)</sup>. وقد ظهرت الرحمة في هذه المواقف في عدة  
أمور منها:

- تعليم الجاهل، وإرشاده باللين وعدم القسوة عليه، وتوضيح الأمر له  
توضيحاً كاملاً لا لبس فيه، ولا غموض.
- التأني وعدم مؤاخذه الجاهلين ومساحتهم في مواطن التعليم.
- الاحترام المتبادل بينه وبين من يحاوره ويُناقشه، حيث يُبدي كل طرفٍ ما  
عنده بصراحة وموضوعية، ودون خوفٍ فيُجَنَّبُ المحاورين اللقاء دون الوصول  
إلى نتيجة.

(١) رواه أحمد، المسند، ج ٥، ص ٢٥٦، حديث ٢٢٢٦٥. صححه الألباني، السلسلة الصحيحة،

حديث ٣٧٠.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب إِذَا عَرَّضَ بِنْفِي الْوَلَدِ ج ٧، ص ٦٨،

حديث ٥٣٠٥.

• الصدق في الاستدلال؛ مما يجعل الحوار والمناقشة نافعة ومحمودة، وتقود إلى نتائج صحيحة يمكن تعميقها.

• تأمين التواصل وتبادل الآراء والأفكار ونقلها بين المعلم والمتعلمين؛ مما يساعد على تطوير أفكارهم، وتحسين مستوياتهم، وتنويع مجالات اهتماماتهم.

• حسن التكيف والتوافق الاجتماعي، ففي المثالين السابقين عالج الرسول ﷺ مشكلات اجتماعية حساسة بحيث قطع الشك باليقين، في مثل هذه القضايا التي لا يجدر أن يكون فيها نسبٌ ضئيلة من الشك إضافةً إلى حسن التفاعل بين المعلم والمتعلم يساعدان في هذا التوافق والتكيف الاجتماعي<sup>(١)</sup>، إضافةً إلى أن المتعلم يُبدي وجهة نظره بحرية ومسؤولية؛ مما يجعله عنصراً فاعلاً ومشاركاً، وليس مُستقبلاً للحقائق فقط، وينمو لديه التفكير الناقد والابتكاري.

### ٣- السؤال والجواب:

السؤال في الاصطلاح: طلبٌ يوجَّهه شخصٌ أو أشخاصٌ أو طرفٌ إلى آخرين يستجيبون له باللسان أو الكتابة، وقد يكون السؤال في بداية الموقف

(١) انظر: عبدالله العبادي، من الآداب والأخلاق الإسلامية.

الصَّفِيِّ أو نهايته أو خلاله<sup>(١)</sup>، ويستخدم السؤال لجذب انتباه المتعلم، واستحضار الذهن؛ لتلقي المعلومات المطلوبة بشكلٍ سَلِسٍ وسريع. ومثال ذلك فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ قَعَدَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ، أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَى اسْمِهِ قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» فَسَكَتْنَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الْحِجَّةِ؟» قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ، هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ...»<sup>(٢)</sup>.

قال القرطبي: سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار أفهامهم وإقبالهم عليه بكليتهم، وليشعروا بعظمة ما يُخبرهم عنه ولذلك قال بعد هذا: فإن دماءكم.... الخ، مبالغة في تحريم هذه الأشياء<sup>(٣)</sup>. وفي

(١) ناصر الخوالدة، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص ٣١٨.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الايمان، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ رَبُّ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، ج ١، ص ٧٦، حديث ٦٧.

(٣) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، =



مثال آخر أن الرسول ﷺ وقف على أناس وهم جلوس فقال: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟» قال: فسكتوا، فقال ذلك: ثلاث مرات، فقال رجل: يا رسول الله، أَخْبِرْنَا بخيرنا من شرِّنا قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ»<sup>(١)</sup>.

وقد استخدم النبي ﷺ السؤال بهدف توضيح الأمور الدينيَّة والدينيَّة، بدون إملالٍ، وبأسلوبٍ يستثير المتعلم؛ ليقبل المعلومة المطلوبة، ولم يكتف الرسول ﷺ بذلك، بل كان يحثُّ أصحابه على السؤال عما يجهلون، أو ما لا يعرفونه ومناقشتهم في ذلك. يقول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ شَيْءٍ فَلْيَسْأَلْ، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ مَا دُمْتُ فِي مَقَامِي...»<sup>(٢)</sup>. إضافةً إلى أن الحبيب المصطفى كان يتوسَّع في الإجابة على الأسئلة مُتَهَيِّزاً فرصة السؤال للتعليم، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَهُ مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ

= ١٣١٩هـ، ج ١، ص ١٥٩.

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٢٨، حديث ٢٢٦٣، وصححه الألباني. في

صحيح الجامع حديث ٢٦٠٣.

(٢) رواه البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب وَقَفَ الظُّهْرُ عِنْدَ الزَّوَالِ. ج ١،

ص ١٤٣، حديث ٥٤٠٠

فَقَالَ: «لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ، وَلَا الْعِمَامَةَ، وَلَا السَّرَاوِيلَ، وَلَا الْبُرُؤْسَ، وَلَا ثَوْبًا مَسَّهُ الْوَرُسُ، أَوْ الزَّعْفَرَانُ فَإِنْ لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا تَحْتَ الْكَعْبَيْنِ»<sup>(١)</sup>. يقول الحافظ ابن حجر: إن مطابقة الجواب للسؤال غير لازم: بل إذا كان السبب خاصاً والجواب عاماً جاز، ومُحِلَّ الحكم على عموم اللفظ لا على خصوص السبب؛ لأنه جوابٌ وزيادة فائدة<sup>(٢)</sup>. وتظهر رحمته ﷺ في الاستنزادة للسائل رفعاً للخرج عنه فيما أراد أن يسأل عنه، إضافة إلى توسيع المعلومات المطلوبة في الأحكام وإظهار الاهتمام بالمتعلم وسؤاله وتقديره فتزويد المحبة والاحترام بينه وبين المتعلمين، فيبادر المتعلمون بالمزيد من الأسئلة التي يجهلونها في جو من التقدير والاحترام، فيرتفع مستواهم الديني والعقلي<sup>(٣)</sup>.

ولم تقتصر أهداف استخدام الرسول ﷺ السؤال على توسيع مدارك المتعلمين ونقل المعارف إليهم، بل على حثهم على التفكير والاستكشاف، وربط المعارف الحديثة المتحصلة من السؤال بمعارف سابقة، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ

(١) رواه البخاري: الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب من أجاب السائل بأكثر مما سأل

ج ١، ص ٢، حديث رقم ١٣٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ١، ص ٢٣١.

(٣) يوسف صديق: النظرية التربوية وطرق تدريس الحديث النبوي ١٤١٢، ط ١.



رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»<sup>(١)</sup>.

فانظر إلى الربط الجميل بين النخلة والمسلم، وانظر إلى أثر ذلك في المتعلم، أن رحمة الرسول ﷺ تتجلى في صورة رائعة في التعليم، وقد ظهرت الرحمة في المواقف السابقة في عدة أمور:

- توضيح الأمور الدينية والدنيوية بدون إملال، وبأسلوب يستثير المتعلم؛ ليقبل المعلومة، ويبقى بعيداً عن الجهل الذي يُعدُّ عدو الرحمة.
- التوسع في طرح المعلومات التي قد يحتاج إليها المتعلم.
- حثُّ المتعلم من خلال السؤال على طرح الأسئلة رفعا للحرص الذي قد يلحق به.
- حثُّ المتعلم من خلال السؤال على التفكير، والاستكشاف، وربط المعارف القديمة بالحديثة.

---

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العلم، بابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْأَعْمَالَ بِالنِّيَّةِ وَالْحُسْبَةِ وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا تَوَيَّ. ج ١، ص ٢٣، حديث ٦١.

#### ٤ - ضرب الأمثال:

المثل في الاصطلاح: قولٌ مُحْكِيٌّ سائرٌ يُقْصَدُ منه تشبيه حال المحكيِّ فيه، بحال الذي قيل لأجله، ويكون المثل إما شعراً أو نثراً<sup>(١)</sup>. وقد استخدم القرآن الأمثال؛ لتقريب الصورة للمستمعين، وللمقارنة بين الخير والشرِّ، والحقِّ والباطل. يقول ﷺ: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ (هود: ٢٤) ويقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤١).

وقد نهج الرسول ﷺ هذا النهج الرباني فقد علمه وأدبه ربُّ العالمين فيقول الرسول ﷺ: «مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذُّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأَسَا، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَاتَّوَهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذُّيْتُمْ بِي، وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ، وَأَهْلَكُوا

(١) ناصر الخوالدة، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص ٢٧٤.





أَنْفُسُهُمْ»<sup>(١)</sup>. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»<sup>(٢)</sup>.

لقد استخدم الرسول ﷺ ضرب الأمثال لتقريب المفهوم النظري المطلوب إلى أذهان المتعلمين، فالتصق المعلومة في الذهن؛ لارتباطها بمفهوم حسيٍّ مدركٍ للمتعلمين، ويتضح خُلُق الرحمة عند النبي ﷺ في استخدامه الأمثال في البعد عن أناقة الألفاظ وأتساقها، والاهتمام بتوصيل المفهوم المقصود؛ لتطوير قُدَّرات الأفراد، والأمثلة المستخدمة تساعد على إجراء المقارنة والقياس في ذهن السامع، فتتطور القُدرة العقلية لديه، إضافةً إلى أنه لم يُسرف في استخدام الأمثال، بل استخدمها بالقدر المناسب حتى لا يُشوّش على المتعلمين، وراعى أعمار المتعلمين ومستوياتهم الثقافية، وهذا من رحمته ﷺ، وأخيرًا تُعدُّ الأمثال

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، ج ٣، ص ٢٣٧، حديث ٢٦٨٦.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب خاتم الأنبياء، ج ٤، ص ٢٢٦، حديث ٣٥٣٥.

دوافع تُحرِّك العواطف والوجدان إلى عمل الخيرات، واجتناب المنكرات، وبهذا تُساهم الأمثال في تربية السلوك الخير، وتهذيب نزعات المتعلم الشريرة، فتستقيم حياة الأفراد والمجتمعات<sup>(١)</sup>.

#### ٥ - القصة:

القصة لغة: من قَصَّ يَقْصُ، وتعني: حكاية نثرية طويلة تُسَمَّدُ من الخيال أو الواقع، أو منهما معاً، والخيال يكون صادقاً خالياً من الخرافات والأساطير<sup>(٢)</sup>، «والقصة أسلوب تربوي ذو أهمية نفسية وتربوية كبيرة، ذلك لأن الأسلوب القصصي في التعليم يُشَوِّق المتعلمين، وَيَشُدُّ انتباههم إلى الأفكار والمعاني، ويربطهم نفسياً بالأحداث والمواقف التي يواجهونها فيتفاعلون معها، ويتأثرون بها فرحاً أو حُزناً»<sup>(٣)</sup>. ومن رحمته ﷺ أنه استخدم القصص في كثير من الأحيان؛ لترسيخ الإيمان بالله ووحدانيته، وتنمية القيم الاجتماعية والأخلاقية الفاضلة، ولأخذ العبرة من أخطاء من سبقونا، ومن الأمثلة التي استخدم فيها الرسول ﷺ القصة: ما ورد في قصة الثلاثة الذي آواهم المبيت في الغار، وقصة

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص ٢٥٣.

(٢) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ١٩٧٢، ص ٧٤٠-ج ٢.

(٣) صالح ذياب هندي، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص ٩٧.



الأعمى والأبرص والأقرع، وقصة أصحاب الأخدود، وقصة موسى والخضر... وغيرها كثير.

وكان استخدام الرسول ﷺ القصص ذات المغزى المحدد، والمُشوّقة والمناسبة لمستوى المتعلمين، ولغتهم وكل هذه عوامل نجاح القصة كأسلوب منشود لتطوير مُستوى الفرد، وإبعاد السامة عن المتعلمين في ظروف مُعيّنة؛ لتوصيل فكرة مُحددة مُرتبطة بقيم عقديّة، أو خُلقيّة كما في القصص المذكورة كالرحمة والرفق بالحيوان، وأهمية الإيمان والتمسك بالعقيدة، وأهمية الإخلاص في العمل، وغيرها الكثير، وتظهر الرحمة في القصص النبوي، ببساطة الأسلوب، ووضوح الهدف؛ مما جعله مُناسباً لجميع فئات المُجتمع، كما أنه يمتاز بترافق الموضوع، وجاذبيّته حتى أنه ليأسر القلوب، والنفوس<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص ٢١٨

## المبحث الثاني

### معالم رحمة النبي ﷺ في المبادئ التربوية والتعليمية

مبادئ التعليم هي مجموعة الركائز التربوية التي تُجعل من عملية التعليم والتعلم عملية ناجحة، وفاعلة، ومُحققة للأهداف التربوية والتعليمية والسلوكية المخطط لها والمقصود منها<sup>(١)</sup>، وقد قامت تربية الرسول ﷺ لأصحابه على عدة مبادئ يمكن أن يُستقى منها مبادئ التربية والتعليم في الوقت الحاضر، وهذه المبادئ تُدُل على رحمته ﷺ بالمتعلمين وهي:

#### المبدأ الأول: مبدأ إلزامية التعليم:

إن أول ما أنزل على الحبيب المصطفى ﷺ من القرآن هو ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝﴾ (العلق: ١-٤)؛ لذلك كان دأبه ﷺ التعليم والتثقيف، ورفع الجهل، وكان يحث الصحابة على التعلم والتفقه في الدين يقول ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ...»<sup>(٢)</sup>. رحمة بهذه الأمة التي كان وما يزال عدوها الأول هو الجهل،

(١) ناصر الخوالدة، طرائق تدريس التربية الإسلامية، ص ٦١.

(٢) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الفضائل، باب فضل الحث على طلب العلم، ج ١، =



فرحمته ﷺ بأمته دَعَتْهُ إلى إبراز فَرَضِيَّةَ العلم والعمل، وهذا من باب حبِّ الخير لهم، والخوف عليهم.

وتعدَّى ذلك إلى طلبه ممن يسمع الحديث أن ينقله لغيره «فليبلغ الشاهد الغائب، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى من سَامِعٍ»<sup>(١)</sup> وقد تنوّعت المجالس التعليميّة التي كان الحبيب المصطفى ﷺ يقوم فيها مُعلِّماً ومُدَرِّساً، فمنها المجالس الخاصّة، ومنها العامّة للنّاس كافّة، ومنها مجالس خاصّة بالنساء، ولقد ركّز الحبيب المصطفى ﷺ على كلّ الفئات العمرية يقول ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»<sup>(٢)</sup>. واشتمل التعليم على أصناف العلوم الموجودة، فقد أمر بعض أصحابه بتعلّم اللغات الأخرى كالعبرانيّة، والسّريانيّة مثلاً، واهتمّ بتعليم من أسلم حديثاً، وبعث مندوبين؛ ليعلموا القبائل البعيدة عنه أمور دينهم وأحكامه.

= ص ١٥١، حديث ٢٢٤، صححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، حديث ٧٢.

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ج ٢، ص ٢١٦، حديث ١٧٤١.

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج ١، ص ١٨٥، حديث ٤٩٥، حسنه الألباني، في صحيح وضعيف الجامع، حديث ٥٨٦٨.

إن رحمة الرسول ﷺ تتجلى من خلال هذا المبدأ في اعتبار طلب العلم فرض عينٍ أو كفايةٍ في بعض الأحيان؛ لأنه بالعلم تُحافظ على مُقوّمات الأمة وعزّتها، وبالجَهل نقضي على ما نبني، وتظهر الآفات الكثيرة المرتبطة بالجَهل، ولا يقف العلم عند حدّ القراءة والكتابة، بل يتعدّى إلى ما يعود على المسلمين بالخير والنفع، ويجعل منهم قوّةً ومنعةً تملأ قلوب أعدائهم جزعاً ورهبةً، فمبدأ إلزاميّة التعليم، والتركيز على جميع الفئات العُمريّة دليلاً على الرحمة بالجميع، ورغبة النجاة لهم.

#### المبدأ الثاني: استمراريّة التعليم:

إن كان التعليم إلزاميّاً وفرضاً على كل مسلم ومسلمة فهو ليس لفترة محدودة، أو في وقت مُعيّن، بل يشمل جميع مراحل الحياة من المهد إلى اللحد، فعندما أمر الرسول ﷺ في قوله: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»<sup>(١)</sup>. فقد بدأ التعليم في سنٍّ صغيرة، وبأسلوب مُحدّد، وتطوّر الأسلوب التعليمي مع الزمن، ولم يقف عند حدّ مُعيّن، وفي اعتماد الرسول ﷺ مبدأ الاستمراريّة إنّما يدعو إلى

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٨٥، كتاب الطهارة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة حديث ٤٩٥، حسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع، حديث ٥٨٦٨.

أن يفشو العلم في الأرض، ويُشَرِّ بين الناس، فلا يكون حِكْرًا على طائفة من الناس دون غيرهم، وهذا يُؤَكِّدُ رحمته ﷺ بالمتعلمين.

### المبدأ الثالث: مُراعاة الفروق الفردية:

إن السَّماة والصِّفَات التي يَتَمَتَّع بها الأفراد المتعلمون مختلفةٌ من فرد لآخر، يتفاوتون في مستوى الذكاء، والفهم للنصوص، أو قدرتهم على التعلُّم والإنجاز، وتُعَدُّ مراعاة الفروق الفردية من ذكاء المُعلِّم، ومن رحمته بالمتعلمين، وقد ظهر جليًّا رحمة الرسول ﷺ بالمتعلمين ومراعاته لظروفهم وبيئاتهم، ومستوى فهمهم، وتَبَّضَحَ رحمته ﷺ من خلال مراعاة حالة الأفراد النفسية، فقد كان الرسول ﷺ لا يُطِيل على المستمعين؛ مخافة الملل والسَّامة، قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: «كان النبي ﷺ يتخوَّننا بالموعظة في الأيام كراهة السَّامة علينا»<sup>(١)</sup>. عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ السُّوَّائِيِّ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُطِيلُ الْمَوْعِظَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِنَّمَا هُنَّ كَلِمَاتٌ يَسِيرَاتٌ»<sup>(٢)</sup>. كما كان يأمر بإقصار الخطب

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، باب مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّنُهُم بِالْمَوْعِظَةِ وَالْعِلْمِ كَيْ لَا يَنْفَرُوا ج ١، ص ٢٧، حديث ٦٨.

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب إقصار الخطب، ج ١، ص ٢٨٩، حديث ١١٠٧. قال الترمذي حديث حسن صحيح.

قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: «أمرنا رسول الله بإقصار الخطب<sup>(١)</sup>، حتى لا يملّ الناس من التطويل سواء في التعليم، أو الصلاة بالناس، أو الخطبة.

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: «كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً<sup>(٢)</sup>، وكان هذا نهج الصحابة رضي الله عنهم، فكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يذكّر الناس في كل يوم خميس، فقال له رجل: «يا أبا عبد الرحمن، لوددت أن ذكرتنا كل يوم؟ قال أما إنه يَمْنَعُنِي من ذلك أن أكره أن أملككم، وإني أتخولكم بالموعة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السامة علينا<sup>(٣)</sup>، وقد كان الرسول ﷺ مُدْرِكاً لطبيعة البشر التي قد يطرأ عليه مللٌ أوسام، فكان ﷺ يمزح، ولا يقول إلا حقاً.

وتتضح رحمته ﷺ في مراعاته لغة الخطاب، فكان الرسول ﷺ يقول كلاماً موجزاً مفهوماً للمتلقّي، وذلك لتسهيل عملية وصول المعرفة للمُتعلّم،

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب اقصار الخطب ج ١، ص ٢٨٩، حديث

١١٠٨. صححه الألباني، انظر صحيح سنن أبي داود، حديث ١٠١٣.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ص ١١،

حديث ٢٠٤٠. والقصد الوسط بين الإفراط والتفريط.

(٣) سبق تخريجه.





كما كان يخاطب بعض الناس بلهجاتهم؛ لتسهيل وصول المعلومة إليهم كقوله ﷺ لكعب بن أبي عاصم الأشعري رضي الله عنه وهو من أصحاب السقيفة: «لَيْسَ مِنْ أَمِيرٍ مُصَيَّامٍ فِي أَمْسَفَرٍ»<sup>(١)</sup> قال ابن حجر في الحديث: وهذه لغة لبعض أهل اليمن يجعلون لام التعريف ميماً يحتمل أن الرسول ﷺ خاطب بها هذا الأشعري؛ لأنها لغته<sup>(٢)</sup>.

كما أن الرسول ﷺ استخدم أحياناً التشبيهات المتعلقة باللغة الدارجة في ذلك الوقت «البعرة تدلُّ على البعير» فهذا لفظٌ سهل التعرف عليه في ذلك الوقت فاستخدمه الرسول ﷺ. وتوضح رحمته ﷺ في مراعاة الاستعدادات والقدرات، والتي هي قابليَّة الفرد أو قدرته الكامنة على التعلُّم بسرعة وسهولة، وعلى الوصول إلى مستوى عالٍ من المهارة في مجال مُعيَّن، والاستعدادات مُختلفة تبعاً لعوامل فطريَّة، أو بيئيَّة، أو ثقافيَّة، أو اجتماعيَّة. والقدرة: كل ما يستطيع الفرد أدائه في اللحظة الحاضرة من أعمال عقلانيَّة أو حركيَّة.

---

(١) رواه أحمد، المسند، ج ٥، ص ٤٣٤، حديث ٢٣٧٢٩، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

(٢) أحمد بن حجر العسقلاني، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ج ٢، ص ٢٠٥.

وتظهر رحمته ﷺ جلياً في تفهّمه لاستعدادات المتعلّمين وقدراتهم وذلك من خلال: الاعتناء بعدد كلامه ونوعه، فيروى «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لِأَخْصَاهُ»<sup>(١)</sup>. وكان يُعيد الكلام مرتين أو ثلاثاً؛ وذلك ليفهمه السامعون جيّداً مُراعياً أن هناك من لا يستوعب من أول مرّة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا»<sup>(٢)</sup>. إضافة إلى اتّباع منهج التيسير والتبشير؛ لأنه أقرب إلى نفوس المتعلّمين وقدراتهم، فقد كان يُوصي أصحابه بذلك فقد قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى «يَسِّرْ، وَلَا تُعَسِّرْ، وَبَشِّرْ، وَلَا تُنْفِرْ، وَتَطَاوَعَا، وَلَا تَحْتَلِفَا»<sup>(٣)</sup>، وتعدّدت إجابة الرسول ﷺ في المسألة الواحدة، فقد سأله كثيرٌ من الصحابة عن أي الإسلام أفضل؟ أو أي العمل أفضل؟ فيجيب بحسب حال المتعلم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «سَأَلْتُ

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ، ج ٤، ص ٢٣١،

حديث ٣٥٦٧.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الايمان، باب مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ ج ١،

ص ٣٥، حديث ٩٥.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير، ج ٥، ص ١٤١،

حديث ٤٦٢٣.



النبي ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ «الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ «ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>، وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»<sup>(٢)</sup>، وَفِي مَجْلَسٍ آخَرَ سُئِلَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ أَيِّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»<sup>(٣)</sup>... وغير ذلك من الأمثلة كثيرة. قال ابن حجر: ومُحْصَل ما أَجَاب به العلماء بأنه أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ: أَنَّ الْجَوَابَ اخْتَلَفَ بِاخْتِلَافِ أَحْوَالِ السَّائِلِينَ بِأَنَّهُ أَعْلَمَ كُلُّ قَوْمٍ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، أَوْ بِمَا لَهُمْ فِيهِ رَغْبَةٌ أَوْ بِمَا هُوَ لَاقِئٌ بِهِمْ<sup>(٤)</sup>.

وكذلك تظهر رحمته ﷺ فِي أَنَّهُ يُفَسِّرُ وَيُشْرَحُ لِلْمُتَعَلِّمِينَ بِحَسَبِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَبِالْوَقْتِ الَّذِي يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ؛ لِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ لِلْمُتَعَلِّمِينَ

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان أفضل الأعمال، ج ١، ص ٦٣، حديث ٢٦٢.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، ج ١، ص ٤٨، حديث ١٧٢.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، ج ١، ص ٤٧، حديث ١٦٩.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٢، ص ٩.

«ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»<sup>(١)</sup>. ويهتم بسن المتعلم وما يمتلك كل سن من قُدرات، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ شَابٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْبَلُ وَأَنَا صَائِمٌ؟ قَالَ: لَا، فَجَاءَ شَيْخٌ فَقَالَ: أَقْبَلُ وَأَنَا صَائِمٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَدْ عَلِمْتُ لَمْ نَظَرَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، إِنَّ الشَّيْخَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ»<sup>(٢)</sup>. والحديث يدلُّ على اعتراف واضح بوجود الفروق الفردية، ووجوب مُراعاتها، وهذا من رحمته ﷺ بالمتعلمين، حيث تتضح رحمته ﷺ في مُراعاة جنس المتعلم، لقد راعى الرسول ﷺ احتياجات كل جنس وطبيعة التعليم المقصود، والمحتاج إليه، فتنوّعت المجالس التي يُقيمها الرسول ﷺ، ومنها مجالس خاصةٌ بالنساء واحتياجاتهنَّ، وهناك مجالس عامةٌ، وأخرى خاصةٌ بالرجال، والسُنَّة النبويَّة تزخر بالعديد من الأمثلة الدالَّة على ذلك.

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، ج ٤، ص ١٠٢، حديث ٣٣٢١..

(٢) رواه احمد، المسند، ج ٥، ص ١٨٥، حديث ٦٧٣٩، صححه الألباني، السلسلة الصحيحة، ج ٤، ص ١٣٨.



### المبدأ الرابع: التدرج في التعليم:

التدرُّج: هو الاقتراب من الغاية درجة تَلَوَّ أخرى حتى تُصبح عادةً مُستحبةً في النفس شيئاً فشيئاً<sup>(١)</sup>، وقد استخدم القرآن هذا الأسلوب في فرض بعض الأوامر، والأحكام كتحرим الخمر، أو لتثبيت فؤاد المصطفى ﷺ فكان ينزل بحسب المناسبة، أو لتسهيل حفظه، فلو نزل القرآن جملةً واحدةً لكان من الصعوبة بمكانٍ فَهْمُهُ، وحفظُهُ، وتدبُّرُ معانيه.

ومن رحمة الحبيب المصطفى ﷺ: أنه استخدم هذا الأسلوب التربويَّ في تربية أصحابه ﷺ خير تربية، حيث علَّمهم أحسن تعليم مُراعياً بذلك الجوانب النفسية لهم، ودرجة نضجهم وسنَّهم؛ وذلك رحمة بهم، وقد كان للتدرُّج عند الحبيب المصطفى ﷺ مجالات، منها: التدرُّج في تعليم العبادات، ففي حديث الرسول ﷺ «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»<sup>(٢)</sup>.

وتظهر الرحمة في التدرُّج من خلال مُناسبة الفعل والعقوبة المُناسبة للسنِّ،

(١) هنية القضية، تعليم الأطفال العبادات الشرعية بالتدرج التربوي، ص ١٤.

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٨٥، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة حديث ٤٩٥،

حسنه الالباني في صحيح وضعيف الجامع، حديث ٥٨٦٨..

ففي السنن الصغيرة يحثُّ الطفل على أداء العبادة، ويكافئ على ذلك، ثم يعلم أركان الصلاة وسُننها، ومُفسداتها، حتى إذا استوعب كل ذلك، يُؤخذ الأمر على محمل الإلزام، فيؤمر ويضرب إذا لم يفعل، ويرافق ذلك تدريب الأطفال على حضور الجُمع والجماعات والأعياد، حتى إذا ما بلغ الحلم كان مُلتزمًا بالصلاة ومُتقنًا لها، ويُقاس على ذلك سائر العبادات، أو الأوامر الربانيَّة.

وكذلك وتظهر الرحمة في التدرُّج في الأسلوب، حيث يمرُّ كمال التعليم بعدَّة مراحل، كل مرحلة مُتناسبة مع فترة زمنيَّة لعمر المُتعلِّم، فتعليم الصلاة مثلاً يبدأ بالقدوة، ثم بالتفهيم والإقناع، ثم بالتحبُّب والترغيب، ثم بالقصة أو النصح والإرشاد، ومن ثم التدريب والتعويد والتكرار، ثم بالثواب أو العقاب، وتزخر السنَّة النبويَّة بعددٍ من الأمثلة التي تُؤكِّد أهميَّة التدرُّج في الأسلوب.

وتتَّضح رحمته ﷺ في تدرُّجه من الأهم إلى المُهم، وقد كان هذا واضحًا في حياة الرسول ﷺ، فإنه ﷺ بقي ثلاث عشرة سنة في مكة يُعلِّمهم العقيدة والأخلاق، ويثبتها في نفوسهم، ويُبعد عنهم الجاهليَّة، وغبار الشرك، والوثنيَّة، ثم انتقل إلى المرحلة الأخرى، وهي تكليفهم ببناء الدولة الإسلاميَّة، والجهاد، ودعوة الأمم الأخرى إلى الإسلام. كما أن الرسول ﷺ كان إذا بعث من يُعلِّم الناس دينهم يأمره بأن يبدأ بالشهادتين، ثم أركان الإسلام الأخرى تدريجيًّا،



ففي قوله ﷺ لمعاذ «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيائِهِمْ فَبَرِّدْ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ»<sup>(١)</sup> «أَمْوَالِهِمْ»<sup>(٢)</sup>، فالأساس الاهتمام بالشهادتين أولاً كبداية لإعلان الإسلام وهو الأهم، ثم تكلّفهم بما هو مهمٌّ وهو الصلاة، وهذا يندرج على أنواع التعليم كلها.

وتتّضح رحمته ﷺ في تدرّجه من البسيط إلى الأكثر تعقيداً ففي حديث الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ، والذي ذكر في صورة التدرّج من الأهم إلى المهمّ ينطبق عليه أيضاً تدرّجه من البسيط إلى الأكثر تعقيداً فالشهادتان هما (الأصل في الدخول في الإسلام) والأهم والأيسر والأقصر، والأقلّ تكلفة أي: (عدم الحاجة إلى معرفة كثير من الأحكام)، ثم تأتي الصلاة، والتي تكون أكثر تعقيداً لحاجتها إلى معرفة كيفية أدائها، وسنّها، ومبطلاتها، ومن ثم الزكاة فالحجّ، فتعاليم الدين الأخرى التفصيليّة. ومن الأمثلة الأخرى: عن

(١) الكرائم: جمع كريمة وهي خيار المال وأفضله

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدُّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ،

ج ١، ص ٣٨، حديث ١٣٢٠..

أبي عبد الرحمن قال: «حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقَرِّئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَقَرِّئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْآخَرِ حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك تتضح رحمته ﷺ في تدرُّجه من المعلوم إلى المجهول، وقد استخدم القرآن الكريم هذا التدرُّج؛ لنقل الناس مما يعرفونه في عالم الشهادة إلى ما لا يعرفونه في عالم الغيب، فربط بين نزول المطر وخروج الزرع بإحياء الموتى ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۝ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (ق: ٩-١١)، ومثل ما علم لديهم من خمر، وأنهار، وعسل بما في الجنة من مجهول ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ۖ وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ (محمد: ١٥).

واستخدم الرسول ﷺ هذا المبدأ؛ لتوضيح بعض العلاقات والأمور الدينية، ففي حديث السفينة: «مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ

(١) رواه أحمد، مسند، ج ٥، ص ٤١٠، حديث ٢٣٥٢٩. لم يعثر الباحث على حكم للحديث





اسْتَهَمُوا سَفِينَةً فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمْشُونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ قَاسًا، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَأَتَوْهُ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي، وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ، وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ<sup>(١)</sup>. فالسفينة معلومة، والبحر معلومٌ أيضًا، فعرَّج إلى أن عدم تدارك الوقوع في الأخطاء والتزام حدود الله سيُضَيِّع الدين كما ستضَيِّع السفينة.

وفي حديث الرسول ﷺ «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ<sup>(٢)</sup> بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»<sup>(٣)</sup>، فالشاة معلومة للناس لكن المنافق مصطلحٌ مجهول جديدٌ يحتاج إلى توضيحه وتجليته، فاستخدم الرسول ﷺ المعلوم للوصول إلى المجهول، وهذا من رحمته ﷺ بالتعلمين؛ ليدركوا الحقائق، ويحسنوا التعامل معها.

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، ج ٣، ص ٢٣٧، حديث ٢٦٨٦.

(٢) العائرة: المترددة الحائرة

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ج ٨، ص ١٢٤، حديث ٧٢٢٠.

وتتجلى رحمته ﷺ في التدرُّج من المحسوس إلى المجرَّد، فالأفراد المتعلِّمون يتقبَّلون الصُّور المحسوسة أكثر من الصور المجرَّدة، لذلك استيعابه للأدب العمليَّ أسرع وأعمق من استيعابه للأدب النظريَّ، وكلما نجح المعلِّم في الربط بين المحسوس والمجرَّد كلما كانت العمليَّة التعليميَّة أسهل وأرسخ في ذهن الطالب. لذلك كان الرسول ﷺ يستغلُّ المواقف التعليميَّة؛ لينقل المتعلمين من الحسِّ إلى المجرَّد، ويطرح الأفكار المطلوبة؛ ليصل إلى الحقائق الغائبة عن الأذهان، فعن المستورد بن شداد رحمته الله قال: كُنْتُ مَعَ الرَّكْبِ الَّذِينَ وَقَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّخْلَةِ<sup>(١)</sup> الْمَيْتَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَتَرُونَ هَذِهِ هَانَتْ عَلَى أَهْلِهَا حِينَ أَلْقَوْهَا؟». قَالُوا: مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ «فَالدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا».<sup>(٢)</sup>

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا، فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟». قُلْتُ: غِرَاسًا، قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا

(١) السخلة: ولد الضأن والمعز ساعة الولادة

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٦٠، حديث ٢٣٢١، قال الترمذي حديث



الله، والله أكبر، يُعْرَسُ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ<sup>(١)</sup>.

وكذلك تتضح رحمته ﷺ في التدرُّج في إصدار الحكم؛ فالحكم عملية تشخيصية علاجية ووقائية، تُمَكِّنُ المعلم من معرفة مستوى أدائه، ومناسبة وسائله وأساليبه، ومقدار ما تحقق من أهداف تعليمية مُحَطَّطٍ لها. ففي الحديث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ «كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟». قَالَ أَقْضِي بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟». قَالَ: فِسْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟». قَالَ أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا أَلُو. فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَدْرَهُ وَقَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا يُرْضَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»، ففي هذا الحديث اختبر الرسول ﷺ معاذًا، وفي كونه يصلح للمهمة الموكولة إليه رحمةً به من أن يُكَلَّفَ في أمرٍ لا يطيقه. وفي مثال آخر جاء رجل إلى الرسول ﷺ قد لزمته كفارة عتق رقبة مؤمنة، فاستأذن النبي ﷺ في عتق أمة، فاختر النبي ﷺ إيمانها فقال: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء بأصبعها، فقال: «فمن أنا» فأشارت إلى النبي

(١) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، ج ٤، ص ٧١٥، حديث ٣٨٠٧. حسنه الألباني، صحيح

الترغيب والترهيب، حديث ١٥٤٩

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٣٠، حديث ٣٥٩٤.

عليه الصلاة والسلام، وإلى السماء، تعني: أنت رسول الله قال: «اعْتَقَهَا فَإِنِهَا مُؤْمِنَةٌ»<sup>(١)</sup>، والتقويم في الحديث كان باختبار الرسول ﷺ إيمان المرأة وفهمها بسؤاله عن ربِّها ونبيِّها، وأصدر عليها حكمه بأنها مؤمنة، وهو أعلى درجات التقويم.

### المبدأ الخامس: إثارة الدافعية:

يتأثر سلوك الفرد بعددٍ من الرغبات تعمل كقوى حافزة لأنشطته الحيوية، ويمكن تقدير الرضا الذي يحصل عليه الفرد، أو الضيق الذي يصيبه في أي موقف بمدى إشباع أو إحباط مُيوله وحواسه؛ لذلك تُعدُّ الدوافع ذات أثر كبير في إثارة ميل الفرد نحو التعلم، فكل عملية تعلُّم يجب أن تُثير في البداية دافعية المتعلم للتعلم؛ لتحقيق العملية التعليمية بنجاح<sup>(٢)</sup>. والدافعية موضوع كبير في علوم التربية الحديثة، ولسنا بصدد التفصيل في كيفية إثارة الدافعية لدى الأفراد للتعلم، ولكن بأمثلتنا من حياة الرسول ﷺ سنوضح ببساطة كيف كان يثير

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ٣، ص ٢٢٧. حديث ٣٢٨٦. قال الألباني إسناده جيد،

انظر السلسلة الصحيحة، ج ١١، ص ١٩

(٢) حسين أبو رياش، سليم محمد شريف، عبد الحكيم الصافي، أصول استراتيجيات التعلم

والتعليم، ط ١.

الرسول ﷺ دافعية المتعلمين للتفكير، وللتعلم رحمة بهم.

فقد مر الرسول ﷺ بجنائز فقال: «مُسْتَرِيحٌ، وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاخُ مِنْهُ؟ قَالَ «الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالْدَّوَابُّ»<sup>(١)</sup>. وعن عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ صُهَيْبٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَجِبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: «وَجِبَتْ»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا وَجِبَتْ؟ قَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا فَوَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا فَوَجِبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup>. لقد جعل الرسول ﷺ المتعلمين في كلا المثالين يسعون لمعرفة المقصود بالكلام، ولم يقله ﷺ مباشرة، بل جعلهم يبحثون ويتساءلون، وهذا من رحمته ﷺ؛ لتحقيق إدامة التعلم.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ماجاء في مستريح ومستراح منه، ج ٣،

ص ٥٤، حديث ٢٢٤٥.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، ج ٢،

ص ١٢١، حديث ١٣٦٧.

لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِّنْ أَشْرَافِ النَّاسِ: هَذَا  
وَاللَّهِ حَرِيٌّ إِنِ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ  
اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا رَأَيْتُكَ فِي هَذَا؟»، فَقَالَ:  
يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا رَجُلٌ مِّنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنِ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ،  
وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا  
خَيْرٌ مِّنْ مِلءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث أمران: أوَّلًا: حثٌّ على التعبير عن النفس، والدفع لمعرفة ما  
وراء الكلام حين سألَهُ الرسول ﷺ مرتين عن رأيه، ثانيًا: أن الرسول ﷺ  
صَوَّبَ الفكرة التي لديه باعتدالٍ دون تحقيرٍ أو تسفيهٍ، وفي ذلك احترامٌ  
للمتعلِّم، ودفعه للتعبير عما يُفكِّرُ وتعديلُ ما هو خاطئٌ لديه، وهذا من أوضح  
الصُّور الدالَّة على رحمته ﷺ بالمتعلِّمين، حيث يُعَدُّ ترغيب الرسول ﷺ  
لأصحابه لحضور مجالس العلم نوعًا من تعزيز الدافعية الداخلية للمتعلِّم  
للإقبال على التعلُّم بقول رسول الله ﷺ: «مَنْ دَخَلَ مَسْجِدَنَا؛ هَذَا لِيَتَعَلَّمَ خَيْرًا  
أَوْ لِيُعَلِّمَهُ كَانَ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ دَخَلَهُ لغير ذلكَ كَانَ كَالنَّاظِرِ إِلَى مَا

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرفاق، باب فضل القبرج ٨، ص ١١٨، حديث



لَيْسَ لَهُ<sup>(١)</sup>، ويعتبر اعتدال الرسول ﷺ في الترغيب أو الترهيب أو استخدام العقوبة أو تصحيح الأخطاء إثارة للدافعية وتحسين لسلوك المتعلمين، وهذا من رحمته ﷺ بالمُتعلِّمين.

\*\*\*

(١) رواه أحمد، المسند، ج ٢، ص ٣٥٠، حديث ٨٥٨٧. قال الحاكم: صحيح على شرط

الشيخين، المستدرک، ج ١، ص ١٦٩، حديث ٣١٠

### المبحث الثالث

#### معالم رحمة الرسول ﷺ في استخدامه الوسائل التعليمية

يُقَصَّدُ بالوسيلة التعليمية مجموع الأشياء الماديّة التي يستخدمها المُعَلِّم؛ لتحسين مُخرجات التعليم، وتوضيح الأفكار والمعاني وإثارة اهتمامات المتعلّمين، وواقعيتهم نحو التعليم، وإزالة الرتابة عن الموقف التعليمي، وتنمية مهارات المتعلّمين الفكرية، واللفظية، والحرفية، والوسائل من العناصر الهامة في المواقف التعليمية؛ لأنها تُوفّر الوقت والجهد على المُعلّم والمتعلّم على حدّ سواء، وتُشعّر المُعلّم بالرضا النفسي، وتُشعّر المُتعلّم أنه قادرٌ على استيعاب المعلومات والمعرفة، ومن الأمثلة على الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول ﷺ؛ ليحقق الأهداف التعليمية والدعوية: الرسم، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطًّا صِغَارًا إِلَى هَذَا الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ، وَقَالَ: «هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجْلُهُ مُحِيطٌ بِهِ، أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطُطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الرقائق، باب في الأمل وطوله ج ٨، ص ١١٠، =



واستخدام الأصابع، فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ أَصَابِعَهُ<sup>(١)</sup>. وفي حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِعِزِّهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ». وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى<sup>(٢)</sup>.

واستخدام الأُمثلة العينية، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَرِيرًا بِشِمَالِهِ، وَذَهَبًا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ رَفَعَ بِهِمَا يَدَيْهِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، حِلٌّ لِإِنَاثِهِمْ»<sup>(٣)</sup> وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتْهُ<sup>(٤)</sup> فَمَرَّ بِجَدِي أَسْكَ<sup>(٥)</sup> مَيِّتٍ،

=حديث ٦٤١٧.

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع، ج ١، ص ١٢٩،

حديث ٤٨١.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ

وَالْيَتِيمِ، ج ٨، ص ٢٢١، حديث ٧٦٦٠.

(٣) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب لبس الحرير والذهب للنساء ج ٤،

ص ٥٩٤، حديث ٣٥٩٥. صححه الشيخ الألباني، انظر صحيح الجامع، ٢٢٧٤.

(٤) كنفته: جانبه أي أحاط به الناس من جانبه.

(٥) الأسك: ذاهب الأذن سواء من أصل الخلقة أو مقطوعها.

فَتَنَاوَلَهُ، فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرُهُمْ؟». فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟». قَالُوا: وَاللَّهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ؛ لَأَنَّهُ أَسَلَكُ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ «فَوَاللَّهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»<sup>(١)</sup>.

واستخدامه ﷺ الإشارة، فعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ رِقَاقٌ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ «يَا أَسْمَاءُ إِنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا بَلَغَتِ الْمَحِيضَ لَمْ تَصْلُحْ أَنْ يُرَى مِنْهَا إِلَّا هَذَا وَهَذَا». وَأَشَارَ إِلَى وَجْهِهِ وَكَفِّهِ<sup>(٢)</sup>.

واستخدامه الحصى والعصا، عن بريدة رضي الله عنه قال: «قال النبي ﷺ: «هل تدرون ما هذه وما هذه؟» ورمى بحصاتين قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الأمل، وهذا الأجل»<sup>(٣)</sup>. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ «غرز بين

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب ١، ج ٨، ص ٢١٠، حديث ٧٦٠٧.

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب فيما تبدي المرأة من زينتها، ج ٤، ص ٣٠٦، حديث ٤١٠٦، صححه الشيخ الألباني، انظر صحيح وضعيف سنن أبي داود ج ٩، ص ١٠٤.

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل ابن آدم وأجله وأمله =



يديه غُرْزًا، ثم غرز إلى جنبه آخر، ثم غرز الثالث، فأبعده، ثم قال: «هل تدرّون ما هذا؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا الإنسان، وهذا أجله وهذا أمله يتعاطى الأمل يختلجه دون ذلك»<sup>(١)</sup>.

والتطبيق العملي للأحكام، كتوضيح العبادات المختلفة أو تعليمه للوضوء، أو بعض أمور الحياة فيروى أن: «أَنَّ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى كَفِّهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الْإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلَاثًا، وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ ثَلَاثَ مَرَارٍ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»<sup>(٢)</sup>. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ بِغُلَامٍ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَنَحَّ، حَتَّى أُرِيكَ» فَأَدْخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ، فَدَحَسَ بِهَا، حَتَّى تَوَارَتْ إِلَى الْإِبطِ، وَقَالَ: «يَا غُلَامُ

= ج ١١، ص ٣٥، حديث ٣١٦٠. قال أبو عيسى حسن غريب من هذا الوجه.

(١) رواه أحمد، المسند، ج ٣، ص ١٧، حديث ١١١٤٨. قال لأرنؤوط: إسناده جيد.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثا ثلاثا ج ١، ص ٥١،

حديث ١٥٩.

هَكَذَا فَاسْلُخْ» ثُمَّ مَضَى، وَصَلَّى لِلنَّاسِ، وَلَمْ يَتَوَضَّأْ<sup>(١)</sup>.

إن الأمثلة السابقة تدلُّ على أن منهج الرسول ﷺ قائمٌ على تقريب المفاهيم للمتعلِّمين باستخدام شتى الوسائل الممكنة، وقد كان استخدمها في تعليم الكبار والصغار؛ لأن هدف استخدام وسائل التعليم إدراك المفاهيم المجردة؛ لتساعد المتعلِّم على الفهم والإدراك.

إن الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول ﷺ كانت رحمة بالمتعلِّمين، حيث جاءت لتأكيد معنى، أو لزيادة وضوح وبيان، أو لإطالة أمد التعليم، ورسوخ المادَّة العلمية في أذهان المتعلِّمين، إذ إن بعض الصحابة ظلُّوا يتذكَّرون الوسائل التعليمية، والمعلومات التي رافقتها، بل إنهم نقلوها لمن جاء بعدهم، وعملت الوسائل التي استخدمها النبي ﷺ على تنمية قيم إيجابية في المجتمع، كالإحسان إلى اليتيم، وبيان حقيقة الدنيا والآخرة، وغيرها من القيم التي يجب أن ترسخ في أذهان المتعلِّمين، عوضاً عن أن ترسخ في عقولهم وقلوبهم قيم زائفة تُؤدِّي بهم إلى الخسارة في الدنيا والآخرة، وهذا من باب الرحمة بهم.

(١) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الذبائح، باب السلخ، ج ٤، ص ٣٤٧، حديث

٣١٧٩. صححه الألباني، في صحيح سنن ابن ماجه طبعة، برقم ٣١٧٠



## المبحث الرابع

### معالم رحمة النبي ﷺ في تقويم أخطاء المتعلمين

إن التقويم هو جزءٌ من العملية التربويّة، وهو جزءٌ من مبادئها، ولكن أفراد هذا الموضوع جاء؛ لتوضيح تحليّ رحمة الرسول ﷺ في تنوّع أساليبه في معالجة الأخطاء، والتي حَرِيٌّ بالمُربِّين التزامها في صورتها التربويّة المناسبة؛ لينعكس أثرها على المتعلّم، فسيستفيد من خطئه ولا يرتكبه مرّةً أخرى، وقد تجلّت رحمة الرسول ﷺ بالمُخطئين أن كان رفيقاً بهم، مُراعياً لأحوالهم، ولين الجانب مع الحزم؛ إذا لم يترتب على ذلك مَصْرَّةٌ بالدين أو المجتمع، فتنوّعت أعماله ﷺ في تقويم أخطائهم، ومن ذلك:

١ - توجيه المُربين إلى معالجة أخطاء المتعلمين بالتوجيه المباشر: فعن عمر ابن أبي سلمة رضي الله عنه قال: «كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ، سَمَّ اللَّهُ، وَكُلَّ يَمِينِكَ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ»، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ»<sup>(١)</sup>. وتظهر رحمته في هذا المثال في أن

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الأُطعمه، باب التسمية على الطعام، ج ٧، ص ٨٨،

حديث ٥٣٧٦.

الرسول ﷺ اختار التوقيت المناسب لعلاج خطأ الصبيّ كون الخطأ كان مُستمرّاً فيه، فيجب تصحيحه حتى لا يتحوّل إلى عادةٍ، فيصعب علاجها؛ لذلك بدأ الرسول ﷺ بمباشرة علاج الخطأ أثناء استمراريّته، ثم بدأ الرسول المعلم ﷺ بمُنادة الصبي بـ «يا غلام» وهي صيغة مُحبّةٍ لنفسية المتعلّم فذلك أدعى لانتباهه واستجابته لتصحيحه، ولم يعالج الرسول ﷺ طيشان يد ابن أبي سلمة بالإناء فقط، إنما أراد ﷺ أن يشمل التصحيح منذ البداية الأولى، وهي الجلوس للأكل، ثم التسمية، ثم طريقة الأكل، وربط السلوك بالهدف الأصلي، فتناول الطعام ربط بالتسمية، وذلك استشعاراً لرحمة الله<sup>(١)</sup>.

٢- توجيه المُريّين إلى معالجة أخطاء المتعلّمين بالتعريض: ففي كثير من الأحيان كان الرسول ﷺ يرى الخطأ، فلا يذكر صاحبه، ولكن يُعرّض بالقول «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنْ اشْتَرَطَ مِئَةَ مَرَّةٍ»<sup>(٢)</sup>. وتظهر الرحمة في المثال في أن مُعالجة خطأ المتعلّم بالتعريض يحفظ درجة شخصيّة المتعلّم عند أصحابه، فلا يقل شأنه

(١) نجيب خالد العامر، وأحمد القطان، من أساليب الرسول ﷺ في التربية، ١٩٩٠.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب ذكر البيع والشراء على المنبر، ج ١،



ومرتبته بينهم، حتى لا يصاب المتعلم بالإحباط، ويحفظ هذا الأسلوب الروابط بين المعلم والمتعلم من الثقة، والمحبة، والهدف المشترك، وهو التعلم، فيدخل الطمأنينة، والارتياح النفسي<sup>(١)</sup>.

٣- توجيه المرين إلى معالجة أخطاء المتعلمين بالتوبيخ أو بالتنبيه: ومثال ذلك: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: «إني سَأَبْتُ رَجُلًا، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمَرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلَفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»<sup>(٢)</sup>. فالإشفاق على المخطئ لا يعني السكوت على خطئه؛ لأن هذا إقرارًا للخطأ بل تشجيع عليه خاصة إذا كان هذا الخطأ قد مسَّ حقوق الناس التي لا يجب التفريط فيها أو السكوت عنها، فالتوبيخ درجة أكبر من التنبيه، ومن الأمثلة على تنبيه الرسول ﷺ للمخطئين الحديث الذي ذكر فيه الأعرابي الذي بال بالمسجد حيث وضح الرسول له لاحقًا قائلاً: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لشيءٍ مِنْ هَذَا

(١) نجيب خالد العامر، وأحمد القطان، من أساليب الرسول ﷺ في التربية.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الايمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ج ١،

ص ١٤، حديث ٣٠.

الْبُولِ وَلَا الْقَدَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»<sup>(١)</sup>.

٤ - توجيه المريين إلى معالجة أخطأ المتعلمين بالضرب: لم يضرب رسول الله ﷺ امرأة ولا غلاماً قط، ولكن الضرب موجود كأسلوب يمكن الاستغناء عنه وتوجيهه قدر الإمكان. «ويأتي استخدام الضرب من أجل تهذيب النفس، وتعديل السلوك، وهو آخر الوسائل المستخدمة، ويمكن تنفيذه حسب تقدير المعاقب للسلوك، ونوع السلوك الذي وقع. وما أحدث هذا السلوك من آثار، وهناك ضوابط للعقاب البدني في الشريعة الإسلامية؛ وذلك بأن يكون العقاب متناسباً مع الذنب في كميته ونوعه، وأن يكون بعد ارتكاب الذنب، وأن لا يؤجل لأن التأجيل يفقده معناه وفائدته، ولا يقدم المعاقب للعقاب إلا بعد تعريفه بذنبه وسلوكه الخاطيء، وأن يكون قد أُعطيَ فرصة حتى يُقْلِعَ عن هذا السلوك»<sup>(٢)</sup>

ومن الأمور الهامة في العقوبة أن لا تتحول إلى إهانة للفرد وهدر لكرامته، وأن لا تتجاوز الضربات عشراً، فعن أبي بردة الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع رسول

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول، ج ١، ص ١٦٣، حديث ٦٨٧.

(٢) عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، ص ١١٨.





الله ﷺ يقول: «لَا يُجْلَدُ أَحَدٌ فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. ومن الأحاديث التي تُوجّه إلى استخدام الضرب ما يرويه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاصْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»<sup>(٢)</sup> ولعل أحدهم يتساءل إذا كان دين الإسلام دين الرحمة، والرسول ﷺ نبي الرحمة فكيف يكون الضرب؟ أليس هذا مُنافيا للرحمة؟ والجواب أن الضرب جزءٌ بسيط من وسائل تقويم أخطاء المتعلمين، وله مجموعةٌ من الشرائط يجب أن تتوافر فيه فهو منعٌ للفساد أن يستشري، وقطع لدابر الشر أن ينتشر.

٥- التدخل المباشر لتغيير الخطأ: التدخل المباشر لتقويم أخطاء المتعلمين طريق أتبعه الرسول ﷺ في إيقاف السلوكيات غير المرغوب فيها، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَهُ

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قدر أسواط التعزير، ج ٥، ص ١٢٦، حديث ٤٥٥٧.

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج ١، ص ١٨٥، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة حديث ٤٩٥، حسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع، حديث ٥٨٦٨.

الْفَضْلُ إِلَى الشَّقِّ الْآخِرِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ أَدْرَكْتُ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ<sup>(١)</sup>.

ففي الحديث السابق يلحظ أن الفضل أخطأ خطأً، وهو التحديق في المرأة، وكانت وسيلة النبي ﷺ لتغيير هذا الخطأ التدخّل المباشر منه، بأن صرف وجه الفضل إلى الشَّقِّ الْآخِرِ. وحديث آخر يُبَادِر فيه الرسول ﷺ لإيقاف خطأ آخر في معيار الشرع والدين،: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَمَرَةً مِنْ تَمَرِ الصَّدَقَةِ، فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَيْفَ كَيْفٍ» - لِيَطْرَحَهَا ثُمَّ قَالَ - أَمَا شَعَرْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله، ح ٢، ص ١٦٣، حيث ١٥١٣.

(٢) رواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب ما يذكر في الصدقة للنبي، ح ٢، ص ١٥٧، حيث ١٤٩١.



## الخاتمة

الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد فقد

توصّل الباحث إلى النتائج الآتية:

أولاً: إن خلق الرحمة أصل جامع لكل خير، وعطف، ومُساندة للآخرين.

ثانياً: ثمة علاقة غائبة بين خلق الرحمة والذي هو سمة من سمات النظام

الإسلامي، وعناصر العملية التعليمية، وهذا الغياب على مُستويين: الأول:

مستوى نظري، والثاني: مستوى تطبيقي عملي.

ثالثاً: تجلّت معالم رحمة الرسول ﷺ في تنوع الأساليب التي استخدمها في

التعليم تبعاً لظروف التعليم، ونوع المُتعلّمين وجنسهم، ومستوياتهم إضافةً إلى

بيئة التعليم، أو الإمكانيات المتاحة والتسهيلات المرافقة، مُراعياً أن يستخدم

الأسلوب الأفضل، فلم يستخدم أسلوباً فوق مستوى المُتعلّمين، ولم يقتصر في

تعليمه على أسلوب واحدٍ في تلك المواطن التعليمية، فقد ظهرت رحمته مثلاً في

استخدام القصة أنه استخدم القصص ذات المغزى المُحدّد، والمُشوِّقة والمُناسبة

لمستوى المتعلمين، ولغتهم، وكل هذه عوامل نجاح القصة كأسلوب منشودٍ لتطوير مستوى الفرد، وإبعاد السامة عن المتعلمين في ظروف مُعَيَّنة؛ لتوصيل فكرة مُحدَّدة مرتبطة بقيَم عقديَّة أو خُلُقِيَّة كما في القصص المذكورة كالرحمة والرفق بالحيوان، وأهميَّة الإيمان والتمسُّك بالعقيدة، وأهميَّة الإخلاص في العمل وغيرها الكثير. وتظهر الرحمة في القصص النبويِّ، ببساطة الأسلوب، ووضوح الهدف؛ مما جعله مُناسباً لجميع فئات المجتمع.

رابعاً: تمثَّلت معالم رحمة الرسول ﷺ في تأسيسه لمجموعة الركائز التربويَّة التي تجعل من عملية التعليم والتعلم عملية ناجحة، وفاعلة، ومُحقَّقة للأهداف التربويَّة والتعليميَّة والسلوكيَّة المخطَّط لها، ومن أهم هذه المبادئ: إلزاميَّة التعليم واستمرارِيَّتِه، ومُراعاة الفروق الفرديَّة، والتدرُّج وإثارة الدافعيَّة. خامساً: تجلَّت معالم رحمة الرسول ﷺ في استخدام الوسائل التعليميَّة أنها جاءت لتأكيد معنًى، أو لزيادة وضوح وبيان، أو لإطالة أمد التعليم، ورسوخ المادَّة العلميَّة في أذهان المُتعلِّمين، إذ إن بعض الصحابة ظلُّوا يتذكَّرون الوسائل التعليميَّة والمعلومات التي رافقتها، بل إنهم نقلوها لمن جاء بعدهم، وعملت الوسائل التي استخدمها النبي ﷺ على تنمية قيَم ايجابيَّة في المجتمع، كالإحسان إلى اليتيم، وبيان حقيقة الدنيا والآخرة، وغيرها من القيَم التي يجب



أن ترسخ في أذهان المتعلمين، عَوْضًا عن أن ترسخ في عقولهم وقلوبهم قيمًا زائفة تُؤدِّي بهم إلى الخسارة في الدنيا والآخرة، وهذا من باب الرحمة بهم.

سادسًا: تمثلت معالم رحمة الرسول ﷺ في تنوُّع أساليبه في معالجة الأخطاء، والتي حَرِيٌّ بالمُرَبِّين التزامها في صورتها التربويَّة المناسبة؛ لينعكس أثرها على المُتعلِّم فسيستفيد من خطئه، ولا يرتكبه مرةً أخرى، وقد تجلَّت رحمة الرسول ﷺ بالمُخطئين أن كان رَفيقًا بهم، مُراعياً لأحوالهم، ولين الجانب مع الحزم؛ إذا لم يترتب على ذلك مُضرَّةٌ بالدين أو المجتمع، فتنوَّعت أعماله ﷺ في تقويم أخطائهم.

التوصيات المقترحة:

تُوصي الدراسة بالآتي:

أولاً: عقد مؤتمرات وندوات بهدف التعريف بمعالم رحمته ﷺ في التعليم.

ثانياً: تعديل المناهج التعليميَّة بإدخال موضوعات تُعرِّف بمعالم رحمته ﷺ.

ثالثاً: عقد دورات وورش تدريبية للمُعلِّمين وأساتذة الجامعات يبين فيها

معالم رحمته ﷺ في التعليم، حتى يكون القدوة والأسوة الحسنة للقائمين على التعليم.

رابعاً: العمل على تدريس مساق جامعي لطلبة كليات التربية عنوانه (الرحمة في التعليم).

\*\*\*

## قائمة المراجع

- (١) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ١٩٧٢ م.
- (٢) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ١٣١٩ هـ.
- (٣) أحمد بن حجر العسقلاني، تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، تحقيق عبد الله البياني، المدينة المنورة، ١٩٦٤ م.
- (٤) أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، المسند، القاهرة، مؤسسة قرطبة.
- (٥) أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن، السنن الكبرى، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي.
- (٦) أحمد رجب الأسمر، مكارم الأخلاق في الإسلام، عمان، دار المسيرة، دار الفرقان، ط ١، ٢٠٠٨ م.
- (٧) حسن البشاري، استخدام الرسول ﷺ الوسائل التعليمية، مجلة الأمة، عدد ٧٧، ١٤٢١، قطر.
- (٨) حسين أبو رياش، سليم محمد شريف، عبد الحكيم الصافي، أصول استراتيجيات التعلم والتعليم، دار الثقافة، ٢٠٠٩، ط ١.
- (٩) سعيد إسماعيل علي، الخطاب التربوي الإسلامي، كتاب الأمة، عدد ١٠٠، قطر، ١٤٢٥ هـ.

- (١٠) سلمان بن الأشعث السجستاني أبو داود، سنن أبي داود، بيروت، دار الكتاب العربي.
- (١١) سليم الشريف، وعبد الحكيم الصافي، أصول استراتيجيات التعلم والتعليم، دار الثقافة، ط١، ٢٠٠٩.
- (١٢) شادية التل، علم النفس التربوي في الإسلام، عمان، دار النفائس، ٢٠٠٥ م.
- (١٣) صالح ذياب هندي، طرائق تدريس التربية الإسلامية، دار الفكر، ط١، ٢٠٠٩ م.
- (١٤) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٩٧٩ م.
- (١٥) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، دمشق، دار الفكر، ط٢، ١٩٩٩.
- (١٦) عبد الرحمن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، دمشق، دار القلم، ط٦، ٢٠٠٢ م.
- (١٧) عبد الله العبادي، من الآداب والأخلاق الإسلامية، بيروت، المكتبة العصرية.
- (١٨) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٧ م.
- (١٩) عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير كلية الشريعة، جامعة اليرموك ٢٠٠٢ م.
- (٢٠) محمد الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مصر، ط٥، ١٩٨٦ م.
- (٢١) محمد الغزالي، فقه السيرة النبوية، تحقيق الشيخ الألباني، دمشق، دار القلم، ١٩٩٨ م.





- (٢٢) محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، القاهرة، دار الشعب، ط ١، ١٩٨٧ م.
- (٢٣) محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- (٢٤) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٨٦ م.
- (٢٥) محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، مكتبة ابن المعاطي.
- (٢٦) مسلم بن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، بيروت، دار الجليل.
- (٢٧) ناصر الخوالدة ويحيي عيد، طرائق تدريس التربية الإسلامية، دار حنين - عمان. ٢٠٠١ م.
- (٢٨) نجيب خالد العامر، وأحمد القطان، من أساليب الرسول ﷺ في التربية، ط ١، دار المجتمع، السعودية، ١٩٩٠ م.
- (٢٩) هنيذة القضاة، تعليم الأطفال العبادات الشرعية بالتدرج التربوي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، ١٩٩٨ م.
- (٣٠) يوسف صديق، النظرية التربوية وطرق التدريس الحديث النبوي، دار ابن القيم، السعودية، ١٤١٢، ط ١.

\*\*\*

ایض



# معالم الرحمة في علاقة النبي ﷺ بمجتمعه

إعداد

د. المرتضى الزين أحمد محمد

الأستاذ المشارك بكلية جبرة العلمية - وعميد الكلية

ايض



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه دراسة علمية حديثة تأصيلية<sup>(١)</sup> بعنوان «معالم الرحمة في علاقة النبي ﷺ بمجتمعه» أعدتها بمناسبة انعقاد المؤتمر العلمي الدولي الذي تقيمه الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها تحت عنوان: «نبي الرحمة ﷺ»، وذلك بمدينة الرياض بالملكة العربية السعودية.

وتأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية هذا المؤتمر، والزمان الذي يُعقد فيه، حيث إن المؤتمر يُعقد في وقت تتعرض فيه شخصية النبي ﷺ وسنته المطهرة لهجمات شرسة، تحتاج مواجهتها لتأصيل شرعي، وبحوث علمية، تدفع عنه ﷺ، وعن الإسلام تهم العُدوان والإرهاب، وتكون هادية ومُنيرة لمن

---

(١) معنى التأصيل في هذا البحث: إيراد الآيات القرآنية والمرويات الحديثية الصحيحة التي يُستدل بها على مظاهر رحمته ﷺ، حيث إن التأصيل يُعرّف بأنه (إرجاع القول والفعل إلى أصل وأساس يقوم ويبنى عليه). انظر موقع <http://www.almwar3i.com>

يعملون في مجال الدفاع والنصرة.

إلي جانب ذلك فإن من حقوقه ﷺ الواجبة على أمته: التعريف به، وبرسالته، ونُصْرَتَه في كل زمان وحين إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها.

### تاريخ الإساءة للنبي ﷺ وأسبابه:

كان ظهور الإساءة للنبي ﷺ، ولشريعته مُصاحِبًا لظهور الدَّعْوَةِ، والآيات في هذا المعنى كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْنَاءَ الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٣٦).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ مِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْنَاءَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (الفرقان: ٤١).

وقد ذكر الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ أَنْ الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والحارث بن الطلائِة<sup>(١)</sup>، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يَعُوْثَ<sup>(٢)</sup> أشهر

(١) الطلائِة أمه، والطلاطة في اللغة: الداهية. قاله السهيلي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن أصبغ الأندلسي، المالكي، المتوفى ٥٨١هـ في (الروض الأنف) ١٧/٤ النسخة التي حققها وعلق عليها الشيخ / عبد الرحمن الوكيل، وطبعها دار الكتب الحديثة - القاهرة - بدون تاريخ.



من عرف بالإساءة لرسول الله ﷺ ولما جاء به.

ولم يَنْفَرِدْ هؤلاء الْكُفَّارُ وَحَدَهُم بِالْإِسَاءَةِ وَالْإِسْتِهْزَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حيث شاركتهُم فئات أخرى من المنافقين، وأهل الكتاب، قال الله تعالى في استهزاء المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ (البقرة: ١٤ - ١٥).

وقال الله تعالى في أهل الكتاب: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (المائدة: ٥٧ - ٥٨).

وأما عن دوافع هذه الإساءات وأسبابها فإن من أبرزها دافع الصد عن سبيل الله، والخوف من انتشار الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٦٧)، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَأَهَّلْ

(١) (تفسير القرآن العظيم) ٤/ ٤٧٠ تفسير سورة الحجر الآية ٩٥ للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير، الشافعي المتوفى ٧٧٤ هـ، النسخة التي حققها / عبد العزيز غنيم وآخرون، ونشرتها دار الشعب - القاهرة بدون تاريخ.

أَلِكْتَبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَغُّونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ (آل عمران: ٩٩).

وقد دفع الله تعالى عن نبيه ﷺ شرور أعدائه، وحماه من كيد المستهزئين به؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٦﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ ﴿٩٧﴾ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ (الحجر: ٩٥-٩٩).

ولاشك أن الإساءة إلى النبي ﷺ من الكفار والمنافقين ومن شايعهم ما زالت مُسْتَمِرَّةً، ومُتَجَدِّدة بتجدد الأيام والسنين، والأهداف والأسباب واحدة وإن اختلفت في صُورِها، وما نراه في زماننا هذا من مظاهر الإساءة إنما هو استمرار لما كان عليه السابقون؛ لذلك وجب الاستمرار في الدفاع عن النبي ﷺ.

### الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة، والبحوث العلمية التي تناولت موضوعات التعريف بنبي الرحمة ﷺ ونصرته كثيرة جداً كما لا يُحْفَى، ومن أبرزها البحوث، والدراسات التالية:

(١) رسالة بعنوان: «حكم من استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام، أو سبه، أو تنقَّصه، أو استحلَّ شيئاً ممَّا حرَّمه»، لسماحة الشيخ /





عبدالعزیز بن عبد الله بن باز<sup>(١)</sup> رحمہ اللہ، وهي رسالة كتبها سماحته بمناسبة نشر صحيفة مصریة لرسم كاريكاتوري فيه التعريض برسول الله ﷺ، وبشريعة الإسلام.

(٢) بحوث ندوات المركز العالمي للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته، ومن أشهرها: بحوث الندوة العلمیة الدولیة حول: «وسائل، واستراتيجيات مواجهة الإساءة للأنبياء»<sup>(٣)</sup>، وبحوث المسابقة العلمیة حول: «مظاهر الرحمة للبشر في شخصية النبي ﷺ»<sup>(٣)</sup>.

(٣) بحوث المؤتمرات والندوات العلمیة العالمیة التي أقامتها مجموعة البحث في السنة والسيرة وقضايا الإعجاز، وهي مجموعة تابعة لشعبة الدراسات الإسلامية<sup>(٤)</sup> بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة سيدي محمد بن عبد الله

---

(١) الرسالة منشورة في (مجموع مقالات وفتاوى متنوعة) لسماحة الشيخ / عبد العزيز بن

عبدالله بن باز رحمہ اللہ ٦/٣٢٦ - ٣٤٠.

(٢) أقيمت الندوة بمدينة فرنسا بتاريخ ٣/٥/١٤٣٠هـ.

(٣) أقيمت هذه المسابقة عام ١٤٢٧/١٤٢٨هـ، وبلغ عدد البحوث المشاركة فيها أكثر من

٤٣٢ بحثاً، زادت عدد صفحاتها عن ٨٦٠٠٠ صفحة (ست وثمانون ألف صفحة) وفرغ

من تحكيم بحوثها بتاريخ ٢٢/٣/١٤٢٨هـ.

(٤) نظمت شعبة الدراسات الإسلامية العديد من الندوات العالمية عن السيرة النبوية، ومن=

بمدينة فاس المغربية.

(٤) بحوث مؤتمرات مُنظمة النصرة العالمية.

بحوث مؤتمر رحمة للعالمين<sup>(١)</sup>.

وقد ناقشت بحوث هذه المؤتمرات والندوات العديد من الموضوعات

العلمية المهمة، في التعريف بشريعة الإسلام، وبيان ما فيها من رحمة، والتعريف

=أبرز ندواتها:

١- ندوة بعنوان: «السيرة النبوية في الكتابات الفرنسية» عام ٢٠٠٤ هـ.

٢- ندوة بعنوان: «السيرة النبوية في الكتابات الإنجليزية» عام ٢٠٠٥ هـ.

٣- ندوة بعنوان: «السيرة النبوية في الأدب العربي» عام ٢٠٠٦ هـ.

٤- ندوة بعنوان السيرة النبوية في الكتابات الألمانية عام ٢٠٠٧ هـ.

٥- ندوة بعنوان السيرة النبوية في الكتابات الأسبانية عام ٢٠٠٨ هـ.

٦- ندوة بعنوان السيرة النبوية في الكتابات الأمريكية عام ٢٠٠٩ هـ.

٧- ندوة بعنوان السيرة النبوية في الكتابات الإيطالية عام ٢٠١٠ هـ.

انظر موقع جامعة سيدي محمد بن عبد الله: <http://www.usmba.ac.ma>

(١) عقد هذا المؤتمر في السودان بتشريف سعادة المشير/ عمر حسن أحمد البشير رئيس

الجمهورية، وبرعاية رئاسة الجمهورية بالسودان، وعدد من الجهات منها: جامعة الخرطوم،

ومنظمة النصرة العالمية، ومجلة البيان، وإذاعة طيبة، وذلك في الفترة الواقعة بين

٣-٥/١١/١٤٢٨ هـ الموافق ١٣-١٥/١١/٢٠٠٧ م. انظر موقع:

[www.nusra.meshkat.net](http://www.nusra.meshkat.net)



بالنبي ﷺ، وإيضاح منزلته عند الله تعالى، كما تناولت البحوث أنواع الأذى الذي تعرّض له الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قديماً وحديثاً، وأوضحت بواعث ذلك الأذى والتطاؤل. وشرحت الأوراق العلميّة الجهود المبذولة في الدفاع عن النبي ﷺ، وبيّنت استنكار المؤمنين، والمُنصفين من غير المسلمين لمحاولات الإساءة لرسول الله ﷺ، وفندت البحوث بعض الشبهات المثارة حول بعض التشريعات الإسلامية بزعمهم أنها تشريعات مُنافية لخلق الرّحمة.

ويسعى هذا البحث إلى معالجة بعض القضايا العلمية التي لم تُعالج في الدراسات السابقة بصورة كافية - فيما ظهري - فأوردت في هذا البحث العديد من الآيات القرآنية التي تحدّثت عن رحمة النبي ﷺ، وركّزت على جمع الأحاديث الصحيحة التي يُحتاج إليها حاجةً شديدةً في مجالات التأصيل والتعريف بالنبي ﷺ ونُصرتَه، لاسيّما في بلاد الغرب، كما نبّهت على ضعف بعض المرويّات المشهورة التي يكثر الاستدلال بها في أبواب النُصرة، وبلغ مجموع المرويّات الصحيحة التي أوردتها للاستدلال بها على مظاهر رحمته ﷺ بمجتمعه نحو أربعين حديثاً.

وقد أعددتُ هذا البحث وفق خطة مُكوّنة من: مُقدّمة، وتمهيد،

ومُبَحّثين، وخاتمة ذكرت فيها أهمّ النتائج والتوصيات.

أوضحتُ في مقدمة البحث أهميَّة موضوعه، وأشرتُ لتأريخ الإساءة لرسول الله ﷺ، وبيَّنتُ بعض أسبابها ودوافعها، وتحدَّثتُ في المُقدِّمة - أيضًا - عن الدراسات السابقة، وعن الجُهود المُقدَّرة المُبذولة - قديمًا وحديثًا - في مجال التعريف بالنبي ﷺ ونُصْرته.

وعرَّفتُ في التمهيد بالرحمة، وبيَّنتُ حكم الاتِّصاف بها، وتحدَّثتُ عن الرحمة في ضوء القرآن والسنة بصفة عامَّة. أمَّا المَبَحْثُ الأوَّل فقد خَصَّصْتُهُ للحديث عن رحمة النبي ﷺ في ضوء القرآن، وجعلتُ المَبَحْثَ الثاني في الحديث عن مظاهر رحمة النبي ﷺ في السُّنَّة المُشرَّفة، وأشرتُ في الخاتمة لبعض النتائج والتوصيات.

\*\*\*

## التمهيد

أولاً: التعريف بالرحمة لغة واصطلاحاً:

الرحمة لغة: تُطْلَقُ الرَّحْمَةُ فِي اللُّغَةِ عَلَى مَعَانِي، مِنْهَا: الرَّقَّةُ، وَالْعَطْفُ، وَقَدْ رَحَّمْتُهُ وَتَرَحَّمْتُ عَلَيْهِ، وَتَرَأَحَمَ الْقَوْمُ إِذَا رَحِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

وَالرَّحْمَةُ: الْمَغْفِرَةُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَصْفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ٥٢) أَيِ فَصَّلْنَاهُ هَادِيًا وَذَا رَحْمَةٍ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١) أَيِ: هُوَ رَحْمَةٌ؛ لِأَنَّهُ كَانَ سَبَبَ إِيمَانِهِمْ. وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ (البلد: ١٧) أَيِ: أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِرَحْمَةِ الضَّعِيفِ، وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

الرحمة اصطلاحاً:

الرَّحْمَةُ فِي الْإِصْطِلَاحِ: حَالَةٌ وَجْدَانِيَّةٌ تَعْرِضُ غَالِبًا لِمِنْ بِهِ رَقَّةُ الْقَلْبِ،

(١) انظر (لسان العرب) ١٢ / ٢٣٠ محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، النسخة التي

نشرتها دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.

وتكون مَبْدَأً للانعطاف النفساني الذي هو مَبْدَأُ الإحسان<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: حكم الاتِّصاف بالرَّحْمَةِ:

دلَّت النصوص على وجوب الاتِّصاف بصفة الرَّحْمَةِ، وعلى أن التَّراحم من دلائل الإيمان، لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ». رواه أبو داود<sup>(٢)</sup> والترمذي<sup>(٣)</sup> وقال: حسن صحيح. ولحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لَنْ تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أَدْلُكُمْ عَلَى مَا تَحَابُّوا عَلَيْهِ؟» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ تَحَابُّوا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاحَمُوا». قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيماً. قال: «إِنَّهُ لَيْسَ

(١) (الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي المتوفى ١٠٩٤ هـ، النسخة الالكترونية - مع المكتبة الشاملة - الإصدار الثالث.

(٢) رواه أبو داود في (السنن) ٢٣١ / ٥ (كتاب الأدب) (باب الرحمة) حديث رقم ٤٩٤١ وسكت عنه أبو داود، ثم المنذري في (مختصر السنن) ٢٤٦ / ٧.

(٣) رواه الترمذي في (السنن) ٣٢٤ / ٤ (كتاب البر والصلة) (باب رحمة المسلمين) حديث رقم



بِرَحْمَةٍ أَحَدِكُمْ، وَلَكِنْ رَحْمَةُ الْعَامَّةِ، رَحْمَةُ الْعَامَّةِ». رواه الحاكم في المستدرک<sup>(١)</sup>  
وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص<sup>(٢)</sup>:  
صحيح.

### ثالثاً: الرَّحْمَةُ فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ:

الآيات القرآنيَّة، والأحاديث النبوية التي تناولت موضوع الرَّحْمَةِ بِصِفَةِ  
عَامَّةٍ كَثِيرَةٍ جَدًّا، وَقَدْ دَلَّتْ نصوص القرآن الكريم على أن الرَّحْمَةَ صِفَةُ مَنْ  
صفات الله ﷻ، وأنه ﷻ كتب على نفسه الرَّحْمَةَ، وأن رحمته ﷻ وَسَّعَتْ كُلَّ  
شيءٍ، وأن أسعد الناس بها الْمُتَّقُونَ.

• قال الله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ  
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢).

• وقال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسَّعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ  
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

(١) ١٦٨/٤ (كتاب البر والصلة) (لا يشبع الرجل دون جاره) النسخة التي نشرتها دار  
الكتاب العربي - بيروت - بدون تاريخ.

(٢) مطبوع بذييل (المستدرک على الصحيحين) ١٦٨/٤.

وأما السُّنَّة النبويَّة فقد تحدَّثت عن الرَّحْمَةِ على وجه العموم في أحاديث كثيرة، دلت نصوصها على أن الله تعالى خَلَقَ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، أنزل منها جزءاً واحداً يترأخ به الخلائق في هذه الدنيا، وأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً ليوم القيامة، وأن رحمته ﷻ تَسْبِقُ غَضَبَهُ، وأنه ﷻ أرحم بعباده من الأم بولدها، والمَرْوِيَّات التي تدلُّ على مثل هذه المعاني من أبرزها ما يأتي:

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «جعل الله الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عندهُ تسعة وتسعين، وَأَنْزَلَ في الأرضِ جُزْءاً واحداً، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَرَأَحُمُ الْخَلَائِقِ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا؛ خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ». رواه البخاري<sup>(١)</sup> ومسلم<sup>(٢)</sup>.

(٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخُلُقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٣١ / ١٠ (كتاب الأدب) (باب جعل الله الرحمة في مائة جزء) حديث رقم ٦٠٠٠.

(٢) مسلم في (الصحيح) ٤ / ٢١٠٨ (كتاب التوبة) (باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) حديث رقم ٢٧٥٢.

(٣) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٠٤ / ١٣ (كتاب التوحيد) (باب وكان عرشه على الماء) حديث رقم ٧٤٢٢.





(٣) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قال: «قُدِمَ على رسولِ الله ﷺ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، [قد تَحَلَّبَ ثَدْيُهَا]»، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِهَا، فَأَرْضَعَتْهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قلنا: لا والله، فقال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ بَوْلَدِهَا». أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>، ومسلم<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

---

(١) اختلفت النسخ في ضبط (تحلب ثديها): ففي رواية المستملي والسرخسي: بسكون المهملة من تَحَلَّبُ وضم اللام وثديها بالنصب، وللباقيين قد تَحَلَّبَ بفتح الحاء وتشديد اللام أي: تهباً لأن يُحَلَّبَ، وثديها بالرفع، ففي رواية الكشميهني بالإفراد، وللباقيين ثديها بالثنية. (فتح الباري) ١٣/ ٤٠٤.

(٢) في (الصحيح - مع فتح الباري) ١٠/ ٤٢٦ (كتاب الأدب) (باب في رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) حديث رقم ٥٩٩٩.

(٣) في (الصحيح) ٤/ ٢١٠٩ (كتاب التوبة) (باب في سعة رحمة الله تعالى وإنها سبقت غضبه) حديث رقم ٢٧٥٤.

## المبحث الأول

### رحمة النبي ﷺ في ضوء القرآن الكريم

الآيات التي تحدثت عن رحمته ﷺ، ورأفته، وشدة حرصه على إيصال الخير لأُمَّته كثيرة، منها قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة: ١٢٨)، وهو ﷺ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: شديد الرَّأْفَةِ، والرَّحْمَةِ بهم، أرحمُ بهم من والديهم؛ ولهذا كان حقه مُقَدَّمًا على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإتيان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره<sup>(١)</sup>.

ومنها قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة: ٦١)، فهو ﷺ رحمة للمؤمنين؛ لأنه كان سببًا في إيمانهم، ولأنهم يصلُّون إلى ما يُسْعِدُهُمْ في دنياهم وآخرتهم باتِّباعهم لشريعته السمحة.

ومنها قول تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٤٨٣ سورة التوبة الآية رقم ١٢٨.



المسلمين منهم والكافرين؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾: من آمن بالله واليوم الآخر كُتِبَ له الرَّحْمَةُ في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن بالله ورسوله، عُوِيَ بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ مِنَ الْحَسَفِ، وَالْقَذْفِ<sup>(١)</sup>.

وقال الإمام الطبري رحمته الله: «إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ رَحْمَةً لِّجَمِيعِ الْعَالَمِ، مُؤْمِنِهِمْ وَكَافِرِهِمْ. فَأَمَّا مُؤْمِنُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ هَدَاهُ بِهِ، وَأَدْخَلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْجَنَّةَ. وَأَمَّا كَافِرُهُمْ فَإِنَّهُ دَفَعَ بِهِ عَنْهُ عَاجِلَ الْبَلَاءِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ بِالْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهَا مِنْ قَبْلِهِ.

\*\*\*

(١) انظر: (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ١٧ / ١٠٦ سورة الأنبياء الآية ١٠٨.

## المبحث الثاني

### مظاهر رحمة النبي ﷺ في السنة المشرفة

الأحاديث في مظاهر رحمته ﷺ بمجتمعه كثيرة، ومن أبرزها المظاهر التالية:

#### دعوته ﷺ للتراحم:

النصوص في دعوة النبي ﷺ للتراحم كثيرة، منها ما جاء حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ، وَتَوَادُّهِمْ، وَتَعَاطِفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ، وَالْحُمَى». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وروى جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ». متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٣٨/١٠ (كتاب الأدب) (باب رحمة الناس والبهائم) حديث رقم ٦٠١١ ومسلم في (الصحيح) ١٩٩٩/٤ (كتاب البر والصلة) (باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) حديث رقم ٢٥٨٦.

(٢) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٣٨/١٠ (كتاب الأدب) (باب رحمة الناس =



## رحمته ﷺ بأهل الكتاب:

من مظاهرها عيادة مرضاهم، مثل عيادته ﷺ للغلام اليهودي لما مرض، حيث ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: «كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ». فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ. فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

## رحمته ﷺ بالمشركين:

من مظاهرها صبره ﷺ على أذيتهم، وعدم دعائه عليهم؛ لما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمَشْرِكِينَ. قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً». أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

=والبهائم) حديث رقم ٦٠١٣ ومسلم في (الصحيح) ٤/ ١٨٠٩ (كتاب الفضائل) (باب رحمته الصبيان والعيال وفضل ذلك) حديث رقم ٢٣١٩.

(١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٣/ ٢١٩ (كتاب الجنائز) (باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام) حديث رقم ١٣٥٦.

(٢) في (الصحيح) ٤/ ٢٠٠٦ (كتاب البر والصلة والأدب) (باب النهي عن لعن الدوابِّ وَغَيْرِهَا) حديث رقم ٢٥٩٩.

رحمته ﷺ بالمحاربين له:

من مظاهرها عفوهم بعد مقدرته عليهم، كما جاء في العديد من الأحاديث المروية في فتح مكة، وفيها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ»<sup>(١)</sup>.

وجاء في رواية ابن أبي شيبَةَ: «أَنْ أبا بَكْرٍ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ السَّمْعَ - يَعْنِي: الشَّرَفَ - فَقَالَ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ»، فَقَالَ: وَمَا تَسَعُ دَارِي. - زَادَ ابْنُ عُقْبَةَ: وَمَنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيمٍ فَهُوَ آمِنٌ، وَهِيَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، وَدَارَ أَبِي سُفْيَانَ بِأَعْلَاهَا - وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، قَالَ: وَمَا يَسَعُ الْمَسْجِدَ. قَالَ: «وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ». قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: هَذِهِ وَاسِعَةٌ». اِنْتَهَى<sup>(٢)</sup>.

وأما رواية أنه ﷺ قال لأهل مكة: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ» فهي رواية

(١) رواه الإمام مسلم في (الصحیح) ١٤٠٥ / ٣ (كتاب الجهاد والسير) (باب فتح مكة) حديث رقم ١٧٨٠.

(٢) ذكره محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب في (عون المعبود شرح سنن أبي داود ٢٥٨ / ٨ نسخة دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٥ (كتاب الخراج) (باب ما جاء في خبر مكة وكان فتح مكة) عند شرحه للحديث رقم ٣٠٠٥ وعزاه لابن أبي شيبَةَ.



ضعيفة بسبب الانقطاع، والإبهام الواقع في إسناده؛ لقول ابن إسحاق رحمته الله في روايته لها: وحدثني بعض أهل العلم أنه رحمته الله قام على باب الكعبة فذكر الحديث، وفيه ثم قال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم. قال: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ»<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ الألباني رحمته الله: هذا الحديث على شهرته ليس له إسناده ثابت، وهو عند ابن هشام مُعْضَلٌ، وقد ضَعَّفَهُ الحافظ العراقي<sup>(٢)</sup>.

وقال - أيضاً -: هذا سند ضعيف مرسل؛ لأن شيخ ابن إسحاق فيه لم يُسَمَّ، فهو مجهول. ثم هو ليس صحابياً؛ لأن ابن إسحاق لم يُدْرِكْ أحداً من الصحابة، بل هو يروي عن التابعين، وأقرانه، فهو مُرْسَلٌ، أو مُعْضَلٌ<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ذكرها ابن هشام عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى ٢١٨ هـ في (السيرة - مع الروض الأنف) ٧/ ٧٤ في فتح مكة (باب خطبته على باب الكعبة)، وأوردها ابن حجر في (فتح الباري) ٨/ ١٨ (كتاب المغازي) (باب دخول النبي رحمته الله من أعلى مكة) عند شرحه للحديث رقم ٤٢٨٩.

(٢) (دفاع عن الحديث النبوي والسيرة) ص... لمحمد ناصر الدين الألباني رحمته الله ولم أقف على تضعيف العراقي له في تخريج الأحياء.

(٣) (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة - مع المكتبة الشاملة) حديث رقم ١١٦٣.

## رحمته ﷺ بالأرحام:

مظاهرها كثيرة منها المظاهر التالية:

(١) بيانه ﷺ لعظم منزلة التواصل بين ذوي الأرحام؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خَلَقَ اللهُ الخُلُقَ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ. فَقَالَ لَهَا: مَهْ. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكَ لَكَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَفْرَأَوْا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾» (محمد: ٢٢) <sup>(١)</sup>.

(٢) أمره ﷺ بصلة الرحم؛ لما روى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ الْقَوْمُ: مَا لَهُ، مَا لَهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبُ مَا لَهُ». فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ

(١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤١٧/١٠ (كتاب الأدب) (باب من وصل وصله الله) حديث رقم ٥٩٨٧.

(٢) أي أنه ذو خبرة وعلم. يقال أَرْبُ الرجل بالضمّ فهو أَرْبٌ أي صار ذا فطنة. ورواه الهروي [إَرْبُ ماله] بوزن حمل أي أنه ذو إرب: حُبْرَة وعلم. (النهاية في غريب الحديث والأثر) ١/٣٥.





الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، ذَرَّهَا». قَالَ: كَأَنَّهُ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ<sup>(١)</sup>.

رحمته ﷺ بالنساء:

مظاهرها كثيرة، ومن أبرزها المظاهر التالية:

(١) وصيته ﷺ بالصبر على عِوَجِ النساء، والإحسان إليهن؛ لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

(٢) نهيه ﷺ عن قتل النساء في القتال؛ لأنهن غير مُحاربات؛ لحديث ابن عمر رضي الله عنه قَالَ: «وُجِدَتْ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ، وَالصَّبِيَّانِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ١٠ / ٤١٤ (كتاب الأدب) (باب فضل صلة الرحم) حديث رقم ٥٩٨٣.

(٢) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٩ / ٢٥٣ (كتاب النكاح) (باب الوصاة بالنساء) حديث رقم ٥١٨٦.

(٣) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٦ / ١٤٨ (كتاب الجهاد والسير) (باب قتل النساء في الحرب) حديث رقم ٣٠١٥ ومسلم في (الصحيح) ٣ / ١٣٦٤ (كتاب الجهاد والسير) (باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب) حديث رقم ١٧٤٤.

(٣) أمره ﷺ بالإحسان إلى الأمّهات؛ لما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: «جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحقّ بحُسنِ صحابتي؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «أُمُّكَ». قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: «ثُمَّ أَبُوكَ»<sup>(١)</sup>.

(٤) تخفيفه ﷺ للصلاة حتى لا يشق على الأمّهات؛ بسبب بكاء أطفالهنّ؛ لحديث أبي قتادة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ أَنْ أَطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعَ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي؛ كَرَاهِيَةً أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ». أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>، ولحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً، وَلَا أَتَمَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنْ كَانَ لَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ؛ فَيُخَفِّفُ مَخَافَةَ أَنْ تُفْتَنَ<sup>(٣)</sup> أُمُّهُ». أخرجه البخاري<sup>(٤)</sup>.

(١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٠١ / ١٠ (كتاب الأدب) (باب من أحق الناس بحسن الصحبة) حديث رقم ٥٩٧١.

(٢) في (الصحيح - مع فتح الباري) ٢٠١ / ٢ (الأذان) (باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي) حديث رقم ٧٠٧.

(٣) ومعنى: (أن تفتن أمه) تلتهي عن صلاتها فلا تخشع فيها لاشتغال قلبها ببكائه. قاله الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) ٢٠٢ / ٢

(٤) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٢٠٢ / ٢ (كتاب الأذان) (باب من أخف =



وفي رواية لمسلم: قال أنس: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ مَعَ أُمِّهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ، فَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ الْخَفِيفَةِ، أَوْ بِالسُّورَةِ الْقَصِيرَةِ»<sup>(١)</sup>.

(٥) حُثُّهُ ﷺ عَلَى صَلَاةِ الْأُمَّهَاتِ وَإِنْ كُنَّ مُشْرَكَاتٍ؛ لَحَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: «أَتَيْتُنِي أُمِّي رَاغِبَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَصِلْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»»<sup>(٢)</sup>.

### رحمته ﷺ بالأطفال:

مظاهرها كثيرة، وإن من أبرزها المظاهر التالية:

(١) تقبيله ﷺ للصبيان، كما جاء في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ». قَالَ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ - وَإِنَّهُ

---

=الصلاة عند بكاء الصبي) حديث رقم ٧٠٨.

(١) في (الصحيح) ٣٤٢ / ١ (كتاب الصلاة) (باب أَمْرِ الْأُمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلَاةِ فِي تَمَامِ) حديث رقم ٤٧٠.

(٢) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤١٣ / ١٠ (كتاب الأدب) (باب صلة المرأة أمها ولها زوج) حديث رقم ٥٩٧٩.

لِيَدَّخُنْ وَكَانَ ظِئْرُهُ<sup>(١)</sup> قَيْنًا<sup>(٢)</sup> - فَيَأْخُذْهُ فَيَقْبَلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ<sup>(٣)</sup>. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ، فقال: إِنَّكُمْ تُقْبَلُونَ الصَّبِيَّانَ وَلَا نُقْبَلُ لَهُمْ؟ فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ؟». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

(٢) مِزَاحُهُ ﷺ مع الأطفال، كما جاء في حديث أمِّ خَالِدِ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ رضي الله عنها أنها قالت: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَبِي، وَعَلَى قَمِيصٍ أَصْفَرُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَنَةِ سَنَةٍ»<sup>(٥)</sup>. - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَهِيَ بِالْحُبَشِيِّ: حَسَنَةٌ. -

(١) ظِئْرًا بكسر المعجمة وسكون التحتانية المهموزة بعدها راء أي مرضعًا، وأطلق عليه ذلك؛ لأنه كان زوج المرضعة وأصل الظئر من ظَأَرَتِ الناقة إذا عطفَت على غير ولدها، ف قيل ذلك لتي تُرَضِع غير ولدها، وأطلق ذلك على زوجها؛ لأنه يُشَارِكُهَا في تربيته غالبًا. قاله ابن حجر في (فتح الباري) ١٧٣/٣

(٢) الْقَيْنُ - بفتح القاف وسكون التحتانية بعدها نون - هو الحَدَاد، ويطلق على كل صانع، يقال: قَان الشَّيْءَ إذا أَصْلَحَهُ. قاله ابن حجر في (فتح الباري) ١٧٣/٣

(٣) رواه الإمام مسلم في (الصحيح) ٤ / ١٨٠٨ (كتاب الفضائل) (باب رَحْمَتِهِ ﷺ الصَّبِيَّانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلَ ذَلِكَ) حديث رقم ٢٣١٦

(٤) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٢٦/١٠ (كتاب الأدب) (باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) حديث رقم ٥٩٩٨ ومسلم في (الصحيح) ٤ / ١٨٠٨ (كتاب الفضائل) (باب رحمة النبي ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك) حديث رقم ٢٣١٥

(٥) حكي ابن حجر في (فتح الباري) ٦ / ١٨٤ (كتاب الجهاد) (باب من تكلم بالفارسية =



قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النَّبُوءَةِ، فَزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعَهَا». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَبْلَى، وَأَخْلَفِي»<sup>(١)</sup>، ثُمَّ أَبْلَى وَأَخْلَفِي، ثُمَّ أَبْلَى وَأَخْلَفِي»<sup>(٢)</sup>.

=والرطانة) خلاف العلماء في ضبطها بقوله: قوله سنه سنه هو بفتح النون وسكون الهاء، وفي رواية الكشميهني سنه بزيادة ألف والهاء فيهما للسكت وقد تحذف، قال ابن قرقول: هو بفتح النون الخفيفة عند أبي ذر، وشددها الباقون، وهي بفتح أوله للجميع إلا القاسبي فكسره.

(١) يقول ابن حجر في ضبطه ومعناه وبيان اختلاف الروايات فيه في (فتح الباري) ٢٨٠ / ١٠ في (كتاب اللباس) (باب الخميصة السوداء): قوله (أَبْلَى بفتح الهمزة وسكون الموحدة وكسر اللام، أمر بالإبلاء، وكذا قوله: «أَخْلَفِي» بالمعجمة والقاف أمر بالأخلاق، وهما بمعنى، والعرب تُطْلَقُ ذلك، وتريد الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك، أي أنها تطول حياتها حتى يَبْلَى الثوب ويخْلَق، قال الخليل: أَبْلَى وَأَخْلَقُ معناه عَشَّ وَخَرَّقَ ثيابك وأرقعها، وأخْلَقْتُ الثوب: أخرجتُ باليه ولفقته. ووقع في رواية أبي زيد المروزي عن الفربري وأخلفني بالفاء، وهي أوجه من التي بالقاف؛ لأن الأولى تستلزم التأكيد؛ إذ الإبلاء والأخلاق بمعنى، لكن جاز العطف؛ لتغاير اللفظين، والثانية تفيد معنى زائدا، وهو أنها إذا أَبْلَتْه أَخْلَفْتُ غيره، وعلى ما قال الخليل لا تكون التي بالقاف للتأكيد، لكن التي بالفاء أيضا أولى، ويؤيدها ما أخرجه أبو داود بسند صحيح عن أبي نضرة قال كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تُبْلَى، ويُخْلَفُ الله.

(٢) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٢٥ / ١٠ (كتاب الأدب) (باب من ترك صبية غيره حتى تلعب به أو قبلها أو ما زحلها) حديث رقم ٥٩٩٣

(٣) حُزْنُهُ ﷺ على موت الأطفال؛ لحديث أنس أنه قال: «ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَإِبْرَاهِيمُ يُجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ». متفق عليه<sup>(١)</sup>.

رحمته ﷺ بالمُسْنِين:

من مظاهرها: أمره ﷺ بتخفيف الصلاة مراعاة لأحوالهم؛ لما روى أبو مسعود ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ؛ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُتَفَرِّينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَالْكَبِيرَ، وَذَا الْحَاجَةِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ١٧٢ / ٣ (كتاب الجنائز) (باب قول النبي ﷺ

إنا بك لمحزونون) حديث رقم ١٣٠٣ ومسلم في (الصحيح) ٤ / ١٨٠٨ (كتاب الفضائل) (باب رَحْمَتِهِ ﷺ الصَّبِيَّانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ) حديث رقم ٢٣١٥.

(٢) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ١٩٧ / ٢ (كتاب الصلاة) (باب أمر الأئمة

بتخفيف الصلاة في تمام، وإتمام الركوع والسجود) حديث رقم ٧٠٢.

رحمته ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة<sup>(١)</sup>:

يُراد بذوي الاحتياجات الخاصة: من لهم احتياجات خاصة تختلف عن احتياجات الآخرين، كالمُعَوِّقِينَ، والمرضى بأمراض خاصة، ومن مظاهر رحمته بهم:

(١) حُثُّهُ ﷺ من ابتلي بفقد البصر على الصبر؛ لما روى أنس بن مالك ﷺ أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ، فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>. يُرِيدُ عَيْنَيْهِ.

(٢) حُسْنُ تعامله ﷺ مع مَرْضَى الأمراض العقلية؛ لما روى أنس بن مالك ﷺ: «أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: «يَا أُمَّ فُلَانٍ، انْظُرِي أَيَّ السَّكِّكِ شِئْتِ حَتَّى أَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ «فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا»<sup>(٣)</sup>.

(١) ذوو الاحتياجات الخاصة مُصطلح حديث يُقصد به بعض الأفراد الذين لهم احتياجات خاصة تختلف عن احتياجات باقي أفراد المجتمع، كالمُعَوِّقِينَ، والموهوبين، والمرضى بأمراض خاصة، والمُسِنَّين. انظر موقع مؤسسة الرواق المتخصصة في خدمات ذوي الاحتياجات الخاصة بالشبكة العالمية. <http://www.q8sneed.com>

(٢) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ١٠ / ١١٥ (كتاب المرضى) (باب فضل من ذهب بصره) حديث رقم ٥٦٥٣.

(٣) في (الصحيح) ٤ / ١٨١٢ (كتاب الفضائل) (باب قُرْبِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّاسِ وَتَبَرُّكِهِمْ =

رحمته ﷺ بالجيران:

من أبرز مظاهرها: المظاهر التالية:

- (١) نهيه ﷺ عن أذية الجيران؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ...» الحديث<sup>(١)</sup>.
- (٢) وصيته ﷺ بالإحسان للجيران؛ لحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَا زَالَ يُوصِينِي جِبْرِيلُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ»<sup>(٢)</sup>.

رحمته ﷺ باليتامى:

- من مظاهرها: ترغيه ﷺ في كفالة اليتامى؛ لحديث سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا». وقال: «بِأَصْبَعِيهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى»<sup>(٣)</sup>.

= (به) حديث رقم ٢٣٢٤.

- (١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٢٥٢ / ٩ (كتاب النكاح) (باب الوصاة بالنساء) حديث رقم ٥١٨٥.
- (٢) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٤١ / ١٠ (كتاب الأدب) (باب الوصاة بالجار) حديث رقم ٦٠١٤.
- (٣) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٣٦ / ١٠ (كتاب الأدب) (باب فضل من يعول يتيماً) حديث رقم ٦٠٠٥.





### رحمته ﷺ بالأرامل والمساكين:

من مظاهرها: ترغيبه ﷺ في الإحسان إلى الأرامل والمساكين؛ لحديث صفوان بن سليم رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ كَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». وأحسبه قال - يشك القعنبي - : «كالقائم لا يَفْطُرُ، وكالصائم لا يُفْطِرُ»<sup>(٢)</sup>.

### رحمته ﷺ بالخدم:

من مظاهرها المظاهر التالية:

(١) عدم ضجره ﷺ من تصرُّفاتهم؛ لحديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٌّ، ولا لمْ صَنَعْتَ؟ ولا: أَلَا صَنَعْتَ»<sup>(٣)</sup>.

---

(١) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٣٧/١٠ (كتاب الأدب) (باب الساعي على الأرملة) حديث رقم ٦٠٠٦.

(٢) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٣٧/١٠ (كتاب الأدب) (باب الساعي على المسكين) حديث رقم ٦٠٠٧.

(٣) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٥٦/١٠ (كتاب الأدب) (باب حسن =

(٢) أمره ﷺ بإطعام الخدم مما نأكل، وكسوتهم مما نكتسي به، وإعانتهم على الأعمال الشاقة التي نكلفهم بها؛ لحديث المعرور أنه قال: «لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»<sup>(١)</sup>.

رحمته ﷺ بالبهاائم:

من مظاهرها المظاهر التالية:

(١) ترغيبه ﷺ في سقيها؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بُئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ الْبُئْرَ، فَمَلَأَ حُفَّهُ، ثُمَّ

= الخلق والسخاء، وما يكره من البخل) حديث رقم ٦٠٣٨.

(١) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ١/ ٨٤ (كتاب الإيمان) (باب المعاصي من

أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك) حديث رقم ٣٠.



أَمْسَكُهُ بِيَمِينِهِ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»<sup>(١)</sup>.

(٢) أمره ﷺ بإحسان ذبحها، وفعل ما يُريئها؛ لحديث شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ»<sup>(٢)</sup>.

مظاهر لرحمته سوى ما تقدّم:

(١) رحمته ﷺ أَمَّتَهُ بِنَهْيِهَا عَنِ الْوِصَالِ<sup>(٣)</sup>؛ لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «نَهَاهُمْ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَوَاصِلُ؟ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي يَسْقِينِي». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>

(١) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٣٨/١٠ (كتاب الأدب) (باب رحمة الناس والبهائم) حديث رقم ٦٠٠٩.

(٢) مسلم في (الصحيح) ١٥٤٨/٣ (كتاب الصيد والذبائح) (باب الأمر بإحسان الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ). حديث رقم ١٩٥٥.

(٣) الوصال إلا يفطر يومين أو أياما. (النهاية في غريب الحديث والأثر) ١٩٣/٥.

(٤) رواه البخاري في (الصحيح) ٢٠٢/٤ (كتاب الصوم) (باب الوصال ومن قال ليس في=

(٢) عتابه ﷺ الرقيق لمن تنزّه عن بعض أفعاله؛ لما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَطَبَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»<sup>(١)</sup>.

(٣) رحمته ﷺ بترك الأعرابي يكمل بؤله في المسجد، ومنعه ﷺ من الإنكار عليه؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»<sup>(٢)</sup>.

(٤) رحمته ﷺ بمن تكلم في صلاته بكلام الناس، كما فعل مع مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه الذي قال: «بَيْنَا أَنَا أَصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ. فرماني الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ. فَقُلْتُ: وَائْكُلَ

=الليل صيام) حديث رقم ١٩٦٤ ومسلم في (الصحيح) ٧٧٦/٢ (كتاب الصيام) (باب النهي عَنِ الْوِصَالِ فِي الصَّوْمِ) حديث رقم ١١٠٥.

(١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٥١٣/١٠ (كتاب الأدب) (باب من لم يواجه الناس بالعتاب) حديث رقم ٦١٠١.

(٢) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٣٢٣/١ (كتاب الوضوء) (باب صب الماء على البول في المسجد) حديث رقم ٢٢٠.



أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَازِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَبَأْبَى هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ، أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ...». الحديث<sup>(١)</sup>.

(٥) رحمته ﷺ للجذع بوضع يده الشريفة عليه، وسكون الجذع بعد ذلك، كما روى جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: «كَانَ الْمُسْحِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمُنْبَرُ، وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَتَتْ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه الإمام مسلم في (الصحیح) ٣٨١ / ١ (كتاب المساجد) (باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته) حديث رقم ٥٣٧ س.

(٢) رواه البخاري في (الصحیح - مع فتح الباري) ٦٠٢ / ٦ (كتاب المناقب) (باب علامات النبوة في الإسلام) حديث رقم ٣٥٨٥ وللحديث روايات أخرى ذكرها ابن حجر في فتح الباري ومنها: ووقع في رواية عبد الواحد بن أيمن فصاحت النخلة صياح الصبي، وفي حديث أبي الزبير عن جابر عند النسائي في الكبير اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الحُلُوج انتهى والحُلُوج بفتح الحاء المعجمة وضم اللام الخفيفة وآخره جيم الناقة التي =

(٦) تَرَكُهُ ﷺ لبعض العبادات حتى لا تفرض على أمته فتعجز عنها، ومن شواهد ذلك ما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى رِجَالٌ بِصَلَاتِهِ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ، فَتَحَدَّثُوا، فَاجْتَمَعَ أَكْثَرُ مِنْهُمْ، فَصَلُّوا مَعَهُ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ فَتَحَدَّثُوا، فَكَثُرَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَلُّوا بِصَلَاتِهِ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الرَّابِعَةُ عَجَزَ الْمَسْجِدُ عَنْ أَهْلِهِ حَتَّى خَرَجَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَلَمَّا قَضَى الْفَجْرَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَتَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ، لَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفَرِّضَ عَلَيْكُمْ، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا»<sup>(١)</sup>. وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيَدْعُ الْعَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ، فَيُفَرِّضَ عَلَيْهِمْ... الحديث<sup>(٢)</sup>.

=انتزع منها ولدها وفي حديث أنس عند ابن خزيمة، فحنت الخشبة حنين الولد، وفي روايته الأخرى عند الدارمي خار ذلك الجذع كخوار الثور، وفي حديث أبي بن كعب عند أحمد والدارمي وابن ماجه فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق.

(١) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٤٠٣/٢ (كتاب الجمعة) (باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد) حديث رقم ٩٢٤.

(٢) رواه البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ١٠/٣ (أبواب التهجد) (باب تحريض النبي... على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب) حديث رقم ١١٢٨.



(٧) عدم أمره ﷺ أمته بالسواك حتى لا يَشُقَّ عليها، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسَّوَاكِ»<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد أن النبي ﷺ كَانَ رحمة للعالمين، وأن رحمته ﷺ شَمِلَتْ أهله، وأصحابه، وأصدقاءه، وأعداءه، والمُحَارِبِينَ لَهُ، الَّذِينَ صَبَرَ عَلَى أَذْيَتِهِمْ، وَلَمْ يَدْعُ عَلَيْهِمْ بَلْ عَفَا عَنْهُمْ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

\*\*\*

(١) البخاري في (الصحيح - مع فتح الباري) ٢٢٤/١٣ (كتاب التمني) (باب ما يجوز من اللو) حديث رقم ٧٢٤١.

ایض





## الخلاصة

### النتائج:

من أبرز نتائج هذا البحث، ما يلي:

- أن الرَّحْمَةَ في الشريعة الإسلامية لها مكانة سامية، وأنها مُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالإيمان والتقوى.
- أن ارتباط الرَّحْمَةِ بالإيمان والتقوى من أكبر الدوافع لِيَذُلَّهَا، والمحافظة عليها بإخلاص وتَفَانٍ.
- أن الاستهزاء برسول الله ﷺ ظهر مع بداية الدعوة وظلَّ مُسْتَمِرّاً إلى يوم الناس هذا.
- أن الله تعالى حمى نبيه ﷺ من مكاييد أعدائه، والمستهزئين به وبشريعته.
- أن علاقة النبي ﷺ بمُجْتَمَعِهِ كانت علاقة رحيمة، وأن الشواهد على ذلك أكثر من أن تُحْصَى.
- أن رحمته ﷺ لم تكن تُرْتَبَطُ بمواقف مُعَيَّنَةٍ، بل كانت رحمته منهجاً

وخلقًا مُلازمًا له.

- أن رحمته ﷺ شَمِلَتْ الكبار والصغار، الرجال والنساء، المُوافقين له والمُخالفين، المُسلمين وغير المُسلمين.
- وأن رحمته ﷺ شَمِلَتْ الحيوان والجماد.

#### التوصيات:

وأوصي في نهاية هذا البحث بالتوصيات التالية:

- الحثُّ على مُضاعفة الجهود في العناية بالسُّنَّة والسيرة النبوية، جمعًا، وتحقيقًا، وحفظًا، وتفقُّهاً.
- التأكيد على أهميَّة التَّخلُّق بأخلاق الرسول ﷺ في تعاملاتنا كلها، ولاسيَّما في تعاملنا مع غير المُسلمين صدقًا في الكلمة، ووفاء بالعهد، وسماحة عند التعامل، بما يُنبئُ عن تطبيقِ حَسَنِ هُدْيِ النبي ﷺ القائم على الرَّحمة، وحبِّ الخير للبشرية جميعًا.
- حثُّ الذين يُجيدون اللُّغات الأجنبيَّة للمشاركة في المُنتديات الأجنبيَّة بالانترنت، وإرشاد المُتواجدين فيها إلى سيرة الرسول ﷺ وسُنَّتِهِ، وتعريفهم بأخلاقه الكريمة.
- العمل على تقويم، وتصحيح الأخطاء الفكرية، والعملية لبعض



المُسلمين المُتحمِّسين، الذين سَلَكُوا - بِنِيَّةٍ حَسَنَةٍ - مَسَالِكَ خَاطِئَةٍ فِي الدِّفَاعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَنُصْرَتِهِ.

- العَنَايَةُ فِي مَجَالَاتِ التَّعْرِيفِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَنُصْرَتِهِ، بِالأَحَادِيثِ والأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ، والإِعْرَاضِ عَنِ المَرْوِيَّاتِ والأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ، وَمَا لَا أَصْلَ لَهُ.

\*\*\*

## قائمة المراجع

- (١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، النسخة التي حققها / عبد العزيز غنيم وآخرون، ونشرتها دار الشعب - القاهرة بدون تاريخ.
- (٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المتوفى ١٣٧٦هـ، النسخة التي نشرتها جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- (٣) التلخيص، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ للذهبي - مطبوع بذييل المستدرك النسخة التي نشرتها دار الكتاب العربي - بيروت، بدون تاريخ.
- (٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ، النسخة التي نشرتها دار الفكر - بيروت، عام ١٩٨٤م.
- (٥) حكم من استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أو سبه أو تنقصه أو استحل شيئاً مما حرمه، لسماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مطبوع ضمن كتاب (مجموع مقالات وفتاوى متنوعة) للشيخ ابن باز، جمع د/ محمد بن سعد الشويعر، النسخة التي نشرتها مؤسسة الحرمين الخيرية، الطبعة الرابعة عام ١٤٢٣هـ.



- (٦) الروض الأنف للسهيلي عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أصبغ الأندلسي، المالكي، المتوفى ٥٨١هـ، النسخة التي حققها وعلق عليها الشيخ / عبد الرحمن الوكيل، وطبعها دار الكتب الحديثة - القاهرة - بدون تاريخ.
- (٧) سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، المتوفى ٢٧٥هـ - إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس - دار الحديث - حمص - الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ.
- (٨) سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي المتوفى ٢٧٩هـ، تحقيق أحمد محمد شاكر - ومحمد فؤاد عبد الباقي - وإبراهيم عطوة عوض - الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - بمصر.
- (٩) السيرة النبوية لابن هشام، وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى ٢١٨هـ، النسخة المطبوعة مع الروض الأنف للسهيلي وحققها وعلق عليها الشيخ / عبد الرحمن الوكيل، وطبعها دار الكتب الحديثة - القاهرة - بدون تاريخ.
- (١٠) صحيح الإمام البخاري - مع فتح الباري. للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦هـ، النسخة التي نشرتها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - بالمملكة العربية السعودية، وعلق عليها سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقمها محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف على طبعها محب الدين الخطيب - بدون تاريخ.

- (١١) صحيح الإمام مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري المتوفى ٢٦١هـ، نسخة دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى عام ١٩٩٦م.
- (١٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي أبي الطيب، نسخة دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- (١٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني المتوفى ٨٥٢هـ، النسخة التي نشرتها الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - بالمملكة العربية السعودية، وعلق عليها سماحة الشيخ / عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ورقمها محمد فؤاد عبد الباقي، وأشرف على طبعها محب الدين الخطيب - بدون تاريخ.
- (١٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي المتوفى ١٠٩٤هـ، النسخة الالكترونية - مع المكتبة الشاملة - الإصدار الثالث.
- (١٥) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، النسخة التي نشرتها دار صادر - بيروت، بدون تاريخ.
- (١٦) مختصر سنن أبي داود، لأبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المتوفى ٦٥٦هـ، النسخة التي حققها أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، ونشرتها مطبعة أنصار السنة المحمدية - القاهرة - بدون تاريخ.
- (١٧) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ٤٠٥هـ، نسخة دار الكتاب العربي - بيروت.



(١٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، المتوفى ٦٠٦هـ، تحقيق / طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي - نشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ - بدون تاريخ.

### مواقع بالشبكة العالمية (الانترنت):

- (١) موقع جامعة سيدي محمد بن عبد الله:  
<http://www.usmba.ac.ma>
- (٢) موقع منظمة النصر العالمية:  
<http://www.nusrah.org>
- (٣) للاطلاع على مؤتمر رحمة للعالمين انظر موقع:  
[www.nusra.meshkat.net](http://www.nusra.meshkat.net)
- (٤) موقع المركز العالمي للتعريف بالإسلام:  
<http://www.mercyprophet.org>
- (٥) موقع:  
[www.heartsactions.com](http://www.heartsactions.com)
- (٦) موقع:  
<http://www.almwar3i.com>
- (٧) موقع:  
<http://www.q8sneed.com>

\*\*\*

ايض





# معالم الرحمة في علاقة النبي ﷺ بمجتمعه

إعداد

د. جمال بن محمد السيّد عبد الحميد

الباحث بالشؤون العلمية

بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية

ایض



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنَّ الله ﷻ قد قسم لعباده في هذه الحياة الدنيا من رحمته ما حصل لهم به الكثير من المنِّ والنَّعم، واندفع به عنهم الكثير من البلايا والنَّقم، وكان من أعظم تلك النعم - التي لا تُعدُّ ولا تُحصى - نعمة بعثة النبيِّ المجتبيِّ والرسول المصطفى ﷺ، رحمةً للعالمين، وهدايةً للخلق أجمعين، كما قال جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فكانت بعثته ﷺ ورسالته رحمة، وأقواله وأفعاله وسيرته كلها رحمة، والدين الذي جاء به دين الرحمة، والأمة التي بعث فيها أمة مرحومة، فلقد كان ﷺ: «رحمة مهداة» فنعمت الهدية من ربِّ البرية. ولقد أدبه ربه - سبحانه - أحسن الأدب، وحباه من الأخلاق الفاضلة أكملها، ومن السلوك القويم أرفعها، حتى غدا قرآنًا يمشي بين الناس، صلوات ربي وسلامه عليه.

وكان على رأس هذه الأخلاق الفاضلة، والخلال الحميدة التي حباه الله

إياها: خُلِقَ «الرحمة»، فكان خُلُقاً فاضلاً تَخَلَّقَ به، وسلوكاً عَمَلِيّاً تعامل به مع كل من حوله، وقيمةً ساميةً دعا الخلق كلهم إليها، تلك الرحمة التي كانت أساسَ دعوته، ولَبَّ لباب رسالته، ودستور دولته.

رحمةٌ عَمَّتْ جميع الخلق دون تفرقة على أساس من جنسٍ أو لونٍ أو عِرْقٍ، ورحمةٌ تخطت حدود المكان فوصلت أنوارها إلى أقاصي الدنيا، ورحمةٌ لم تتقيد بزمنٍ فبقيت آثارها حتى يومنا هذا، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. نعم إنها رحمة للبشرية كلها!!

حمل الموفقون من أتباع محمد ﷺ من بعده لواءها مرَّ الدهور وتقادم العصور، فانفتحت لهم قلوب العباد قبل أن يفتحوا البلاد، فعمَّ نورها، وسعد كثير من الخلق بالعيش في كنفها، ووجدوا الأمن والأمان في ظلها، حتى شهد المنصفون من غير المسلمين بفضلها، ووقفوا بإعجاب وانبهار أمام عظمتها.

ومع مرور الأزمنة والأيام، وفي ظل الوَهْنِ الذي أصاب أمة الإسلام، وما تبع ذلك من تداعي الأمم عليها تداعي الأكلة على قصعتها؛ كما أخبر بذلك سيد الأنام، اجتراً قومٌ من أعداء الملة والدين، من الحاقدين المتربصين، على مقام النبوة، فطعنوا في شخصه وأخلاقه، قاصدين النيل من أخص خصائصه ﷺ، وهي صفة «الرحمة»؛ ليصلوا من وراء ذلك إلى الطعن في دعائم هذا الدين،



ووصمه بالتطرف والعنف والقسوة والإرهاب، إلى غير ذلك من التُّهم التي ألصقوها بالإسلام ونبيِّ الإسلام كذباً وزوراً. الأمر الذي استنهض همم الغيورين من أبناء الأمة الإسلامية، فهبوا للدفاع عن نبيِّهم، وردَّ هذا البهتان والكيد إلى نحور عدوهم.

ولا شك أنها جهود مباركة مخلصة، لكن الردَّ على هذه الهجمة الحاقدة، والتصدي لهذه الحملة الماكرة المغرضة، لا تنفع معه الاندفاعات الحماسية، ولا تصلح لمواجهته العواطفُ الآنية، وإنما يحتاج ذلك إلى جهود منظمة، تتبناها جهاتٌ علميةٌ مؤهلةٌ، تُبنى هذه الجهود على تأصيل شرعي متين، وأساليب منطقية مقنعة، حتى تؤتي هذه الجهود ثمارها.

ويأتي ضمن هذه الجهود العلمية المؤصلة - إن شاء الله - هذا المؤتمر المبارك، الذي نظمته ودعت إليه «الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية وعلومها» بالملكة العربية السعودية، والذي تلقينا دعوة كريمة من القائمين عليه للمشاركة ببحث في أحد محاوره، فشكر الله للقائمين على هذا المؤتمر، والمنظمين له، وبارك في جهودهم، وجعل ذلك في موازين حسناتهم، آمين.

ويسرني أن أشارك في أعمال هذا المؤتمر ببحث عنوانه: «معالم الرحمة في علاقة النبي ﷺ بمجتمعه»، وذلك ضمن موضوعات المحور الأول الخاص

بمعالم الرحمة في شخص النبي ﷺ وسيرته.

وقد جعلت موضوع هذا البحث مشتملاً - بعد المقدمة - على تمهيد

وفصلين، تحت كل فصل مباحث، وذلك على النحو الآتي:

- تمهيد: في تعريف «الرحمة» لغة واصطلاحاً.
- الفصل الأول: الرحمة بين ربانية المصدر وعظمة الرسالة المحمدية، وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: بيان ربانية صفة الرحمة.
- المبحث الثاني: الرحمة أساس الرسالة المحمدية، وخلق عظيم من أخلاق صاحبها، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: كمال أخلاقه ﷺ قبل البعثة وبعدها.
- المطلب الثاني: الرحمة أخص خصائصه وأبرز صفاته وأخلاقه ﷺ.

- المطلب الثالث: دعوته ﷺ أمته إلى التخلق بصفة الرحمة.
- المبحث الثالث: بيان أن بعثته ﷺ رحمة للعالمين، وأن أمته أمة مرحومة، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: بيان أن بعثته ﷺ رحمة للعالمين.



- المطلب الثاني: بيان أن أمة أمة مرحومة.
- المبحث الرابع: خصائص رحمته ﷺ وسماها.
- الفصل الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمجتمع، وفيه ثمانية مباحث:
- المبحث الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأمة على وجه الإجمال.
- المبحث الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأصحابه وإخوانه.
- المبحث الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأهل بيته وأقاربه وأرحامه، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بنسائه وزوجاته.
- المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأولاده وأسباطه.
- المطلب الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ ببقية أقاربه وأرحامه.
- المبحث الرابع: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بضعفة المجتمع، وفيه ستة مطالب:
- المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالنساء.

- المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالصغار والأطفال.
- المطلب الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالبنات.
- المطلب الرابع: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالأيتام والأرامل والمساكين.
- المطلب الخامس: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالخدم والرقيق والمملوكين.
- المطلب السادس: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالفقراء والمحتاجين.
- المبحث الخامس: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمسنين والمرضى والميتين، وفيه أربعة مطالب:
  - المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمسنين.
  - المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمرضى.
  - المطلب الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمعاقين.
  - المطلب الرابع: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بموتى المسلمين وشهادتهم.
- المبحث السادس: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالجاهلين والعصاة والمذنبين، وفيه مطلبان:



- المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالجاهلين.
- المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالعصاة والمذنبين.
- المبحث السابع: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمسافرين والغرباء،  
وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمسافرين.
- المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالغرباء.
- المبحث الثامن: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالأعداء والمخالفين،  
وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمنافقين.
- المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالكافرين.
- المطلب الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمعاهدين  
والمستأمنين.
- الخاتمة: وفيها خلاصة البحث وبعض التوصيات.
- الفهارس.

\*\*\*

## تهديد

### في تعريف الرحمة لغةً واصطلاحاً

#### أ- تعريف الرحمة لغة:

تدور كلمة الرحمة في اللغة حول معاني: الرَّقَّة، والرَّأْفَةُ، والعَطْف.  
يقال: رَحِمَهُ، يَرْحُمُهُ، رَحْمَةً، وَمَرْحَمَةً، وَرُحْمًا، وَرُحْمًا: إِذَا رَقَّ لَهُ، وَتَعَطَّفَ عليه، فهو مَرْحُومٌ، وَمُرَحَّمٌ، شُدَّ لِلْمَبَالِغَةِ.  
والفاعل: رَاحِمٌ، وفي المبالغة: رَحِيمٌ، وَرَحُومٌ، وهو الكثير الرحمة، والثاني منهما للمذكر والمؤنث. وَرَحِمَ عليه تَرْحِيمًا، وَتَرَحَّمَ عليه تَرْحُّمًا: رَحِمَهُ، أَوْ: دَعَا لَهُ بِالرَّحْمَةِ، فَقَالَ: رَحِمَهُ اللهُ.  
وَاسْتَرْحَمَهُ: سَأَلَهُ الرَّحْمَةَ.

وَالرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: اسْمَانِ مُشْتَقَانِ مِنَ الرَّحْمَةِ عَلَى وَجْهِ الْمَبَالِغَةِ، وَالرَّحْمَنُ أَشَدُّ مَبَالِغَةً، أَيِ: الْكَثِيرِ الرَّحْمَةِ، إِلَّا أَنَّ الرَّحْمَنَ مُحْتَصٌ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَجُوزُ أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: حول تعريف الرحمة لغة: معجم مقاييس اللغة ٢/ ٤٩٨ (رحم)، مجمل اللغة ٤٢٤ (رحم)، أساس البلاغة ص ١٥٨ (رحم)، مختار الصحاح ١/ ٢٣٨ (رحم)، لسان=

## ب - تعريف الرحمة اصطلاحاً:

يرتبط المعنى الاصطلاحي للرحمة بالمعنى اللغوي ارتباطاً وثيقاً، ومما ورد من التعريفات لمصطلح الرحمة:

- ١- قال الراغب الأصبهاني: «الرحمة: رِقَّةٌ تقتضي الإحسانَ إلى المرحوم»<sup>(١)</sup>.
- ٢- وقال القرطبي: «الرحمة: رِقَّةٌ وَحْنٌ يجده الإنسانُ في نفسه عند رؤية مبتلىٍّ أو صغيرٍ أو ضعيفٍ يحمله على الإحسان له، واللفظُ والرفقُ به، والسعي في كشف ما به»<sup>(٢)</sup>.

٣- وقال الجرجاني: «هي إرادة إيصال الخير»<sup>(٣)</sup>.

- ٤- ولعل من التعريفات الجامعة في هذا الباب: أنَّ الرحمة هي: «رِقَّةٌ في الطبع، تُثْمِرُ الرِّفْقَ والرَّأْفَةَ وَلينَ الجانب، وهي خلقٌ رفيعٌ يجرُّك عاطفةَ الإنسان بالخير والبر»<sup>(٤)</sup>.

=العرب ٢/ ١٦١١ (رحم)، المصباح المنير ١/ ٢٢٣ (رحم)، القاموس المحيط ١٤٣٦، المعجم الوسيط ١/ ٣٣٥ (رحم).

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ١٩٦ (رحم).

(٢) انظر: فيض القدير ٦/ ٤٢٢.

(٣) التعريفات: ١٤٦.

(٤) خطب مختارة - وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، بالمملكة العربية السعودية -: ٢٢٢.

ويمكن أن نخلص من مجموع هذه التعريفات إلى أن الرحمة: خلق محمود يقوم على رقة في القلب، تورث رفقا ولينا وحنواً وعطفاً، يقتضي ذلك كله الإحسان إلى المرحوم، والرغبة في إيصال الخير إليه؛ ولذلك فإن القلب القاسي، الخالي من الرقة والعطف والرأفة، قلبٌ منزوع الرحمة، شقيٌّ صاحبه، كما قال ﷺ: «لا تُنزع الرحمة إلا من شقيٍّ»<sup>(١)</sup>.

قال الطيبي معلقاً على هذا الحديث: «لأن الرحمة في الخلق رقة القلب، وورقته علامة الإيمان، ومن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقيٌّ، فمن لا يُرزق الرقة شقيٌّ»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

- (١) أخرجه أبو داود، في الأدب، برقم: ٤٩٤٢، والترمذي، في البر والصلة، برقم: ١٩٢٣، وقال: «حديث حسن»، وصححه الحاكم في المستدرک ٤/ ٢٤٨-٢٤٩، بلفظ: «ما نزع الرحمة...»، ووافقه الذهبي، وحسنه السيوطي في الجامع الصغير ٩٨٧٠ (مع فيض القدير)، ووافقه الألباني في صحيح الجامع: ٧٤٦٧، وأخرجه غير هؤلاء، عن أبي هريرة.
- (٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦/ ٤٢٢.



## الفصل الأول

### الرحمةُ بين ربّانيةِ المَصدَرِ وعظمةِ الرّسالةِ المحمديةِ

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: بيان ربّانية صفة الرحمة.
- المبحث الثاني: الرحمةُ أساسُ الرّسالةِ المحمديةِ وخلق عظيم من أخلاق صاحبها.
- المبحث الثالث: بيان أن بعثته ﷺ رحمةٌ للعالمين، وأن أمته مرحومة.
- المبحث الرابع: خصائص رحمته ﷺ وسماتها.

## ابیض



## المبحث الأول

### بيان ربانية صفة الرحمة

إن الرحمة من صفات الله ﷻ. ومن أعظم أسمائه الحسنى الدالة على رحمته: الرحمن الرحيم؛ فهما اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، أي: ذو الرحمة التي لا نظيرَ له فيها<sup>(١)</sup>.

وقد ورد ذكر هذين الاسمين العظيمين في كتاب الله مجتمعين ومنفردين في مواطن كثيرة، من ذلك: قوله ﷻ في فاتحة الكتاب: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ١]، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: ١-٢]، وقوله جل وعلا: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

و«الرحمن» أشد مبالغة من «الرحيم»؛ لأن الرحمن: ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم: ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، كما ذهب إلى ذلك أكثر العلماء<sup>(٢)</sup>.

واسمه سبحانه «الرحمن» خاصٌّ به، لا يُسمَّى به غيره، ولهذا فإنه سبحانه

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ١٢٤.

(٢) أضواء البيان ١/ ٤٨، وانظر: المرحومون في السنة النبوية: ٢٧-٣٠.

في التسمية بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن؛ لأنه أخص وأعرف من الرحيم؛  
فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص<sup>(١)</sup>.

ومع أن رحمته سبحانه التي أنزلها بين عباده في الدنيا هي رحمة واحدة من  
مئة رحمة<sup>(٢)</sup>، إلا أنها وسعت الخلق أجمعين: في أرزاقهم، وأسباب معاشهم، وجميع  
مصالحهم، وعمت المؤمن والكافر، والصالح والطالح، قال أيوب السخيتاني،  
رحمه الله: «إنَّ رحمةً واحدةً قسمها الله تعالى في دار الدنيا وأصابني منها الإسلام، إني  
لأرجو من تسع وتسعين رحمة ما هو أكثر من ذلك»<sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام النووي رحمه الله عند كلامه على أحاديث الرحمة من صحيح  
مسلم: «هذه الأحاديث من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين، قال العلماء:  
لأنه إذا حصل للإنسان من رحمة واحدة في هذه الدار المبنية على الأكدار:  
الإسلام والقرآن والصلاة والرحمة في قلبه، وغير ذلك مما أنعم الله - تعالى - به،

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٢٦.

(٢) كما في الحديث الذي صح عنه ﷺ أنه قال: «جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعةً  
وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تراحم الخلائق». أخرجه مسلم  
٢١٠٨/٤ برقم: ٢٧٥٢، ك: التوبة.

(٣) مجالس في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾  
ص: ١٤٩.



فكيف الظنُّ بمئة رحمةٍ في الدار الآخرة، وهي دار القرار ودار الجزاء»<sup>(١)</sup>.

وإن من آثار هذه الرحمة الربانية والرأفة الإلهية: تلك النعم العظيمة التي لا تُعدُّ ولا تحصى، والتي من أعظمها نعمة إرسال الرسل لهداية الخلق إلى طريق الحق، والذين من أعظمهم وأرحمهم وأرأفهم: خاتمهم وقدوتهم رسولنا محمد ﷺ، الذي ختم الله برسالته جميع الرسالات، وجعل الكتاب المنزل عليه آخر الكتب المنزلة من السماء إلى الأرض، مصدقاً لما سبقه من الكتب ومهيماً عليها، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وإن من آثار هذه الرحمة الإلهية أيضاً: ما يُشاهد من عظيم إحسان الله تعالى إلى خلقه، وجوده وكرمه عليهم، وما آتاهم من خيرات الدنيا والآخرة<sup>(٢)</sup>. ومن دلائل هذه الرحمة أيضاً: رفعه سبحانه الحرج والمشقة عن عباده ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وجعله التيسير هو المراد من التكاليف الشرعية، لا المشقة والعنت ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١) شرح صحيح مسلم ١٧/٦٨-٦٩.

(٢) انظر: شرح أسماء الله الحسنى: ١٥٠-١٥١.

إلى غير ذلك من دلائل رحمته وآثار رأفته سبحانه.

فعلى العبد المسلم أن يكون على يقين من سعة رحمة الله تعالى، وليعلم أنه سبحانه أرحمُ بعباده من كل شيء، كما قال ﷺ: «للهُ أرحمُ بعباده من هذه المرأة بولدها»<sup>(١)</sup>، وأنَّ ما وُفِّقَ إليه العبد من عمل الخير فإنه برحمة الله وتوفيقه له، وأنَّ أحداً من الخلق لن يدخل الجنة بعمله، وإنما برحمة أرحم الراحمين، وأن رحمته سبحانه قريبةٌ من عباده المتقين وأوليائه المحسنين ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وأن على المسلمين أن يتخلقوا بهذا الخلق العظيم فيما بينهم، فيرحم بعضهم بعضاً، كما حثهم على ذلك نبيهم ﷺ وأوصاهم به.

\*\*\*

(١) قال ذلك ﷺ «حينما رأى امرأة من السَّبي تبحث عن رضيعها، فلما وجدته ألصقته بصدرها، وأخذت ترضعه». أخرجه البخاري ٤٢٦/١٠، برقم: ٥٩٩٩، ك: الأدب، ومسلم ٢١٠٩/٤، برقم: ٢٧٥٤، ك: التوبة.



## المبحث الثاني

### الرحمةُ أساسُ الرسالة المحمدية وخلق عظيم من أخلاق صاحبها

لا يخفى ما لمكارم الأخلاق ومحاسنها من مكانة رفيعة في شريعة الإسلام، وأنها ركيزة مهمة، وركنٌ قويٌّ من أركان بعثة النبي محمد ﷺ، يؤكد ذلك قوله ﷺ: «إنما بُعثت لأتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق»، وفي رواية: «صالحَ الأخلاق»<sup>(١)</sup>. وفي هذا المبحث نشير إلى كمال أخلاقه ﷺ، وأنَّ الرحمةَ أخصُّ خصائصه وأعظمُ أخلاقه، وذلك من خلالِ المطالب الآتية:

#### المطلب الأول: كمال أخلاقه ﷺ قبل البعثة وبعدها.

لقد حبا الله نبيَّه محمداً ﷺ قبل بعثته من كريم الأخلاق وحميد الخصال ما شهد له به أعداؤه قبل أصدقائه، حتى عُرِفَ في شبابه بين قومه بـ «الصادق الأمين»، فلقد كان ﷺ كما وصفته خديجة أم المؤمنين ﷺ: «يَصِلُ الرَّحِمَ،

---

(١) أخرجه أحمد ٥١٢/١٤ برقم: ٨٩٥٢، والبخاري في الأدب المفرد برقم: ٢٧٤، والحاكم ٦١٣/٢، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٤٥، ونقل عن ابن عبد البر قوله: «حديث صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره».

وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيُقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ»<sup>(١)</sup>.  
ولما بعثه ربُّه برسالته إلى الثَّقَلَيْنِ بالهدى ودين الحق، أتمَّ عليه نعمته، فجمع  
له من كمال الأخلاق ومحاسن الشِّيم ما بلغ به الكمال البشري، فكان كما وصفه  
ربه ﷻ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وكما وصفته عائشة  
أم المؤمنين رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه بقولها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن كثير، رحمه الله: «ومعنى هذا أنه ﷺ صار امتثال القرآن  
- أمراً ونهياً - سَجِيَّةً له، وخلقاً تطبَّعه، وتركَ طبعه الجبلي... هذا مع ما جبَّله الله  
عليه من الخلق العظيم»<sup>(٣)</sup>.

أجل، إن عظمة الرسالة الخاتمة تقتضي أن يصطفي الله لها أعظم خلقه،  
وأكملهم خلقاً، وأرفعهم قدراً، وأسماهم روحاً، حتى يكون أهلاً للاصطفاء  
الربَّاني لحمل رسالة الهداية والنور للبشرية جمعاء، فكان هذا المصطفى والمجتبى  
محمدًا ﷺ، وكانت هذه الأخلاق العظيمة التي منحها الله إياها وجبَّله عليها

(١) أخرجه البخاري ٢٣/١، برقم: ٣، ك: بدء الوحي، ضمن حديث بدء الوحي الطويل.

(٢) أخرجه مسلم ٥١٢/١، برقم: ٧٤٦، ك: صلاة المسافرين، ضمن حديث طويل في صفة  
صلاته ﷺ بالليل.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٨/١٨٩.

أهمّ عوامل نجاحه في دعوته ونشر رسالة الإسلام الخالدة.

\*\*\*

**المطلب الثاني: بيان أن الرحمة أخصُّ خصائصه وأبرز صفاته وأخلاقه ﷺ.**

لقد كان على رأس الأخلاق الفاضلة، والخلال الحسنين ﷺ: الرحمة والشفقة، فطرةً وجبلةً، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال أبو بكر بن طاهر: «زَيَّنَ اللهُ تعالى محمداً ﷺ بزينة الرحمة؛ فكان كونه رحمة، وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق»<sup>(١)</sup>.

وقال الطاهر بن عاشور: «أُرْسِلَ محمد ﷺ مفطوراً على الرحمة، فكان لينه رحمة من الله بالأمة في تنفيذ شريعته بدون تساهل، وبرفق وإعانة على تحصيلها؛ ولذلك جعل لينه مصاحباً لرحمة من الله أودعها الله فيه»<sup>(٢)</sup>.

ولما كانت صفة الرحمة في النبي ﷺ فطرةً وجبلةً أودعها الله في قلبه؛ فقد

(١) الشفا ١/ ١٥.

(٢) التحرير والتنوير ٤/ ١٤٥. وانظر: الرحمة والعظمة في السيرة النبوية: ٤٣ - ٤٤.

غدت هذه الصفة أحب الصفات إليه ﷺ، وأخص خصائصه على الإطلاق، تلك الخصيصة التي ساد بها العالم وقاده<sup>(١)</sup>، كما دلّت على ذلك نصوص الكتاب والسنة التي سيأتي ذكر طرف منها في ثنايا هذا البحث.

\*\*\*

**المطلب الثالث: دعوته ﷺ أمته إلى التخلق بصفة الرحمة.**  
لم يقتصر الأمر على تخلّق النبي ﷺ بخلق الرحمة، بحيث صارت سمةً مميزةً لتصرفاته وأفعاله وأقواله فحسب، بل تعدّى ذلك إلى وصيّته الدائمة للأمة بالرحمة والتراحم فيما بينهم في كل مناسبة.

قال الحافظ ابن ناصر الدين: «وهذا الرسول... الذي أرسله الله للعالمين رحمةً، وأنّم به على المؤمنين النعمة، وجعله نبيّ الرحمة والمراحم، هو الذي أمر أمته المرحومة بالتعاطف والتراحم في أحاديث مسندة مرضية...»<sup>(٢)</sup>.

ومن هذه الأحاديث المسندة التي دعا فيها نبينا ﷺ إلى الرحمة والتراحم: قوله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: الرسالة الخالدة: ٣٧، نبي الرحمة: ٦.

(٢) مجالس في تفسير قوله تعالى: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ» ص: ٣٩١.

(٣) أخرجه أبو داود برقم: ٤٩٤١، ك: الأدب، والترمذي، برقم: ١٩٢٣، ك: البر والصلة، =



وقوله ﷺ: «من لا يَرْحَمْ النَّاسَ لا يَرْحَمْهُ اللهُ»<sup>(١)</sup>، وقوله ﷺ: «لا تُنَزَّعُ الرحمةُ إلا من شَقِيٍّ»<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: «إنما يَرْحَمُ اللهُ من عباده الرُّحَمَاءَ»<sup>(٣)</sup>. إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب.

فهكذا كان خلق الرحمة فطرةً فُطرَ ﷺ عليها، وسُلوَكاً سار به بين الخلق، وقيمةً ساميةً سامقةً دعا الناس إلى التحلِّي بها، وغرسها فيهم، ودلَّهم على الطريق الموصلة إليها<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

=والحاكم ١٥٩/٤، قال الترمذي: «حديث حسن»، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو الحديث المسلسل بالأولية المشهور عن عبد الله بن عمرو وجماعة من الصحابة، وقد استقصى الكلام عليه الحافظ ابن ناصر الدين في مجالسه في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

(١) أخرجه البخاري ٣٥٨/١٣، برقم: ٧٣٧٦، ك: التوحيد، ومسلم ١٨٠٩/٤، برقم: ٢٣١٩، ك: الفضائل، واللفظ لمسلم.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري برقم: ١٢٨٤، ومسلم برقم: ٩٢٣، كلاهما في الجنائز، ضمن حديث طويل فيه قصة.

(٤) وينظر حول ما ورد من شهادات علماء الغرب المُنْصِفِينَ للنبي ﷺ بالرحمة والرأفة: نبي الرحمة ﷺ ص: ٣٤-٥٢.

### المبحث الثالث

#### بيان أن بعثته ﷺ رحمة للعالمين، وأن أمته مرحومة

المطلب الأول: بيان أن بعثته ﷺ رحمة للعالمين.

لقد كانت بعثة النبي ﷺ ورسالته ودعوته رحمة للعالمين، إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، قال الله، ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال الحافظ ابن كثير، ﷻ: «يُخْبِر - تعالى - أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سَعِدَ في الدنيا والآخرة، ومن رَدَّهَا وَجَحَدَهَا، خَسِرَ في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

وقد أكد النبي ﷺ هذه الحقيقة وأعلنها بقوله: «يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة»<sup>(٢)</sup>، وقوله: «... إنما بعثني رحمة للعالمين»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٨٥ / ٥، وانظر نحوه من كلام السعدي في تفسير الكريم الرحمن ١٠٨٧ / ٥.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٥ / ١، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٤٩٠.

(٣) جزء من حديث طويل أخرجه أبو داود برقم: ٤٦٥٩، ك: السنة، وصححه الألباني في=





قال الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي عند الحديث على أقسام النعم التي أنعم الله بها على عباده، وأنَّ قِسماً منها أعيانٌ: «فمن الأعيان - وهو أجلُّها -: رسولُ الله ﷺ الذي منَّ اللهُ ببعثته على المؤمنين، بل أنعم به على جميع المخلوقين، قال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾»<sup>(١)</sup>.

نعم، لقد كان هذا الرسول الكريم ﷺ رحمةً مهداةً للناس جميعاً في كلِّ زمان ومكان، بما أوحاه الله ﷻ إليه من منهج ربَّاني، يكفل السعادة والاستقرار للبشرية كلها في حياتها المادية والروحية، فما أحوج البشرية اليوم إلى هذه الرحمة المهداة تمسكاً بتعاليمه، واهتداءً بهديه، واقتفاءً لأثره، وسيراً على منهاجه، وإحياء لسنته؛ لينتشلها مما تعانیه من قلق وحيرة وضياح<sup>(٢)</sup>، بل ما أحوج البهائم العجماوات إلى هذه الرحمة، وقد ألهمت أنه ﷺ رحمةً مهداةً، وأنه نبيُّ الرحمة، يوم أن اشتكت إليه ظلمَ أربابها وتجويعهم لها<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

=السلسلة الصحيحة برقم: ١٧٥٨، وصحيح الجامع الصغير برقم: ٢٧٢٨.

(١) مجالس في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ ص: ٣٢٤.

(٢) وانظر: شخصية الرسول ﷺ: ص ١٣٩-١٤٠.

(٣) انظر: وميض من الحرم، المجموعة الثانية: ص ٧٦-٩٧.

## المطلب الثاني: بيان أن أمته أمة مرحومة.

وكما كان مبعثه ﷺ رحمةً للعالمين جميعاً، وكان هو أرحمَ الخلقِ على الإطلاق، فإنَّ أمَّته أيضاً كانت أمةً مرحومةً، كما قال ﷺ: «أمتي أمةٌ مرحومةٌ، ليسَ عليها عَذَابٌ في الآخرة، عذابُها في الدنيا: الفِتْنُ، والزَّلَازِلُ، والقتلُ»<sup>(١)</sup>.

فكان ذلك من تمامِ نعمِ الله على هذه الأمة، وكمالِ مِنِّتهِ عليها، قال الحافظ ابن ناصر الدين في أثناء كلامه على تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]: «وقد حصل للمؤمنين المشار إليهم في هذه الآية بالمنة والنعمة الثناء العظيم من الله الكريم... بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾... الآية [الفتح: ٢٩]. ووصفت هذه الأمة بأنها مرحومة...»<sup>(٢)</sup>.

وقوله ﷺ: «لا عذابَ عليها في الآخرة»، قال الحافظ ابن حجر: «وهو

(١) أخرجه أبو داود برقم: ٤٢٧٨، ك: الفتن، وأحمد في المسند ٣٢/٤٢٧، ٤٥٣، برقم: ١٩٦٥٨، ١٩٦٧٨، والحاكم في المستدرک ٤/٤٤٤، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسن الحافظ ابن حجر إسناده. (بذل الماعون: ص ٢١٣). وصححه الشيخ الألباني. (السلسلة الصحيحة برقم: ٩٥٩).

(٢) مجالسه ص: ٤٥٦.



محمولٌ على معظم الأمة المحمدية؛ لثبوت أحاديث الشفاعة أنَّ قومًا يُعذَّبون ثم يخرجون من النار، ويدخلون الجنة<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

---

(١) بذل الماعون ص: ٢١٤.

## المبحث الرابع

### خصائص رحمته ﷺ وسماتها

إن المُتَّبِعَ لسيرة النبي ﷺ ومواقفه في باب الرحمة والرأفة، وأقواله ووصاياه لأُمَّته وأتباعه في ذلك، يستطيع أن يستخلص أهمَّ السمات والخصائص التي تُميِّز رحمة النبي ﷺ، فمن ذلك:

١- أنها رحمة ربَّانيَّة: فقد سبق بيان ربَّانية صفة الرحمة، وأن النبيَّ محمداً ﷺ قد تخلَّق بهذه الصفة الربَّانية، حتى زكَّاه ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. قال بعضهم: «من فضله ﷺ أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسماؤه»<sup>(١)</sup>.

٢- أنها رحمة عامَّة: وقد سبق أيضاً بيان أن بعثته رحمة للعالمين: إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، عربهم وعجمهم، ذكرهم وأنثاهم، حتى تتجاوز الرحمة إلى الحيوان الأعجم، فلا عجب أن تكتسب رحمته ﷺ عُمومها وعالميتها من عموم رسالته وعالميتها، وهذه الرحمة العامة هي التي عنها النبي ﷺ حين قال: «ليس برحمة أحدكم صاحبه، يرحمُ الناسَ كافَّةً»<sup>(٢)</sup>، إجابةً عن قول أصحابه

(١) الشفا ١ / ٨١، وانظر: نبي الرحمة: ص ٥٥-٥٦.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٧ / ٢٥٠، برقم: ٤٢٥٨، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة =



ﷺ: كُلُّنَا يَرْحَمُ.

٣- أنها رحمة أخلاقية: سبق أن بينا أن الرحمة كانت خلقاً سامياً فُطِرَ عليه النبي ﷺ، وكان هذا الخلق الرفيع جزءاً من شخصيته أدبه به ربُّه سبحانه، وأثنى عليه به، وكذا كلُّ من رآه وخالطه، فلم تكن الرحمة في شخصيته ﷺ متكلفةً مصطنعةً، أو لأجل مآرب دنيوية، أو أمجادٍ شخصيةٍ، وكذا كانت أخلاقه كلها ﷺ.

٤- أنها رحمة شاملة لجميع فئات المجتمع: وكما كانت رحمته ﷺ عامةً للعالمين جميعاً، فإنها كانت شاملةً لكل طبقات المجتمع وفئاته، فهي رحمةٌ للكبير والصغير، والذكر والأنثى، والغني والفقير، والعدو والصديق، والحر والعبد، والمسلم والكافر، والحي والميت.

٥- أنها رحمة عملية فعلية: فلم تكن الرحمة النبوية مجرد أقوالٍ تُردَّدُ، أو وصايا تُلقَّن، بل كانت - كسائر أخلاقه ﷺ - واقعاً عملياً يُمارس، وخلقاً حميداً يطبَّق، إلى جانب كونها مبادئ في النفوس تُغرس، وإن مواقف النبي ﷺ المدونة في سيرته العطرة لتؤكد هذه الحقيقة وتؤيدها كما سيأتي ذكر نماذج حيّة لذلك في ثنايا بحثنا هذا<sup>(١)</sup>.

=الصحيحة برقم: ١٦٧.

(١) وانظر: نبي الرحمة ص: ٦٤.

٦- أنها رحمةُ القيمِ الساميةِ والمبادئِ العادلةِ: قامت رحمة النبي ﷺ على مراعاة القيم الأخلاقية الرفيعة، والمبادئ الإنسانية العادلة؛ فهي رحمةٌ تراعي الضَّعْفَةَ من النساء والأطفال والأيتام، فتوصي بهم الرجال والكبار والأولياء، وهي رحمة تراعي العمال والموالي والخدم، فتحفظ حقوقهم عند أربابهم، وتوصيهم بالإحسان إليهم وعدم ظلمهم، وهي رحمةٌ تقوم على مراعاة حقِّ الكبار والآباء، فتوصي الصغار والأبناء باحترامهم وتوقيرهم وتقديرهم، وهي رحمة تقوم على الوفاء وحفظ العهد وعدم الغدر، فتوصي المسلمين بالمُعَاهِدِينَ والمستأمنين خيراً، وتحفظ لهم أَمْنَهُم وحقوقهم، وتصون لهم دماءهم وأعراضهم، وهي أيضاً رحمةٌ للأعداء أثناء الحرب معهم؛ فلا غَدْرَ ولا تمثيلَ ولا تنكيلَ، ولا قتلَ لامرأةٍ ولا لشيخٍ أو صغيرٍ، إنها رحمةٌ عادلةٌ في غير ذلَّةٍ، ساميةٌ راقيةٌ في قوةٍ وعِزَّةٍ، إنها رحمةٌ صاحبِ الخلقِ الرفيعِ العظيمِ محمد ﷺ.

وسوف تتضح من خلال المباحث الآتية - إن شاء الله - بصورة جلية، وبأمثلة عملية هذه السمات، وتلك الخصائص لرحمته ﷺ، من خلال أقواله ومواقفه وسيرته ﷺ.

\*\*\*



## الفصل الثاني

### معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمجتمع

وفيه ثمانية مباحث:

- المبحث الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأئمة على وجه الإجمال.
- المبحث الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأصحابه وإخوانه.
- المبحث الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأهل بيته وأقاربه وأرحامه.
- المبحث الرابع: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بضعفة المجتمع من النساء والبنات والأطفال والأيتام والخدم والفقراء وغيرهم.
- المبحث الخامس: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمرضى والميتين والمسنين.
- المبحث السادس: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالجاهلين والعصاة والمذنبين.
- المبحث السابع: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمسافرين والغرباء.
- المبحث الثامن: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالأعداء والمخالفين.

## ابيض





## المبحث الأول

### معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأُمته على وجه الإجمال

والمقصود هنا بيان رحمته بأتباعه الذين آمنوا به، واستجابوا له واتبعوه؛ فقد كان ﷺ في غاية الشفقة والرحمة بأُمته، والحرص على جلب الخير لهم، ودفع الشر عنهم، كما قال الله ﷻ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكما قال جل وعلا: ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ [التوبة: ٦١].

ومن أهم معالم هذه الرحمة بأُمته ﷺ إجمالاً.

#### ١- دعاؤه ﷺ لأُمته، وبكاؤه شفقةً عليها.

فعن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّي أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾... الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى، عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فرفع يديه وقال: «اللهم! أُمّتي أُمّتي» وبكى... فقال الله: يا جبريل! اذهب إلى محمدٍ فقل: إِنَّا سَرَضْنَاكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ»<sup>(١)</sup>.

قال الإمام النووي رحمته الله: «هذا الحديث مشتملٌ على أنواعٍ من الفوائد،

(١) أخرجه مسلم ١/١٩١، برقم: ٢٠٢، ك: الإيمان.

منها: بيان كمال شفقة النبي ﷺ على أمته، واعتناؤه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم...»<sup>(١)</sup>.

ولما كَسَفَت الشمسُ على عهده ﷺ قام يصلي ويدعو ربّه ويكي، ويقول: «ربّ! ألم تعدني ألا تعذبهم وأنا فيهم، ألم تعدني ألا تعذبهم وهم يستغفرون؟»<sup>(٢)</sup>.

## ٢- اختبأوه دعوتَه المستجابة شفاعَةً لأُمته يوم القيامة.

فقد قال رسول الله ﷺ: «لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعَجَّلْ كُلُّ نبيٍّ دعوتَه، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعَةً لأُمّتي يومَ القيامةِ، فهي نائلةٌ -إن شاء الله- من ماتَ من أُمّتي لا يشركُ بالله شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن بطال: «في هذا الحديث بيان فضل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء؛ حيث أثر أُمّته على نفسه وأهل بيته بدعوتِه المجابة، ولم يجعلها أيضاً دعاءً عليهم

(١) شرح صحيح مسلم ٨٠ / ٢. وانظر: تفسير القرآن العظيم ٢٣٤ / ٣ - ٢٣٥ عند تفسير الآية (١١٨) من سورة المائدة.

(٢) أخرجه أبو داود ٧٠٤ / ١، برقم: ١١٩٤ - واللفظ له -، والنسائي ١٣٧ / ٣ - ١٣٨، كلاهما في الصلاة. وصححه الشيخ الألباني. (صحيح سنن أبي داود برقم: ١٠٥٥).

(٣) أخرجه البخاري ٩٦ / ١١ برقم: ٦٣٠٤، ك: الدعوات، ومسلم - واللفظ له - ١٨٩ / ١، برقم: ١٩٩، ك: الإيمان.



بالهلاك كما وقع لغيره مما تقدّم»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الجوزي: «هذا... من كثرة كرمه؛ لأنه أثر أُمته على نفسه، ومن

صحة نظره؛ لأنه جعلها للمُذنبين من أُمته لكونهم أحوجَ إليها من الطائعين»<sup>(٢)</sup>.

٣- سؤاله ﷺ ربه ألا يهلك أُمته بقحط عامٍّ، وألاَّ يسلِّطَ عليها عدوًّا من

غيرها.

ففي «صحيح مسلم»<sup>(٣)</sup> قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ... وَإِنِّي سَأَلْتُ

رَبِّي لِأُمْتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ،

فَيَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ»<sup>(٤)</sup>.

وإن ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُردُّ، وإني أعطيتُكَ

لأمتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بَسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ

يَسْتَبِيحُ بِيضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ

بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

(١) فتح الباري ١١ / ٩٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ٤ / ٢٢١٥، برقم: ٢٨٨٩، ك: الفتن وأشراف الساعة.

(٤) أي: جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضاً: العزُّ والمُلْك. (شرح النووي على مسلم ٩ / ٢٤٢).

ومعنى: «ألا أهلكهم بسنة عامّة» أي: لا أهلكهم بقحطٍ يعمُّهم، بل إن وقع قحطٌ فيكون في ناحيةٍ يسيرةٍ بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام<sup>(١)</sup>.

٤- اشترطه ﷺ على ربه أن من سبّه أو دعا عليه أن يجعلها له زكاةً ورحمةً.

فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «أَوَمَا عَلِمْتَ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قلت: اللهم! إنما أنا بشرٌ، فأَيُّ المسلمين لعنته أو سبَّته فأجعله له زكاةً وأجرًا»<sup>(٢)</sup>.

قال الإمام النووي: «هذه الأحاديث مُبَيَّنَةٌ ما كان عليه ﷺ من الشفقة على أمته، والاعتناء بمصالحهم، والاحتياط لهم، والرغبة في كل ما ينفعهم»<sup>(٣)</sup>.

٥- حرصه ﷺ على حَقْنِ دماءِ أمته، وحفظ أموالها وأعراضها، ونبذ الفرقة والخلاف بين أبنائها.

ويتضح هذا الحرص منه ﷺ في خطبة حجة الوداع؛ إذ تضمنت بنوداً ومواثيق تبين للأمة حرمة الاعتداء على الدماء والأموال والأعراض، وتحذره

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ٩/٢٤٢، وانظر: عظيم قدره ﷺ ص: ١٢٣.

(٢) أخرجه مسلم ٤/٢٠٧ برقم: ٢٦٠٠، ك: البر والصلة.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٨/٤٠٠.



من الفرقة والتدابير والخلاف، فكان من بنود هذه الخطبة: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِيَّ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ... وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»<sup>(٢)</sup>. وهذه التوصيات النبوية في تعظيم شأن الدماء والأموال والأعراض، جعلت المُنصفين من مفكري الغرب يشهدون بأنها تَشْعُرُ رَحْمَةً وَشَفَقَةً لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُرَا إِلَّا عَنْ مِثْلِ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ.

٦- حُرْصُهُ ﷺ عَلَى دَلَالَةِ أُمَّتِهِ عَلَى كُلِّ مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالْأَجْرُ وَالنَّجَاةُ، وَتَحْذِيرُهُمْ مِنْ كُلِّ مَا فِيهِ الشَّرُّ وَالْخَسْرَانُ وَالْهَلَاكُ.

قَالَ اللَّهُ ﷻ مُبَيِّنًا عَظِيمًا مَنَّتَهُ عَلَى الْأُمَّةِ بِيَعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ هَادِيًا وَمُعَلِّمًا وَبَشِيرًا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

(١) صحيح مسلم ٢/ ٨٨٩ - ٨٩٠ برقم: ١٢١٨، ضمن حديث جابر الطويل في بيان حجة النبي ﷺ.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ٥٧٣ - ٥٧٤، برقم: ١٧٤١، ك: الحج.

[آل عمران: ١٦٤].

قال الحافظ ابن ناصر الدين في «مجالسه»<sup>(١)</sup> التي عقدها لتفسير هذه الآية الكريمة: «فُبُعْثَ فيهم هذا الرسول ﷺ فتلا عليهم الآيات، وزكّاهم وعلمهم الكتاب والحكمة... وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً، ومن رأفته بهم ورحمته إياهم: ما أمرهم به ونهاهم عنه تحصيلاً لهم ما لا يُعْبَرُ عنه من الأجور، وتحصيناً لهم من العذاب وأنواع الشرور».

٧- تيسيره ﷺ على أمته وتخفيفه عنها، ورفع الحرج والمشقة ما استطاع.  
ومن أبرز صور هذا التيسير ما ورد عنه ﷺ من الرُّخْص الشرعية في كثير من الأحكام والعبادات، بل إنّه رَغَّبَ في الحرص على استعمال هذه الرخص وعدم الزهد فيها، فقال: «إن الله يحبُّ أن تُؤْتَى رُخْصُهُ كما يكره أن تُؤْتَى معصيته»<sup>(٢)</sup>.  
وفيما يتعلق برفع الحرج والمشقة عن الأمة نجد قول الله، ﷻ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ

(١) ص ٤٣٧. وانظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٤١، تيسير الكريم الرحمن ٣/ ٦٩٦، سيرة الرسول ﷺ، لدروزة ص ٥٣.

(٢) أخرجه أحمد ١٠/ ١٠٧، برقم: ٥٨٦٦، وابن حبان - كما في الإحسان ١/ ٢٨٤ برقم: ٣٥٥ - ولفظ ابن حبان: «كما يجب أن تؤتى عزائمه»، وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم:



مَا عَنِتُّمْ ﴿[التوبة: ١٢٨]، أي: يَعْزُّ عليه الشيء الذي يُعْنِتُ أُمته ويشق عليها، بل إنه المبعوث بالحنيفية السمحة ﷺ<sup>(١)</sup>.

وسيأتي في أثناء هذا البحث ذكر نماذج من هذه الرُّخص والتيسيرات، ورفع الحرج والمشقات.

\*\*\*

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٤١، تيسير الكريم الرحمن ٣/ ٦٩٦.

## المبحث الثاني

### معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأصحابه وإخوانه

لعلَّ أسعدَ الناسَ برحمته وشفقته ﷺ هم أصحابه الكرام، وإخوانه الذين هم خير الأنام؛ ذلك أن جماعَ خصاله الشريفة، وأخلاقه المنيعة - وعلى رأسها الرحمة - قد تجلَّت واقعاً عملياً في عشرته ﷺ مع أصحابه، ومعاملته لهم؛ فهم المخالطون له دوماً، السُّعداءُ بمرافقته حَضراً وسفراً.

ولقد انعكست رحمته ﷺ بأصحابه على أخلاقهم: حُباً له ﷺ، والتفافاً حوله، وتفانياً في طاعته وتضحيةً بالنفس والمال في سبيل نصرته. كما امتثلوا الرحمة النبوية خُلُقاً لهم في التعامل مع غيرهم؛ فكانوا متراحمين متوادين، كما وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن أبرز معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأصحابه وإخوانه:

١- لِينُ جانبِهِ ﷺ وسماحته وحسن عشرته مع أصحابه.

فقد كان ﷺ كما وصفه ربه ﷻ بقوله: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَآنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فبرحمة الله الرحيم لنبه منَّ عليه سبحانه: بلين الجانب، ورِقَّة القلب، وخفض الجناح لأصحابه،





فأحبوه وامثلوا أمره<sup>(١)</sup>، «وما كانت الأمة لتجتمع على الرسول الكريم ﷺ لو كان في طبعه خشونة، وفي خلقه غلظة، وفي شأئله جفاء»<sup>(٢)</sup>.

٢- بشاشته ﷺ مع أصحابه ولقاؤهم بالبشر وطلاقة الوجه.

ولقد رغب النبي ﷺ في هذا الخلق العظيم، فقال: «تبسّمك في وجه أخيك صدقة»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق»<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٤٨/٢، تيسير الكريم الرحمن ١/٢٥٥.

(٢) شخصية الرسول ﷺ للهاشمي: ص ٤٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٤/٣٣٩-٣٤٠، برقم: ١٩٥٦، في البر والصلة، وابن حبان في صحيحه - كما في الإحسان برقم: ٤٧٤، ٥٣٠، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٢٩٠٨، والسلسلة الصحيحة برقم: ٥٧٢.

ومعنى الحديث: إظهارك البشر والبشاشة لأخيك إذا لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة. (فيض القدير ٣/٢٢٦).

(٤) أخرجه الترمذي برقم: ١٩٧٠، في البر والصلة، وأحمد في المسند ٢٣/٥٧، برقم: ١٤٧٠٩، وقال الترمذي: حسن صحيح، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٤٥٥٧. والمعنى: تلقاه منبسط الوجه متهلله. (تحفة الأحوذى ٥/٣٨٣).

وقد تمثل النبي ﷺ هذا الخلق العظيم في عشرته مع أصحابه وإخوانه: فعن عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ»، وبوّب عليه الترمذي بقوله: «باب في بشاشة النبي ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «ما حجّني رسول الله ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رأيتُ إلا ضحكاً». وفي رواية: «إلا تبسّم»<sup>(٢)</sup>.

قال النووي: «وفعل ذلك إكراماً ولُطفاً وبشاشة»<sup>(٣)</sup>.

٣- إكرامه ﷺ أصحابه، وإنزالهم منازلهم، ومعرفة الفضل لذوي الفضل منهم.

فقد فضّل رضي الله عنه السابقين وأهل الاختصاص به على من لم ينل منازلهم، وفضّل أهل بدرٍ على غيرهم ممن لم يشهدوا<sup>(٤)</sup>.

وكان رضي الله عنه يُنزل كلّ واحدٍ منهم منزلته اللائقة به؛ كما أكرم جريراً البجلي، وكان سيّداً مطاعاً في قومه كبيرَ القدر - لما جاءه مسلماً، وبسَطَ له رداءه،

(١) جامع الترمذي ٦٠١/٥، برقم: ٣٦٤١، ك: المناقب، وحسنه.

(٢) أخرجه البخاري ١٣١/٧، برقم: ٣٨٢٢، ك: مناقب الأنصار، ومسلم ١٩٢٥/٤، برقم: ٢٤٧٥، ك: فضائل الصحابة.

(٣) شرح صحيح مسلم ٢٧٤/٨.

(٤) انظر: الاستيعاب، المقدمة ٩/١، ومقدمة معرفة الصحابة لأبي نعيم ١٨٦/١.

وقال: «إذا أُناكم كريم قوم فأكرموا»<sup>(١)</sup>.

٤- مخالطته ﷺ لأصحابه، وبروزهم لهم، وتفقد غائبهم، وزيارة مريضهم، وقضاء حوائجهم.

فقد كان ﷺ قريباً من أصحابه، بارزاً لهم، غير محتجب أو منعزل عنهم، وفي هذا يقول أنس رضي الله عنه: «إن كان النبي ﷺ ليُخالطنا...»<sup>(٢)</sup>.

وقد كان ﷺ يتفقد غائبهم ويسأل عنه؛ فقد كانت امرأة سوداء تقم المسجد - أو شاباً - ففقدوها رسول الله ﷺ فسأل عنها - أو عنه - فقالوا: مات، فقال ﷺ: «أفلا كنتم آذنتُموني؟... دلُّوني على قبره»، فدَلُّوه فصلى عليه، ثم قال: «إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ﷻ يُنورُها لهم بصلاتي عليهم»<sup>(٣)</sup>.

قال الإمام النووي: «فيه بيان ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع والرِّفقِ بأمته، وتفقد أحوالهم، والقيام بحقوقهم...»<sup>(٤)</sup>.

(١) السلسلة الصحيحة ٣/ ٢٠٤، برقم: ١٢٠٥.

(٢) أخرجه البخاري ١٠/ ٥٢٦، ٥٨٢، برقم: ٦١٢٩، ٦٢٠٣، ك: الأدب، ومسلم ٣/ ١٦٩٢، برقم: ٢١٥٠، في الأدب، واللفظ للبخاري.

(٣) أخرجه البخاري ٣/ ٢٠٤، برقم: ١٣٣٧، ومسلم ٢/ ٦٥٩، برقم: ٩٥٦، كلاهما في ك: الجنائز، واللفظ لمسلم.

(٤) شرح صحيح مسلم ٤/ ٣٠.

«وزار ﷺ سعد بن أبي وقاص ﷺ عام حجة الوداع من وجع اشتدَّ به»<sup>(١)</sup>.

«وزار سعد بن عبادة ﷺ من شكوى له»<sup>(٢)</sup>.

وسياتي ذكر شيء من سعيه ﷺ في قضاء حوائج أصحابه والوصية بذلك.

قال الإمام النووي رحمه الله عند شرحه جملة من الأحاديث في قرب النبي ﷺ من الناس، وقضاء حوائجهم: «في هذه الأحاديث: بيان بروزه ﷺ للناس، وقربه منهم؛ ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم، ويرشد مسترشدهم، ليشاهدوا أفعاله وحركاته، فيقتدى بها، وهكذا ينبغي لولاة الأمور. وفيها: صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين...»<sup>(٣)</sup>.

٥- ثقته ﷺ بأصحابه، والركون إليهم، والتصديق لهم، وحسن الظن

٣٣٠

ومن ذلك: أن المنافقين - لعنهم الله - آذوا النبي ﷺ، فقالوا: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي: يستمع لكل أحد، ولا يميز بين صادق وكاذب، فردَّ الله ﷻ عليهم فقال:

(١) صحيح البخاري ١٦٤/٣، برقم: ١٢٩٥، ك: الجنائز.

(٢) أخرجه البخاري ١٧٥/٣، برقم: ١٣٠٤، ك: الجنائز، ومسلم ٦٣٦/٢، برقم: ٩٢٤.

(٣) شرح صحيح مسلم ٩١/٨، ك: الفضائل، ب: قرب النبي ﷺ من الناس.



﴿ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ ﴾

[التوبة: ٦١]<sup>(١)</sup>.

فبين سبحانه أنه ﷺ «سريع الاستماع والإجابة لكل شيء أو قول في خير للمؤمنين...، قويُّ الركونِ إلى المؤمنين المخلصين، والاعتماد عليهم أيضاً، قويُّ الاعتقاد بحسن نياتهم؛ وهو بهذه الصفاتِ رحمةٌ لهم»<sup>(٢)</sup>.

٦- حياؤه ﷺ من أصحابه، وصبره على ما قد يلقي منهم من أذى، تجنُّباً لجرح مشاعرهم.

ومن المواقف المشهورة للنبي ﷺ مع أصحابه في ذلك: ما حصل للنبي ﷺ حين تزوج بأم المؤمنين زينب بنت جحش، ﷺ؛ إذ دعا أصحابه إلى طعام بهذه المناسبة، فأبطأ جماعةٌ منهم بعدما فرغوا من الطعام، وأطالوا الجلوس في بيت النبي ﷺ، حتى شقوا بذلك عليه، وحبسوه عن شؤون بيته وأشغاله<sup>(٣)</sup>، كما في رواية لابن أبي حاتم: «فشقوا على رسول الله ﷺ، وكان أشدَّ الناس

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٧٠، تيسير الكريم الرحمن ٣/ ٦٦٣.

(٢) سيرة الرسول ﷺ، لدروزة ص ٥٣.

(٣) انظر القصة في: صحيح البخاري ٨/ ٥٢٧، برقم: ٤٧٩٢ - ٤٧٩٤، ك: التفسير، وصحيح

مسلم ٢/ ١٤٠٦، برقم: ١٤٢٨، ك: النكاح.

حياء»<sup>(١)</sup>.

فأنزل الله ﷻ قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ ... إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَعِزْ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِزْ مِنْ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. فأدب سبحانه المؤمنين بأدبين: ألا يدخلوا بيوت النبي ﷺ إلا بإذنه، وإذا دخلوا لا يجلسوا إلا بقدر الحاجة حتى لا يؤذوا النبي ﷺ بطول جلوسهم، ويمنعه الحياء من طلب الخروج منهم<sup>(٢)</sup>.

«وقد تضمنت الآية تنويهاً بخلق من أخلاق النبي ﷺ، وهو: الحياء، والصبر على ما يؤذي نفسه من أصحابه، وتجنبه كسر قلوبهم، وجرح عواطفهم»<sup>(٣)</sup>. وذلك كله من كمال رحمته، وعظيم شفقتة ﷺ بأصحابه.

٧- العفو عن إساءتهم، والتجاوز عن أخطائهم وزلاتهم، وترك العتاب واللولم لهم.

وهذا جانب آخر من جوانب الرفق والرحمة في تعامله ﷺ مع أصحابه؛

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٦/ ٤٥٢.

(٢) وانظر في تفسير هذه الآيات: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٥٠ - ٤٥٤، تيسير الكريم الرحمن ٦/ ١٣٩٧-١٣٩٨.

(٣) سيرة الرسول ﷺ، لدروزة ص ٥٤.

امثالاً لأمر ربه ﷻ حين قال له - بعد التنويه بليته ورقته وعدم غلظته وفضاظته -: ﴿ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فأمره سبحانه بالعفو عما صدر عنهم من تقصير في حقّه، وعدمِ مقابلةِ إساءتهم بالإساءة، بل بالعفو عنهم والاستغفار لهم<sup>(١)</sup>.

وقد تعددت المواقف التي بدا فيها عفوّه وصفحه ﷺ عن أصحابه، وتركه اللوم والمعاقبة لهم، خاصة مع الأعراب الجفاة منهم، فمن ذلك: «أن أعرابياً جبذه مرةً بردائه جبذةً أثّرت في عنقه الشريف ﷺ»، وقال له: يا محمد مري من مال الله الذي عندك. فما زاد ﷺ على أن التفت إليه وضحك، ثم أمر له بعطاء<sup>(٢)</sup>.

٨- أنه ﷺ كان لأصحابه بمنزلة الوالد يعلمهم ما لا بدّ لهم منه.

وهذا أيضاً من تمام شفقتة عليهم، وحرصه على ما ينفعهم، فقد جعل نفسه بمنزلة الوالد المعلم لولده، الدالّ له على ما ينفعه، المحذّر له مما يضرّه، فقد قال ﷺ: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ١/ ٢٥٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٧٣٠، برقم: ١٠٥٧، ك: الزكاة. وانظر: شرح مسلم للإمام النووي ١٥٩/٤.

(٣) أخرجه أبو داود ١٨/ ١ برقم: ٨، والنسائي ٣٨/ ١، وابن ماجه ١١٤/ ١، برقم: ٣١٣، =

قال المناوي: «بمنزلة الوالد: في الشفقة والحنو... وفي تعليم ما لا بد

منه»<sup>(١)</sup>.

٩- إرشاد أصحابه إلى ما يدفع الإثم عنهم، وصيانة قلوبهم وجوارحهم عن الوقوع فيما يضرهم.

ويتضح هذا الخلق النبوي جلياً في قصة زيارة أم المؤمنين صفية له ﷺ في معتكفه، فلما أرادت أن تذهب ذهب معها ليشيعها إكراماً لها، فمرَّ به ﷺ رجلاً من الأنصار، فلما رآه أسرع، فقال لهما النبي ﷺ: «على رسلكما، إنما هي صفية بنت حُيٍّ»، فقال الرجلان: سبحان الله يا رسول الله! وكبر عليهما، فقال ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من ابن آدم مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً»، وفي رواية: «شراً»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «يجري من ابن آدم مجرى الدم»<sup>(٣)</sup>.

= ثلاثتهم في الطهارة، وأحمد في المسند ١٢/٣٢٦، برقم: ٧٣٦٨، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير ٢/٥٧٠، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٢٣٤٦.

- (١) فيض القدير ٢/٥٧٠، وانظر: عظيم قدره ﷺ، لخليل خاطر ص ٤٥.
- (٢) أخرجه البخاري ٤/٢٧٨ برقم: ٢٠٣٥، ك: الاعتكاف، ومسلم ٤/١٧١٢ - برقم: ٢١٧٥، ك: السلام.
- (٣) صحيح البخاري برقم: ٢٠٣٩.





فلم ينسبهما النبي ﷺ إلى سوء الظن به؛ لمعرفته بصدق إيمانهما، وإنما خشي عليهما أن يوسوس لهما الشيطان بذلك، فيفضي بهما إلى الهلاك؛ إذ لو وقع في قلوبهما ريبة في أمره ﷺ لكفرا بذلك، فبادر بإعلامهما شفقةً عليهما<sup>(١)</sup>.  
قال النووي رحمه الله في ذكر فوائد هذا الحديث: «بيان كمال شفقته على أمته، ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم، وكان بالمؤمنين رحيماً»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر: شرح السنة للبغوي ١٤/٤٠٥-٤٠٦، فتح الباري ٤/٢٨٠.

(٢) شرح صحيح مسلم ٧/٤١٢.

### المبحث الثالث

#### معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأهل بيته وأقاربه وأرحامه

وهذا جانب آخر من الجوانب التي تتضح فيها معالم رحمته ﷺ، وهو جانب الرحمة بأهله: من زوجات، وأقارب، وأبناء، وغيرهم ممن له بهم رحم موصولة.

ومن خلال المطالب الآتية يمكن أن نستعرض بعضاً من مواقفه ﷺ وأخلاقه التي تبدو فيها رحمته بأهله وأقاربه وأرحامه.

#### المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بنسائه وزوجاته.

لقد ضرب رسول الله ﷺ في رحمته بزوجاته ونسائه أروع الأمثلة، وكان قدوةً لأئمة في ذلك، ومن صور هذه الرحمة:

١- أنه ﷺ كان رفيقاً بزوجاته، حسنَ المعاملة لهن، لطيفاً معهن؛ فلم يضرب ﷺ بيده امرأة له ولا خادماً قط<sup>(١)</sup>، بل كره ذلك لأئمة؛ فقال: «لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يُجامعها في آخر اليوم»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٨١٤، برقم: ٢٣٢٨، ك: الفضائل.

(٢) أخرجه البخاري ٩/ ٣٠٢، برقم: ٥٢٠٤، ك: النكاح.

وكان ﷺ حسن العشرة معهم، يعينهن ويساعدهن، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان يكون في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة»<sup>(١)</sup>.

٢- وكان ﷺ حريصاً على دلالتهم على ما ينفعهم من الأعمال الصالحة ويقربهم من الله والدار الآخرة؛ فقد استيقظ ليلة فزعاً، فقال: «سبحان الله! ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات - يعني أزواجه - لكي يصلين؟ رب كاسية في الدنيا، عارية في الآخرة»<sup>(٢)</sup>.

٣- وكان ﷺ يتسامح معهن فيما جُبلن عليه من الطباع البشرية، فيتغاضى عن غيرتهن، ولا يُعنف؛ فمن ذلك: «أنه ﷺ كان عند بعض نساءه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم بقصة فيها طعام، فضربت بيدها فكسرت القصعة، فضمها ﷺ وجعل فيها الطعام، وقال: كلوا - وفي رواية: غارت أكمكم، كلوا - وحبس الرسول ﷺ والقصة حتى فرغوا، فدفع القصعة الصحيحة وحبس المكسورة»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري ١٦٢/٢، برقم: ٦٧٦، ك: الأذان.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠/١٣، برقم: ٧٠٦٩، ك: الفتن. والمعنى: رب كاسية في الدنيا بالثياب، عارية في الآخرة من الثواب؛ لعدم العمل في الدنيا. انظر: فتح الباري ١٣/٢٣.

(٣) صحيح البخاري ١٢٤/٥، برقم: ٢٤٨١، ك: المظالم.

قال الحافظ ابن حجر، رحمته الله: «وقوله: «غارت أمكم» اعتذار منه عليه السلام؛ لئلا يُحمل صنيعها على ما يُدّم، بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة»<sup>(١)</sup>؛ لأن عقل المرأة وقت الغيرة يكون محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة»<sup>(٢)</sup>.

٤- وكان عليه السلام يراعي حديثه السنن منهن؛ فكانت عائشة رضي الله عنها «تلعب عنده بالبنات، وكان يُسرّب<sup>(٣)</sup> إليها صواحبها»<sup>(٤)</sup>. وذلك لطف منه عليه السلام بها لحداثة سنّها.

\*\*\*

**المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته عليه السلام بأولاده وأسباطه.**

أما علاقته عليه السلام بأولاده وأسباطه، فقد كان عليه السلام الأسوة الحسنة للأباء في هذا الباب: شفقة وحنواً ورحمة، ومن المواقف التي أثرت عنه عليه السلام في ذلك:

١- أنه عليه السلام كان يحب ابنته فاطمة ويكرمها، ويرحب بها إذا دخلت عليه،

(١) فتح الباري ٥/ ١٢٦.

(٢) انظر: فتح الباري ٩/ ٣٢٥.

(٣) أي: يرسلهن إليها.

(٤) أخرجه مسلم ٤/ ١٨٩٠ برقم: ٢٤٤٠، ك: فضائل الصحابة. وانظر: شرح النووي على

صحيح مسلم ٨/ ٢٢٥.



ويقوم إليها فيجلسها<sup>(١)</sup>، وكان يغضب لغضبها؛ فلما أراد زوجها عليُّ بن أبي طالب ﷺ أن يتزوج عليها بابنة أبي جهل، غضب ﷺ ورحم حالها، وخطب فقال: «إن فاطمة بضعة مني<sup>(٢)</sup>، وإني أكره أن يسوءها، والله لا تجتمع بنتُ رسول الله وبنتُ عدو الله عند رجلٍ واحدٍ»، فترك عليُّ الخطبة<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «فمن أغضبها أغضبني»<sup>(٤)</sup>.

٢- وأشفق ﷺ أشدَّ الشفقة لحال ابنته زينب لما أسر زوجها أبو العاص بن الربيع في بدر، وأرسلت زينب من مكة بمال في فداءه، وبعثت من ضمنه بقلادة كانت خديجة أمها أدخلتها بها على زوجها، فلما رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رِقَّةً شديدة، وقال: «إن رأيتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرها، وتردُّوا عليها الذي لها، فافعلوا». قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه<sup>(٥)</sup>.

(١) صحيح البخاري ٦/٦٢٧، برقم: ٣٦٢٣، ك: المناقب، ومسلم ٤/١٩٠٤، برقم: ٢٤٥٠—

٩٨، ك: فضائل الصحابة.

(٢) أي: قطعة مني.

(٣) أخرجه البخاري ٧/٨٥، برقم: ٣٧٢٩، ك: فضائل الصحابة.

(٤) صحيح البخاري برقم: ٣٧٦٧.

(٥) البداية والنهاية ٥/٢٠٦، الرحيق المختوم: ٣١٨. وانظر: خاتم النبيين، لأبي زهرة

٣- وتظهر شفقتة الأبوية ﷺ في أجلى صورها في موقفه حين توفي ابنه إبراهيم عليه السلام، فدخل عليه وهو يجود بنفسه، فجعلت عيناه تذرفان، وقال: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربُّنا، وإننا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون»، فقال عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟! فقال: «يا ابن عوف إنها رحمة»<sup>(١)</sup>.

٤- ولما احتضر ابن ابنته زينب، وأرسلت إليه ليأتمنَّها، فرفع الصَّبِيَّ إلى النبي ﷺ ونفسه تتعقَّع<sup>(٢)</sup>، ففاضت عيناه شفقةً ورحمةً، فقال سعد بن عباد: يا رسول الله ما هذا؟! فقال ﷺ: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرُّحماء»<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: «فيه الترغيب في الشفقة على خلق الله، والرحمة لهم، والترهيب من قساوة القلب وجهود العين»<sup>(٤)</sup>.

٥- وكان ﷺ يحبُّ الحسن والحسين ابني فاطمة رضي الله عنهما حباً شديداً،

(١) أخرجه البخاري ١٧٢/٣، برقم: ١٣٠٣، ك: الجنائز.

(٢) أي: تتحرك يُسمع لها صوت.

(٣) أخرجه البخاري ١٥١/٣، برقم: ١٢٨٤، ك: الجنائز.

(٤) فتح الباري ١٥٨/٣، وانظر: خاتم النبیین، لأبي زهرة ١/٢٦٥.



ويقول: «هما رِيحَانَتَايَ<sup>(١)</sup> من الدنيا»<sup>(٢)</sup>. وكان يحمل الحسنَ على عاتقه<sup>(٣)</sup>.

وَقَبَّلَ الحسنَ يوماً، فتعَجَّبَ من ذلك الأقرعُ بنُ حابسٍ، وقال: إن لي عشرة من الولدِ ما قَبَلْتُ منهم أحداً!! فقال له النبي ﷺ: «من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية أن النبي ﷺ قال له منكرًا ومتعجبًا: «أَوَ أَمْلِكُ لك أن نزعَ الله من قلبك الرحمة؟!»<sup>(٥)</sup>.

وبَوَّبَ الإمام البخاري على هذه الأحاديث بقوله: باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. وكان ﷺ يضع أسامة بن زيد على فخذه والحسن على فخذه الآخر، ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإني أرحمهما»<sup>(٦)</sup>.

وكان ﷺ يخطب يوماً، فجاء الحسنُ والحسينُ عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل ﷺ عن المنبر، فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «... نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران، فلم أصبرُ حتى قطعت حديثي

(١) لأن الأولاد يسمُّون ويُقبَلون، فكأنهم من جملة الرياحين. فتح الباري ٢٧/١٠.

(٢) أخرجه البخاري ٩٥/٧، برقم: ٣٧٥٣، ك: فضائل الصحابة.

(٣) صحيح البخاري برقم: ٣٧٤٩.

(٤) صحيح البخاري ٤٢٦/١٠، برقم: ٥٩٩٧، ك: الأدب.

(٥) صحيح البخاري برقم: ٥٩٩٨.

(٦) صحيح البخاري ٤٣٤/١٠، برقم: ٦٠٠٣، ك: الأدب.

ورفعتهما<sup>(١)</sup>. قال ابن القيم رحمه الله معلقاً على هذا الحديث: «وهذا من كمال رحمته ورفقته ﷺ ولطفه بالصغار، وشفقته عليهم»<sup>(٢)</sup>.

٦- وكان ﷺ يُصلي وهو حامل أمّامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

المطلب الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ ببقية أقاربه وأرحامه.

ومن المواقف التي تمثّلت فيها رحمته ﷺ بسائر أقاربه وأرحامه:

١- شفقته ورحمته ﷺ بعمته صفية رضي الله عنها، فيخشى عليها من رؤية أخيها حمزة، وقد قُتل ومُثل به، فيأمر بصرفها<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود ١/٦٦٣، برقم: ١١٠٩، ك: الصلاة، والترمذي ٥/٦٥٨، برقم: ٣٧٧٤، في المناقب، وابن ماجه برقم: ٣٦٠٠، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم: ٢٩٠٠.

(٢) عدة الصابرين ص ١١٧.

(٣) أخرجه البخاري ١/٥٩٠، برقم: ٥١٦، ك: الصلاة، ومسلم ١/٣٨٥، برقم: ٥٤٣، ك: المساجد، ومواضع الصلاة.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٣٤، برقم: ١٤١٨، وأبو يعلى في مسنده كذلك ٢/٤٥، برقم: ٦٨٦، والبيهقي في سننه ٣/٤٠١، من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه مطولاً، وصححه =





٢- وقد شملت رحمته ﷺ حتى الذين لم يكتب لهم الإسلام من أقاربه وأرحامه؛ فقد تحركت في قلبه عاطفة الأمومة والرحمة لوالدته التي لم تدرك مبعثه، وأخذته الشفقة على ما فاتها من الإسلام، فزار قبرها يوماً، فبكى ﷺ وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي...»<sup>(١)</sup>. قال القاضي عياض: «بكاؤه ﷺ على ما فاتها من إدراك أيامه، والإيمان به»<sup>(٢)</sup>.

وقد بين ﷺ أن الرقة والشفقة والرحمة لأُمَّه هي التي حركته للبكاء حين زار قبرها، ولم يؤذن له في الاستغفار لها، فيقول: «... فلم يأذن لي، فدمعت عيناى رحمة لها من النار»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية أخرى: «فأخذني ما يأخذ الولد للوالدة»<sup>(٤)</sup>، وفي رواية: «فأدركتني رقتها فبكيت»<sup>(٥)</sup>.

=الشيخ الألباني في إرواء الغليل ١٦٥/٣.

(١) أخرجه مسلم ٦٧١/٢، برقم: ١٠٨٩٧٦، ك: الجنائز.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي ٥٣/٤.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١١١/٣٨، برقم: ٢٣٠٠٣.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير - كما في تفسير ابن كثير ٢٢٢/٤ -.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ١٨٩/١. قال ابن حجر عن هذه الروايات: «فهذه طرق يعضد بعضها بعضاً». (فتح الباري ٥٠٨/٨).

## المبحث الرابع

### معالم الرحمة في علاقته ﷺ بضعفة المجتمع

من النساء، والبنات، والأطفال، والأيتام، والخدم، والفقراء، وغيرهم

لقد نال ضعفه المجتمع حظاً وافراً من الرحمة النبوية، فأوصى بالإحسان إليهم ورعايتهم، وحذر من ظلمهم، وتضييع حقوقهم، كما كان مثلاً حياً في رحمتهم والعطف عليهم.

وإنما كان الضعفة محلّ العطف والرحمة؛ لحاجتهم، وعجزهم، وانكسارهم. ولعلنا نستجلي بعضاً من جوانب الرحمة والشفقة النبوية مع هؤلاء الضعفة من خلال المطالب الآتية:

### المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالنساء.

تقدم ذكر طرفٍ من سيرته ﷺ وحسن عشرته مع نسائه ورحمته بهنّ، ولقد نالت سائر نساء الأمة نصيبها من هذه الرحمة، فكان من معالم رحمته ﷺ بهنّ:

#### ١- الوصية بهنّ، والأمر بالإحسان إليهنّ.

فقد كان من بنود خطبته ﷺ في حجة الوداع الوصية بالنساء؛ إذ قال



ﷺ: «فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانِ الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله...»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: مُرَغَّباً الرجال في حسن العشرة معهن: «خياركم خياركم لنسائهم خُلُقاً»<sup>(٢)</sup>.

٢- وصيته ﷺ بالصبر عليهن، واحتمال ضعف عقولهن، والتجاوز عن هفواتهن.

قال ﷺ: «إن المرأة كالضِّلَعِ»<sup>(٣)</sup>، إذا ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسَرَتْهَا، وإن تركتها استمتعت بها وفيها عَوَجٌ»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية: «وكسرُها طلاقُها»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه مسلم ٨٨٩/٢، برقم: ١٢١٨، ك: الحج. ومعنى: «أخذتموهن بأمانِ الله» أي: بإباحة الله، وقوله: «بكلمة الله» هي قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾. شرح مسلم للنووي ٤/٤٤٣.

(٢) أخرجه الترمذي ٤٥٧/٣، برقم: ١١٦٢، ك: الرضاع، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٢٨٤.

(٣) واحد الأضلاع والضُّلوع، وهو عظمٌ من عظام الصِّدر يكون فيه انحناء، وعَرَضٌ، وأيضاً: هو العَوْدُ فيه اعوجاج. مختار الصحاح (ضلع)، المعجم الوسيط (ضلع).

(٤) أخرجه مسلم ١٠٩١/٢، برقم: ١٤٦٨-٦٠، ك: الرضاع.

(٥) مسلم برقم: ١٤٦٨-٦١.

قال الإمام النووي: « في هذا الحديث: ملاطفة النساء، والإحسان إليهن، والصبر على عوج أخلاقهن... »<sup>(١)</sup>.

٣- وصيته ﷺ بالرفق بهن، والنهي عن كل ما فيه أذيتهن أو الإضرار

بهن.

فمن ذلك: أنه ﷺ كان في بعض أسفاره، وغلامٌ يقال له: أنجشة

يحدو<sup>(٢)</sup>، فقال له النبي ﷺ: «يا أنجشة! رويدك، سوقاً بالقوارير»<sup>(٣)</sup>.

يعني: ارفق في سوقك بالقوارير<sup>(٤)</sup>. وفي رواية: «رويداً يا أنجشة! لا تكسر

القوارير». يعني: ضعفة النساء.

وقد ذكر أهل العلم أن مراده ﷺ بهذا الكلام: أمرُ الحادي بالرفق

بالنساء في السير، وعدم تعريضهن لما يؤذيهن أو يسبب لهن الضرر<sup>(٥)</sup>.

ومن الأمثلة العملية للرفق بالنساء في حياته ﷺ: قصة أسماء بنت

(١) شرح صحيح مسلم ٣١٥/٥.

(٢) الحداء والحدو: سوقُ الإبل والغناء لها. مختار الصحاح (حدا).

(٣) أخرجه البخاري ٥٣٨/١٠، برقم: ٦١٤٩، ك: الأدب، ومسلم ١٨١٠/٤، برقم:

٢٣٢٢، ك: الفضائل.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٨٩/٨.

(٥) انظر: فتح الباري ١٠/٥٤٥-٥٤٦، المرحومون في السنة النبوية: ٨٦.



أبي بكر رضي الله عنه، «حين رآها تحمل النوى على رأسها في الطريق، فأشفق عليها، ورحم ضعفها، فأناخ لها بعيره؛ لتركب، فأبت رضي الله عنها حياء منه»<sup>(١)</sup>.

وقد نهى رضي الله عنه عن كل ما يسبب لهن الأذى النفسي أو الجسدي، فقال رضي الله عنه: «ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت»<sup>(٢)</sup>.

٤- رعايته رضي الله عنه لحقوقهن والعمل على إيصالها إليهن وتمتعهن بها. فقد بين رضي الله عنه حقوق المرأة، ودعا إلى حفظها وعدم تضييعها، وذلك في كثير من الأمور، فمن ذلك:

إقراره رضي الله عنه بحقها في اختيار زوجها، فقد سأله عائشة رضي الله عنها عن الجارية يُنكحها أهلها، أتستأمر أم لا؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «نعم، تستأمر»<sup>(٣)</sup>. وتأكيده رضي الله عنه على هذا الحق للمرأة، فقد «ردَّ نكاح امرأة زَوْجها أبوها وهي كارهة»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري ٣١٩/٩، برقم: ٥٢٢٤، ك: النكاح.

(٢) أخرجه أبو داود ٦٠٦/٢، برقم: ٢١٤٢، ك: النكاح، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم: ٣١٤٩.

(٣) أخرجه البخاري ١٩١/٩، برقم: ٥١٣٧، ومسلم ١٠٣٧/٢، برقم: ١١٤٢٠، كلاهما في ك: النكاح، واللفظ لمسلم، وانظر: نبي الرحمة، لياقوت: ٢٧٧.

(٤) أخرجه البخاري ١٩٤/٩، برقم: ٥١٣٨، ك: النكاح.

وحفظ لها ﷺ حقها في النفقة والكسوة بالمعروف، فقال ﷺ حين سئل عن حق المرأة على زوجها: «أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت»<sup>(١)</sup>. وكفل لها حقها في التعلم والتفقه في أمور دينها، كما سيأتي ذكره في الذي بعده.

٥- الحرص على تعليمهن ما ينفعهن، ودلالتهن على يقربهن من ربهن وتحذيرهن مما فيه سخطه وعذابه.

وهذا من تمام رحمته ﷺ بهن، فقد جعل لهن يوماً وحدهن لتعليمهن<sup>(٢)</sup>. وكان يخرج إليهن فيعظهن ويذكرهن ويأمرهن بالصدقة، فيقول: «تصدقن؛ فإنَّ أكثر كن حَطَبُ جهنم»<sup>(٣)</sup>. وفي ذلك دلالة على حرصه ﷺ على وعظهن وتذكيرهن الآخرة، وأحكام الإسلام<sup>(٤)</sup>؛ رحمةً بهن وشفقةً عليهن من النار.

\*\*\*

(١) أخرجه أبو داود ٢/٦٠٦، برقم: ٢١٤٢، ك: النكاح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٣١٤٩.

(٢) أخرجه البخاري ١/١٩٥، برقم: ١٠١، ك: العلم.

(٣) أخرجه مسلم ٢/٦٠٣، برقم: ٨٨٥-٤، ك: العيدين.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٤٤٢.

## المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالصغار والأطفال.

لقد كان ﷺ أرحم الناس بالأطفال والصبيان، وأحناهم عليهم، وأرأفهم بهم، قال أنس رضي الله عنه: «ما رأيتُ أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>. وبوّب عليه النووي بقوله: «باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال... وفضل ذلك»<sup>(٢)</sup>.

ومن معالم رحمته ﷺ بالصغار وشفقته عليهم:

١- الوصية برحمتهم، والترهيب من الغلظة وقسوة القلب معهم.

فقد أوصى ﷺ برحمتهم، وحذر من ضد ذلك أشد التحذير، فقال ﷺ: «ليس منا من لم يَرْحَمْ صغيرنا، ويوقر كبيرنا»<sup>(٣)</sup>.

قال المناوي معلقاً على هذا الحديث: «... فيتعين أن يعامل كلاً منهما بما

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٨٠٨، برقم: ٢٣١٦، ك: الفضائل.

(٢) شرح صحيح مسلم ٨/ ٨٢.

(٣) أخرجه الترمذي ٤/ ٣٢٢، برقم: ١٩٢٠، ك: البر والصلة، وابن حبان - كما في الإحسان

١/ ٣٤١ برقم: ٤٥٩، وقال الترمذي: حسن صحيح، ورمز له السيوطي بالصحة

(الجامع الصغير برقم: ٧٦٩٢)، ووافقه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم:

يليق به، فيعطي الصغير حقه من الرفق به، والرحمة والشفقة عليه...»<sup>(١)</sup>.

وبين ﷺ أن عدم اللطف معهم والحنو عليهم من قساوة القلب؛ فقد قال للأقرع بن حابس عندما تعجّب من تقبيل النبي ﷺ الحسن: «أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أن نزع الله الرحمة من قلبك؟!»<sup>(٢)</sup>.

٢- تقبيلهم، ومعانقتهم، وضمهم، وحملهم، وإردافهم، والحنو عليهم.

تقدم ذكر قصة حمله ﷺ للحسن على عاتقه، وتقبيله له.

«وكان ابنه إبراهيم مُسْتَرْضِعاً له في عوالي المدينة، فكان ﷺ ينطلق مع أصحابه، فيدخل عليه، فيأخذه فيُقَبِّلُه، ثم يرجع»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية: «فدعا النبي ﷺ بالصبي فضمّه إليه»<sup>(٤)</sup>.

قال النووي: «فيه بيان كريم خلقه ﷺ، ورحمته للعيال والضعفاء...

وفضيلة رحمة العيال والأطفال وتقبيلهم»<sup>(٥)</sup>.

(١) فيض القدير ٣٨٨/٥.

(٢) تقدم تخريجه. وانظر: فتح الباري ٤٣٠/١٠.

(٣) أخرجه مسلم ٤/١٨٠٨، برقم: ٢٣١٦، ك: الفضائل.

(٤) صحيح مسلم برقم: ٢٣١٥.

(٥) شرح صحيح مسلم ٨/٨٥.





وقال العز بن عبد السلام: «وأما تقبيلهم وإعناقهم: فرأفة بهم، وودُّ

لهم»<sup>(١)</sup>.

٣- الدعاء لهم، وتحنيكهم، والتبريك عليهم.

فقد كان أصحاب النبي ﷺ إذا وُلد لأحدهم ولدٌ، ذهب به إلى النبي ﷺ، فيدعو له، ويُحنِّكه<sup>(٢)</sup>، ويبرِّك عليه، وربما سَمَّاه، كما حدث ذلك مع أبي موسى الأشعري، وأسماء بنت أبي بكر، وأبي طلحة الأنصاري وغيرهم. وفي قصة أبي موسى رضي الله عنه: «وُلد لي غلامٌ، فأُتيْتُ به النبي ﷺ، فسَمَّاه إبراهيم، فحنَّكه بتمرَّة، ودعا له بالبركة، ودفعه إليَّ»<sup>(٣)</sup>.

٤- السلام عليهم إذا لقيهم أو مرَّ بهم.

عن أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ مرَّ على غلمان، فسَلَّم عليهم»<sup>(٤)</sup>. وفي رواية: «كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار، فيسلم على صبيانهم، ويمسح على

(١) شجرة المعارف والأحوال ص ٢١٢.

(٢) التحنيك: أن يمضغ التمر، ثم يدلك به حنكه، يقال: حنَّكه وحنَّكه. النهاية (حنك).

(٣) أخرجه البخاري ٥٧٨/١٠، برقم: ٦١٩٨، ك: الأدب.

(٤) أخرجه البخاري ٣٢/١١، برقم: ٦٢٤٧، ك: الاستئذان، ومسلم ١٧٠٨/٤، برقم:

٢١٦٨، ك: السلام، واللفظ له.

رؤوسهم، ويدعو لهم»<sup>(١)</sup>.

قال العز بن عبد السلام معلقاً على صنيع النبي ﷺ: «وذلك لطفٌ وجبرٌ وإكرامٌ»<sup>(٢)</sup>.

٥- صبره ﷺ عليهم، وتحمله ما قد يسبونه له من الأذى والمشقة رحمة  
٣٣٠

فمن ذلك ما روته عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ وَضَعَ صَبِيًّا فِي حِجْرِهِ يَحْنُكُهُ، فَبَالَ عَلَيْهِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَاتَّبَعَهُ»<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «يستفاد منه الرفق بالأطفال، والصبر على ما يحدث منهم، وعدم مؤاخذتهم؛ لعدم تكليفهم»<sup>(٤)</sup>.

ولما ركب الحسنُ أو الحسينُ على ظهره ﷺ يوماً وهو ساجدٌ، أطال السجودَ جدًّا، حتى قال له الناس بعد الصلاة: إنك سجدتَ سجدةً أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمرٌ أو أنه يوحى إليك، فقال ﷺ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنْ

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٣٨٦/٧، برقم: ٨٢٩١، وابن حبان - كما في الإحسان

٣٤٢/١، برقم: ٤٦٠، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٤٩٤٧.

(٢) شجرة المعارف والأحوال ٢١٣.

(٣) أخرجه البخاري ٤٣٣/١٠، برقم: ٦٠٠٢، ك: الأدب.

(٤) فتح الباري ٤٣٤/١٠.



ابني اَرْتَحَلْنِي<sup>(١)</sup>، فكرهتُ أَنْ أُعْجَلَهُ حَتَّى يَقْضِي حَاجَتَهُ<sup>(٢)</sup>.

٦- ملاعبتهم ومداعبتهم، والمزاح معهم، والانبساط إليهم، وإدخال السرور عليهم.

فعن أنس رضي الله عنه قال: إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النَّغِيرُ<sup>(٣)</sup>؟»<sup>(٤)</sup>.

قال العز بن عبد السلام: «مداعبة الصبيان: بسطُ لهم، وتطييبُ لقلوبهم، وترويحُ عن نفوسهم»<sup>(٥)</sup>.

٧- دعاؤه ﷺ للمريض منهم.

قال السائب بن يزيد: «إِنْ خَالَتِي ذَهَبَتْ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ:

(١) أي: جعلني كالراحلة فركب على ظهري. النهاية (رحل).

(٢) أخرجه النسائي في المجتبى ٢/٢٢٩، وفي السنن الكبرى ١/٣٦٦، برقم: ٧٣١، والحاكم في المستدرک ٣/١٦٥-١٦٦، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) تصغير: النُّغْر، وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار، ويجمع على نِغْرَان. (النهاية: نغر).

(٤) أخرجه البخاري ١٠/٥٢٦، برقم: ٦١٢٩، ك: الأدب، ومسلم ٣/١٦٩٢، برقم: ٢١٥٠، ك: الآداب.

(٥) شجرة المعارف والأحوال: ٢١٣.

يا رسول الله! إنَّ ابن أختي شاكٍ، فادع الله له، فدعا لي النبي ﷺ. فبلغ السائب أربعاً وتسعين وكان جلدًا معتدلاً»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

المطلب الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالبنات.

وإذا كان النبي ﷺ قد أحاطت رحمته وشفقته بالأطفال والصغار عموماً، فإنه قد أولى البنات مزيد عنايته، وخصَّهن برعايته، ومن مظاهر ذلك:

- ١- وصيته ﷺ بهن، وحثُّه على الإحسان إليهن ورحمتهن، فقد قال ﷺ: «من يلي من هذه البنات شيئاً، فأحسن إليهن كُنَّ له سِتراً من النار»<sup>(٢)</sup>.
- ٢- وقد مضى ذكر شيء من مواقفه ﷺ في الرحمة بالبنات، وإيناسهن، والإحسان إليهن، وذلك في قصة حملة أمامة بنت زينب في الصلاة.

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري ٥٦٠-٥٦١، برقم: ٣٥٤٠، ك: المناقب، وانظر: المرحومون في السنة النبوية: ص ٧٧.

(٢) أخرجه البخاري ٤٢٦/١٠، برقم: ٥٩٩٥، ك: الأدب، ومسلم ٢٠٢٧/٤، برقم: ٢٦٢٩، ولفظه عنده: «من ابتلي».



## المطلب الرابع: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالأيتام والأرامل والمساكين.

واليتيم: هو الذي فقد أباه قبل بلوغه، وجمعه: أيتام، ويتامي، ولقد قال الله ﷻ ممتناً على نبيه ﷺ ومذكراً إياه نعمته عليه: ﴿لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ [الضحى: ٦]، ثم أوصاه باليتيم، فقال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، أي: كما كنت يتيماً فآواك الله، فلا تقهر اليتيم، أي: لا تهنه ولا تذله، ولا تنهره، ولكن أحسن إليه، وتلطف به<sup>(١)</sup>. فاستجاب ﷺ لوصية ربه، فكان أرحم الناس باليتامي، وأشفقهم عليهم، ومن معالم هذه الرحمة:

١- وصيته ﷺ باليتيم، والترغيب في كفالته، والقيام بأمره، فقال ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا»، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى<sup>(٢)</sup>.

٢- الترهيب الشديد من تضييع حق اليتيم أو أكل ماله؛ فقد قال ﷺ: «اللهم إني أخرج حقَّ الضعيفين: اليتيم والمرأة»<sup>(٣)</sup>. والمعنى: ألحق الإثم والحرَج

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٤٢٦-٤٢٧.

(٢) أخرجه البخاري ١٠/ ٤٣٦، برقم: ٦٠٠٥، ك: الأدب.

(٣) أخرجه أحمد ١٥/ ٤١٦، برقم: ٩٦٦٦، والنسائي في السنن الكبرى ٨/ ٢٥٤، برقم: ٩١٠٤، ٩١٠٥، وابن ماجه ٢/ ١٢١٣، برقم: ٣٦٧٨، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير برقم: ٢٦٥١، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٢٤٤٧، =

بمن ضَيَّعَهما، وقيل: أَضَيَّقَهُ وأَحْرَمَهُ على من ظلمهما<sup>(١)</sup>.

وأما الأرامل<sup>(٢)</sup> والمساكين<sup>(٣)</sup>: فقد رَغِبَ النبي ﷺ في السعي عليهما، وبَيَّنَّ عظيم ثواب من قام بذلك، فقال: «السَّاعِي على الأرملة والمساكين، كالمجاهد في سبيل الله - وأحسبه قال: وكالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر»<sup>(٤)</sup>.

والساعي عليهما: هو الكاسب لهما، العامل لمؤونتهما، الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفعهما<sup>(٥)</sup>.

ولقد كان ﷺ يمارس هذا الخلق ممارسةً عمليةً، كما روى عبد الله بن

= وفي السلسلة الصحيحة برقم: ١٠١٥.

- (١) انظر: النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٦١ (حرج)، فيض القدير ٣/ ٢٠.
- (٢) الأرملة: التي لا زوج لها، سميت بذلك لما يحصل لها من الإرمال بفقد الزوج، وهو الفقر. مختار الصحاح (رمل).
- (٣) المسكين: الذي لا شيء له، وقيل: الذي له بعض الشيء، وجمعه: مساكين، والمسكنة والتمسكن يدور معناهما على الخضوع، والذلة، وقلة المال وسوء الحال، وقد يقع معناها على الضعف. النهاية ٢/ ٣٨٥ (سكن).
- (٤) أخرجه البخاري ١٠/ ٤٣٧، برقم: ٦٠٠٦، ك: الأدب، ومسلم ٤/ ٢٢٨٦، برقم: ٢٩٨٢، ك: الزهد.
- (٥) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ٣٣٩، فتح الباري ١٢/ ٢٣٥.

أبي أوفى رضي الله عنه أنه: «كان يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما الحاجة»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

**المطلب الخامس: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالخدم والرقيق والمملوكين.**

أوصى الله ﷻ بالرقيق وملك اليمين، فقال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦]، وما ذلك إلا «لأن الرقيق ضعيف الحيلة، أسير بين أيدي الناس»<sup>(٢)</sup>.  
وقد نال هذا الصنف من الضعفاء من شفقة النبي ﷺ ورحمته نصيبا كبيرا فمن ذلك:

١- وصيته ﷺ بهم، حتى كان ذلك آخر كلامه من الدنيا.

فقد جعل يوصي أمته في مرض موته ويقول: «اتقوا الله فيما ملكت

(١) أخرجه النسائي ٨/٣، ك: الجمعة، وفي السنن الكبرى ٢/٢٨٠، برقم: ١٧٢٨، والحاكم في المستدرک ٢/٦١٤، وقال: «صحيح على شرط البخاري ومسلم، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير برقم: ٧١٤٢، ووافقه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٥٠٠٥. وانظر: نبي الرحمة، لياقوت: ٢٩٧، الرحمة والعظمة، للحمد: ٧٢، رحمة للعالمين، لسعيد بن وهف: ٧١.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٠١.

أيمانكم». فجعل يرددها<sup>(١)</sup>. فرعاهم ﷺ حياً، وأوصى بهم بعد مماته خيراً.

٢- حسن معاملتهم، واللفظ معهم، والرفق بهم.

يقول أنس رضي الله عنه وهو خادم النبي ﷺ: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، والله! ما قال لي: أفأقط، ولا قال لشيء: لم فعلت كذا؟ وهلاً فعلت كذا؟» وفي رواية: «ولا عاب علي شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

ومضى معنا حديث عائشة رضي الله عنها: «ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً ولا امرأة قط»<sup>(٣)</sup>.

بل وصل إحسانه ﷺ إلى أقارب الخادم، ففي حديث أنس الماضي<sup>(٤)</sup> في قصة مداعبته ﷺ لأبي عمير، قال أنس: فربما حضرت الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكس وينضح، ثم يقوم، ونقوم خلفه، فيصلي بنا<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود ٣٥٩/٥، برقم: ٥١٥٦، ك: الأدب، واللفظ له، وابن ماجه برقم:

٢٦٩٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٣٨٧٣.

(٢) أخرجه مسلم ٤/١٨٠٤، برقم: ٢٣٠٩، ك: الفضائل، وقوله: «أفأقط»: كلمة تقال لكل ما

يضجر منه ويستثقل. وانظر: نبي الرحمة، لياقوت: ٣٢٢.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم ذكره.

(٥) صحيح البخاري برقم: ٦٢٠٣.



قال الحافظ ابن حجر: «فيه إكرام أقارب الخادم، وإظهار المحبة لهم؛ لأن جميع ما ذكر من صنيع النبي ﷺ مع أمّ سليم وذويها، كان غالبه بواسطة خدمة أنس له»<sup>(١)</sup>.

### ٣- تفقدهم وزيارتهم والسؤال عنهم.

فقد مرض غلامٌ يهوديٌّ كان يخدم النبي ﷺ، فزاره، وعرض عليه الإسلام، فأسلم فقال: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار»<sup>(٢)</sup>.

٤- التحذير من إيذائهم، أو التعدي عليهم، أو إلحاق المشقة بهم، والحث على العفو عنهم.

فعن أبي مسعود البصري رضي الله عنه قال: كنتُ أضرب غلاماً بالسوط، وأنه سمع صوتاً من خلفه يقول له: «اعلم أبا مسعود أن الله أقدرُ عليك منك على هذا الغلام»، فالتفت فإذا هو رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! هو حرٌّ لوجه الله، فقال ﷺ: «أما لو لم تفعل للفتحك النار»<sup>(٣)</sup>. قال النووي رحمه الله: «فيه الحث على الرفق بالمملوك»<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح الباري ١٠/ ٥٨٦.

(٢) أخرجه البخاري ٣/ ٢١٩، برقم: ١٣٥٦، ك: الجنائز.

(٣) أخرجه مسلم ٣/ ١٢٨٠، برقم: ١٦٥٩، ك: الأيمان.

(٤) شرح صحيح مسلم ٦/ ١٤٥.

وقد حرص ﷺ - أيضاً - على عدم إيذائهم نفسياً ومعنوياً، فنهى عن سبهم وشتمهم، أو السخرية منهم واحتقارهم، كما في قصة أبي ذرٍّ رضي الله عنه لما عير غلاماً له بأمه، فقال له النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية... هم إخوانكم»<sup>(١)</sup>.  
يعني: الخدم والعبيد.

كما نهى ﷺ عن تكليفهم من العمل ما يشق عليهم؛ فقال: «ولا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

٥- كفالة حقوقهم والحرص على إيصالها إليهم.

فقد بينَ ﷺ حقوقَ العبد والخدام على سيده، فقال: «هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم...»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري برقم: ٦٠٥٠، ك: الأدب، ومسلم ١٢٨٢/٣، برقم: ١٦٦١، ك: الأيمان.

(٢) أخرجه البخاري ٤٦٥/١٠، برقم: ٦٠٥٠، ك: الأدب، ومسلم، برقم: ١٦٦١، ك: الأيمان.

(٣) أخرجه البخاري برقم: ٢٥٤٥، ك: العتق، ومسلم، برقم: ١٦٦١، ك: الأيمان. وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٤٨/٦-١٤٩، فتح الباري ١٧٤/٥-١٧٥، نبي الرحمة، لياقوت: ٣١٧.

فتضمن هذا الحديث الشريف ميثاقاً نبوياً لحقوق الخدم والرقائق، يحفظ لهم كرامتهم، ويصون لهم حقوقهم، فأين المواثيق الدولية الآن من هذه الرحمة النبوية، والشفقة المحمدية!؟

\*\*\*

**المطلب السادس: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالفقراء والمحتاجين.**

وهذا جانب آخر من جوانب رحمته وشفقته ﷺ بضعة الناس، وهم طائفة الفقراء والمحتاجين، ومن مظاهر الرحمة النبوية بهم:

١- أنهم كانوا أهل مجالسته ﷺ والمقرين منه، فقد أوصاه ربه بهم، فقال له: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] أي: واصبر مع أهل الذكر والعبادة، وإن كانوا فقراء<sup>(١)</sup>، «فامتثل ﷺ هذا الأمر أشدَّ امتثال، فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين، صبر نفسه معهم، وأحسن معاملتهم وألان لهم جانبه، وحسن خلقه، وقربهم منه، بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه، ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير ٥/ ١٥١-١٥٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ٢/ ٤٧٦، وانظر: من لطائف التفسير، لعقيلان ١/ ٣٢٧-٣٢٨.

٢- الاهتمام بأمرهم، والإحسان إليهم، والترغيب في التصدق عليهم.

فقد جاءه يوماً قومٌ من مُضَر حفاةٌ عُرَاةٌ، فتمعَّر<sup>(١)</sup> وجهه ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، ثم خطب الناس وحثَّهم على الصدقة، فتصدق الناس حتى اجتمع كومان من طعامٍ وثيابٍ، فتهلل وجه النبي ﷺ حتى كأنه مُذهبةٌ<sup>(٢)</sup>. وكان ﷺ يولي أصحاب الصُّفَّة<sup>(٣)</sup> الفقراء عنايته واهتمامه، فكان ﷺ يقول لأصحابه: «من كان عنده طعامٌ اثنين فليذهب بثالثٍ - يعني من أهل الصُّفَّة -، ومن كان عنده طعامٌ أربعة فليذهب بخامس أو سادس». وانطلق هو ﷺ إلى بيته بعشرة<sup>(٤)</sup>.

٣- تفقدهم والسؤال عنهم.

فمن ذلك: ما سبق من سؤاله عن المرأة السوداء التي كانت تقمُّ المسجد

(١) أي: تغير. شرح صحيح مسلم للنووي ١١٢/٤.

(٢) أي: استنار وجهه وأشرق من الفرح حتى كأنه فِضةٌ مذهبة. (شرح صحيح مسلم للنووي ١١٣/٤).

والحديث أخرجه مسلم ٧٠٤/٢، برقم: ١٠١٧، ك: الزكاة.

(٣) هو مكان في مؤخر المسجد النبوي مُظَلَّلٌ أُعدَّ لنزول الغرباء ممن لا مأوى له ولا أهل. (فتح الباري ٥٩٥/٦).

(٤) أخرجه البخاري ٥٨٧/٦، برقم: ٣٥٨١، ك: المناقب.



حينما فقدوها، وصلاته ﷺ على قبرها لما أُخبر أنها ماتت؛ اهتماماً بشأنها، وتقديراً  
لما كانت تقوم به.

\*\*\*

## المبحث الخامس

### معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمسنين، والمرضى، والميتين

ومن جملة فئات المجتمع الذين شملتهم رحمته ﷺ وبرُّه ورعايته: طائفة المرضى والمعاقين، وكبار السنِّ، والموتى؛ فهؤلاء أولى الناس بالرحمة والإحسان، وأحوج من غيرهم إلى العطف والحنان.

ولنستعرض فيما يأتي طرفاً من معالم الرحمة في علاقته ﷺ بهم:

**المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمسنين.**  
والمُسْنُون هم الذي أَسْنُوا أو استَسْنُوا، أي: كبرت أسنانهم وطالت أعمارهم<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر رحمته ﷺ بهم:

١- الوصية بهم والحث على إكرامهم.

فقد قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup> إِكْرَامَ ذِي الشَّيْئَةِ الْمُسْلِمِ»<sup>(٣)</sup>. وهذا حثٌّ

(١) انظر: المعجم الوسيط (سن).

(٢) أي: تعظيمه وتبجيله.

(٣) أخرجه أبو داود ١٧٤/٥، برقم: ٤٨٤٣، ك: الأدب، والبيهقي ١٦٣/٨، وحسنه النووي=



منه ﷺ على «تعظيم الشيخ الكبير، صاحب الشيبة البيضاء... والرفق به، والشفقة عليه»<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن هذه الوصية النبوية يندرج تحتها كل صور الرعاية والإكرام لكبار السن<sup>(٢)</sup>.

## ٢- التيسير عليهم ورفع المشقة عنهم مراعاة لحالهم.

فقد أمر ﷺ بالتجوز في الصلاة وتخفيفها لأجل كبار السن، واشتد غضبه ﷺ على من أطال الصلاة فشق عليهم، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُتَفَرِّقِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ؛ فَإِنْ خَلَفَهُ الضَّعِيفَ، وَالْكَبِيرَ، وَذَا الْحَاجَةِ»<sup>(٣)</sup>.

ورخص ﷺ للكبير أن يحج عنه غيره إن لم يستطع، فقال للمرأة التي ذكرت أن أباه شيخ كبير لا يستطيع أن يستوي على الدابة: «حُجِّي عَنْهُ»<sup>(٤)</sup>.

---

= (رياض الصالحين: ٣٥٤)، وحسن إسناده العراقي وابن حجر. (فيض القدير ٢/ ٥٢٩).

(١) فيض القدير ٢/ ٥٢٩.

(٢) انظر: نبي الرحمة ٣٤١-٣٤٢.

(٣) أخرجه البخاري ٢/ ٢٠٠، برقم: ٧٠٤، ك: الأذان، ومسلم ١/ ٣٤٠، برقم: ٤٦٦، ك: الصلاة.

(٤) أخرجه مسلم ٢/ ٩٧٤، برقم: ١٣٣٥، ك: الحج. وانظر: نبي الرحمة: ٣٣٩-٣٤٨، ورحمة العالمين: ٧٥-٧٦.

المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمرضى.

لقد أحاط ﷺ المرضى بشفقته وعنايته، فكان من مظاهر الرحمة في علاقته

بهم:

- ١- تبشيرهم بأن الأمراض مكفرة للخطايا والذنوب، رافعة للدرجات.
- فقد قال ﷺ: «ما يُصِيبُ المؤمنَ من وَصَبٍ، ولا نَصَبٍ<sup>(١)</sup>، ولا سَقَمٍ، ولا حَزَنٍ، حتى الهَمُّ يَهْمُهُ، إلا كُفِّرَ به من سيئاته». وفي رواية: «حتى الشوكة يُشَاكُهَا»<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن هذه البشارة للمرضى تريح نفوسهم، وتعينهم على الصبر على آلامهم، واحتساب الأجر فيما أصابهم، فتكون بذلك رحمة لهم.

- ٢- حثه ﷺ على التداوي، وبيانه لبعض الأدوية النافعة، وطرق العلاج الناجعة، وعلاجه للمرضى بنفسه.

فقال النبي ﷺ: «ما أنزل الله من داءٍ إلا أنزَلَ له شفاءً»<sup>(٣)</sup>. وفي رواية:

(١) الوصب: المرض والوجع اللازم، والنَّصَبُ: التعب. انظر: شرح النووي على مسلم ٣٧٥/٨.

(٢) أخرجه البخاري ١٠/١٠٣، برقم: ٥٦٤١، ٥٦٤٢، ك: المرضى، ومسلم ٤/١٩٩٢، برقم: ٢٥٧٣، ك: البر والصلة - واللفظ له -.

(٣) أخرجه البخاري ١٠/١٣٤، برقم: ٥٦٧٨، ك: الطب.





«عَلِمَهُ مِنْ عِلْمِهِ، وَجَهْلُهُ مِنْ جَهْلِهِ»<sup>(١)</sup>. قال ابن القيم رحمه الله: «وفي قوله: «لكل داء دواء» تقويةٌ لنفسِ المريض... وحثُّ له على طلب ذلك الدواء، والتفتيش عنه»<sup>(٢)</sup>.

«وَحَسَمَ»<sup>(٣)</sup> بيده سعد بن معاذ لما أُصيب يوم الأحزاب في أُكْحَلِهِ»<sup>(٤)</sup>.

«وكان ﷺ يمسح بيده من يشتكي من أهله - أو غيرهم - ويدعو له»<sup>(٥)</sup>.

٣- عيادته ﷺ للمرضى، والدعاء لهم، وترغيب أُمته في ذلك.

فقد زار ﷺ سعد بن أبي وقاص لما اشتكى، فوضع يده عليه، ثم قال: «اللهم اشفِ سعداً، وأتمِّ له هِجْرَتَهُ»<sup>(٦)</sup>.

وعاد رجلاً محموراً، ودعا له فقال: «لا بأس، طهورٌ إن شاء الله»<sup>(٧)</sup>.

وكان ﷺ ربما بكى ودمعت عيناه عند زيارته المريض رحمةً وشفقةً ورأفةً

(١) مسند أحمد ٣٠/٣٩٨، برقم: ١٨٤٥٦.

(٢) زاد المعاد ٤/١٧.

(٣) أي: كواه ليقطع الدم.

(٤) أخرجه مسلم ٤/١٧٣١، برقم: ٢٢٠٨، ك: السلام، والأكل: عِرْقٌ في اليد يُقَصَد.

(٥) أخرجه مسلم ٤/١٧٢١، برقم: ٢١٩١، ك: السلام.

(٦) أخرجه البخاري ١٠/١٢٠، برقم: ٥٦٥٩، ك: المرضى.

(٧) صحيح البخاري برقم: ٥٦٦٢.

منه ﷺ، كما حدث عند زيارته لسعد بن عباد<sup>(١)</sup>.

وقد رَغِبَ ﷺ أُمته في عيادة المرضى، وَيَنَّ لَهُم عَظِيم ثَوَابها، فقال: «من عاد مريضاً، لم يزل في حُرْفَةٍ<sup>(٢)</sup> الجنة حتى يرجع»<sup>(٣)</sup>.

٤- التخفيفُ عنهم في التكاليف الشرعية؛ مراعاةً لحالهم، ورحمة بهم.  
فقد أمر ﷺ الأئمة بتخفيف الصلاة؛ فقال: «إذا صلى أحدكم للناس فليُخَفِّفْ؛ فإن فيهم الضعيفَ والسقيمَ والكبيرَ...»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

### المطلب الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمعاقين.

فئة المعاقين - أو من يعرفون بذوي الاحتياجات الخاصة -: هم الذي ابتُلوا بشيءٍ من الأمراض والعاهات، بصورةٍ تعوقهم عن أداء وظائف حياتهم على الوجه الأكمل، كغيرهم من الأصحاء؛ كالعميان، ومن به عَرَجٌ، أو جنونٌ وغير ذلك.

(١) صحيح مسلم برقم: ٩٢٤.

(٢) هو الحائط من النخيل، فكأنَّ العائدَ للمريض على نخل الجنة يخترق ثمارها (النهاية: خرف).

(٣) أخرجه مسلم، ٤/ ١٩٨٩، برقم: ٢٥٦٨ - ٤٠، ك: البر والصلة.

(٤) أخرجه البخاري ٢/ ١٩٩، برقم: ٧٠٣، ك: الأذان، والسقيم: الذي به مرض.



وقد شملتهم رحمة النبي ﷺ ورعايته، فكان من مظاهر هذه الرحمة لهم:

١- مواساته ﷺ لهم، وإكرامه إياهم، وبيان عظم ثوابهم.

فقد قال ﷺ: «من يُردِّ الله به خيراً يُصَبِّ منه»<sup>(١)</sup>. أي: يصيبه بالبلايا والمصائب ليشبه عليها<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «يقول الله ﷻ: من أذهبتُ حبيبتيه - يعني: عينيه - فصَبَرَ واحتسَبَ، لم أرضَ له ثواباً دون الجنة»<sup>(٣)</sup>.

وكان ﷺ يُكرِّم ابنَ أمِّ مكتوم الأعمى، ويَهْشُّ له، بعد أن عاتبه ربُّه في شأنه<sup>(٤)</sup>.

٢- قضاؤه ﷺ حاجاتهم، والصبرُ على ما قد يلحقه من المشقة في سبيل ذلك.

فقد كانت امرأة في عقلها شيءٌ، فقالت للنبي ﷺ يوماً: إن لي إليك

(١) أخرجه البخاري ١٠٣/١٠، برقم: ٥٦٤٥، ك: المرضي.

(٢) فتح الباري ١٠٨/١٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٤/٦٠٣، برقم: ٤٤٠١، ك: الزهد، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٨١٤٠.

(٤) انظر: جامع الترمذي ٥/٤٣٢، تفسير سورة عبس، برقم: ٣٣٣١، وتفسير ابن كثير ٣١٩/٨.

حاجة، فقال لها: «يا أمّ فلان! انظري أي السّكك شئت حتى أقضي لك حاجتك»<sup>(١)</sup>.

ولما طلب منه عتبان بن مالك - وكان قد عمي - أن يأتيه في بيته فيُصلي له ليتخذه مصلي، قال له ﷺ: «سأفعل إن شاء الله»، ولَبَّى طلبه<sup>(٢)</sup>.

٣- تحذيره ﷺ من أذيتهم.

فقد قال النبي ﷺ: «لعن الله من كمّه أعمى<sup>(٣)</sup> عن السبيل»<sup>(٤)</sup>.

٤- التيسير عليهم، ورفع الحرج عنهم، وعدم تكليفهم من الأحكام الشرعية إلا ما يطبقونه.

فقد قال ﷺ لعمر بن الجُموح - وقد أراد الجهاد يوم أُحُد وكان به عرجٌ -:

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٨١٢-١٨١٣، برقم: ٢٣٢٦، ك: الفضائل.

(٢) أخرجه البخاري ١/ ٥١٩، برقم: ٤٢٥، ك: الصلاة، ومسلم ١/ ٦١، برقم: ٣٣، ك: الإيمان.

(٣) يعني: أضلّه عن الطريق، يقال: تكمّه في الأرض: ذهب متحيراً ضالّاً لا يدري أين يتجه. (المعجم الوسيط: كمه).

(٤) أخرجه أحمد ٥/ ٢٦، برقم: ٢٨١٦، والحاكم ٤/ ٣٥٦، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٥٨٩١، وهو قطعة من حديث طويل.



«أَمَا أَنْتَ فَقَدْ عَذَّرَكَ اللَّهُ، فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ»، وفي لفظ: «قَدْ وَضَعَ عَنْكَ الْجِهَادَ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

المطلب الرابع: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بموتى المسلمين وشهادتهم.

لم تقتصر رحمته ﷺ على الأحياء من أمته، بل شملت الموتى أيضاً، وكان من معالم هذه الرحمة:

١- حُزْنُهُ ﷺ على فِرَاقِهِمْ، وتأثُّره بفقدهم.

فقد دمعَت عيناه ﷺ حين مات ابنه إبراهيم، وقال: «إِنَّا بَكَ لَمَحْزُونُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وفاضت عيناه لما رُفِعَ إليه ابن ابنته زينب ونفسه تَقَعَّقِعُ<sup>(٣)</sup>، «فلم يملك عينيه من الرحمة والشفقة»<sup>(٤)</sup>.

---

(١) رواه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٢/ ٩٠-٩١)، ومن طريقه أبو نعيم في معرفة الصحابة

٤/ ١٩٨٥، برقم: ٤٩٨٢، وانظر: البداية والنهاية ٥/ ٤١٨.

(٢) تقدم ذكره.

(٣) تقدم ذكره.

(٤) فتح الباري ٣/ ١٥٦.

وفي صنيعه هذا كله ترغيب للأمة «في الشفقة على خلق الله، والرحمة لهم، والترهيب من قساوة القلب، وجمود العين»<sup>(١)</sup>. وحزن ﷺ حُزناً شديداً وذرفت عيناه حين بلغه قتل زيد وجعفر وابن رواحة في غزوة مؤتة<sup>(٢)</sup>. ولم ير ﷺ حَزْنَ حُزْناً قطُّ أشدَّ من حُزْنِه حين قُتِلَ القُرَّاءُ من أصحابه<sup>(٣)</sup>.

## ٢- الصلاة عليهم، وتشيعُ جنازتهم، والمشاركةُ في دفنهم.

فقد كان ﷺ يُصَلِّي على موتى المسلمين، ويُخْلِص في الدُّعاء لهم، ويحثُّ المسلمين على ذلك؛ لما فيه من الرحمة ورجاء المغفرة للميت، وقد أخبرهم «أنَّ من صَلَّى على جنازةٍ فله من الأجر قيراطٌ مثل الجبل العظيم»<sup>(٤)</sup>.

وكان ﷺ «يتبع جنازتهم ويرَغَّبُ المسلمين في ذلك»<sup>(٥)</sup>.

وكان ﷺ «إذا فاتته الصلاة على الجنازة، ذهب إلى قبر الميت، وصَلَّى على

القبر؛ كما صلى على قبر رجلٍ دُفِنَ بليلاً لما أصبح»<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر السابق ٣/ ١٥٨.

(٢) صحيح البخاري ٣/ ١١٦، برقم: ١٢٤٦، ك: الجنائز.

(٣) صحيح البخاري ٣/ ١٦٧، برقم: ١٣٠٠، ك: الجنائز.

(٤) صحيح البخاري برقم: ١٣٢٥، ك: الجنائز. وانظر: شرح صحيح مسلم للنووي ٤/ ٣٧.

(٥) صحيح البخاري برقم: ١٣٢٣، ك: الجنائز.

(٦) صحيح البخاري ٣/ ١١٧، برقم: ١٢٤٧، ك: الجنائز.



٣- إحسانه إليهم بعد موتهم ودفنهم، وكف الأذى عنهم.

ومن صور هذا الإحسان وتلك الرحمة:

أ/ ترغيب المسلمين في الدعاء للميت بعد دفنه، فكان يقول لهم:

«استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسأل»<sup>(١)</sup>.

ب/ زيارته ﷺ لقبورهم، والسلام عليهم، والدعاء والاستغفار لهم،

فكان يخرج إلى البقيع من آخر الليل، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين...

اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»<sup>(٢)</sup>.

ج/ ورغب أمته في ذلك، فقال: «زوروا القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة»<sup>(٣)</sup>.

د/ ونهى ﷺ عن سب الأموات، فقال: «لا تسبوا الأموات؛ فإنهم

أَفْضَوْا<sup>(٤)</sup> إلى ما قَدَّمُوا»<sup>(٥)</sup>.

هـ/ وأشفق ﷺ على العصاة والمُذنبين منهم؛ فقد مرَّ ﷺ على قبرين

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٥٥٠، برقم: ٣٢٢١، ك: الجنائز، والحاكم ١/ ٣٧٠، وصححه ووافقه

الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٩٤٥.

(٢) أخرجه مسلم ٢/ ٦٦٩، برقم: ٩٧٤، ك: الجنائز.

(٣) أخرجه مسلم ٢/ ٦٧١، برقم: ٩٧٦-١٠٨، ك: الجنائز.

(٤) أي: وصلوا إلى ما عملوا من خير أو شر. فتح الباري ٣/ ٢٥٩.

(٥) أخرجه البخاري ٣/ ٢٥٨، برقم: ١٣٩٣، ك: الجنائز.

يُعَذِّبُ صاحباهما، فَوَضَعَ جريدةً رطبةً على كُلِّ قَبْرٍ، وقال: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسُ»<sup>(١)</sup>.

و/ ونهى ﷺ عن الجلوس على قبورهم أو الاتكاءِ عليها، فقال: «لأنَّ يجلس أحدكم على جَمْرَةٍ، فتحرق ثيابه، فتخلص إلى جلده، خيرٌ له من أن يجلس على قَبْرِ»<sup>(٢)</sup>.

ورأى ﷺ رجلاً متكىئاً على قبرٍ، فقال: «لا تُؤذِ صاحبَ هذا القبرِ»<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه البخاري ٢٢٢/٣، برقم: ١٣٦١، ك: الجنائز.

(٢) أخرجه مسلم برقم: ٩٧١، ك: الجنائز.

(٣) أخرجه أحمد ٣٩/٤٧٦، برقم: ٣٩/٤٢٠٠٩، قال الحافظ ابن حجر: «إسناده صحيح».

فتح الباري ٢٢٥/٣.

وانظر: نبي الرحمة ٣٤٩-٣٥٧، رحمة للعالمين / ٣٥٦-٣٥٧.



## المبحث السادس

### معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالجاهلين والعصاة والمذنبين

فقد كان ﷺ رفيقاً رحيماً بهؤلاء؛ فالجاهل يُعَلِّم بلطفٍ من غير عُنْفٍ،  
والعاصي يُرَفِّقُ به ويُفَتِّحُ له باب الأمل في التوبة والإنابة، وفيما يأتي نستعرض  
بعضاً من صور رفقته ورحمته لهاتين الطائفتين:

**المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالجاهلين.**

تمثلت رحمته ﷺ بالجاهلين فيما يأتي:

- ١- الرِّفْقُ بِهِمْ، والتَّلَطُّفُ معهم، وترك الشَّدَّةِ والتعنيف والتفريع لهم.
- فعن أنس رضي الله عنه: «أن أعرابياً بالَ في المسجد، فصاح به الناس، وفي رواية:  
فزجره الناس، فنهاهم النبي ﷺ، وقال: «دَعُوهُ»، وفي رواية: «لا تُزْرِمُوهُ»<sup>(١)</sup>.
- فلما قضى الأعرابيُّ بوله أَمَرَ النبي ﷺ بِذَنُوبٍ<sup>(٢)</sup> من ماءٍ فَأَهْرِيقْ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أي: لا تقطعوا عليه بوله. النهاية ٢/ ٣٠١- زرم.

(٢) الذَّنُوبُ: الدَّلُو العظيمة المثلثة بالماء. (المصباح المنير ١/ ٢١٠).

(٣) أخرجه البخاري ١/ ٣٢٢، برقم: ٢١٩-٢٢١، ك: الوضوء، ومسلم ١/ ٣٢٦، برقم: ٢٨٤

- ٢٨٥، ك: الطهارة.

فانظر إلى رفق النبي ﷺ بهذا الرجل رغم سوء ما ارتكب: فلم يعنّفه، وكفّ الناس عنه لما همّوا به، ونهاهم عن زجره، وتقريعه، ولم يقطع عليه بوله؛ لما في ذلك من المضرّة عليه.

وكل هذا رفق منه ﷺ بالجاهل، وترك لأذيته وتعنيفه<sup>(١)</sup>؛ ولذلك قال هذا الأعرابي بعدما فقّه: فقام إليّ - بأبي وأمي - فلم يؤنّب، ولم يسب<sup>(٢)</sup>.

وفي واقعة أخرى يحكي لنا معاوية بن الحكم السلمي: «أنه كان في الصلاة مع النبي ﷺ، فعطس رجلٌ، فقال له معاوية: يرحمك الله. قال: فرماني القومُ بأبصارهم، فقلت: وائْكُلْ أُمِّيَاهُ<sup>(٣)</sup>، ما شأنكم تنظرون إليّ؟!...! الحديث<sup>(٤)</sup>.

ثم وصف معاوية تصرّف النبي ﷺ معه بعد الصلاة، فقال: فلمّا صلّى رسول الله ﷺ، فبأبي هو وأمي!... فوالله ما كهرني<sup>(٥)</sup>، ولا ضَرَبَنِي، ولا شَتَمَنِي. قال الإمام النووي: «فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق...

(١) انظر: شرح النووي على مسلم ٢/ ١٩٤، فتح الباري ١/ ٣٢٥.

(٢) سنن ابن ماجه ١/ ١٧٦، برقم: ٥٢٩.

(٣) أي: وافقد أُمِّي إِيَّاي، فإني هلكت.

(٤) أخرجه مسلم ١/ ٣٨١، برقم: ٥٣٧، ك: المساجد ومواضع الصلاة.

(٥) أي: ما نهري.

ورفقه بالجاهل<sup>(١)</sup>.

## ٢- الحرص على تعليمهم ما يلزمهم، وبيان الصواب لهم.

ففي قصة بول الأعرابي، وقصة تكلم معاوية في الصلاة الماضي ذكرهما، لم يكن النبي ﷺ رفيقاً بهما فحسب، بل أخذ في تعليمهما، ورفع الجهل عنهما؛ فقال للأعرابي: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷻ، والصلاة، وقراءة القرآن».

وفي حديث معاوية بن الحكم، قال له: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس؛ إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن». فأحسن ﷺ تعليمهما في غير عنف، وأزاح الجهل عنهما بلطف، فما أرحمه وأرأفه وأشفقه ﷺ. قال الإمام النووي رحمه الله: «فيه الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير

تعنيف ولا إيذاء، إذا لم يأت بالمخالفة استخفافاً وعناداً»<sup>(٢)</sup>.

وقال العز بن عبد السلام: «الرفق بالجاهل يؤلفه ويحثه على التعلم والعمل، والعنف يُنفّره عن التعلم والعمل»<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح صحيح مسلم ٢٧/٣.

(٢) شرح صحيح مسلم ١٩٤/٢. وانظر: فتح الباري ١/٣٢٥.

(٣) شجرة المعارف والأحوال: ٢٣٠.

٣- التسامح معهم، وقبول اعتذارهم، وترك المؤاخذه والعتاب لهم.  
ففي حديث المرأة التي كانت تبكي عند القبر، «أمرها ﷺ بالصبر فردت عليه بما لا يليق، ثم جاءته معذرة، فقبل ﷺ عُذْرَهَا وسامحها، ولم يعاتبها»<sup>(١)</sup>، قال الحافظ ابن حجر: «في هذا الحديث... ما كان فيه ﷺ من التواضع والرفق بالجاهل، ومساحة المصاب، وقبول اعتذاره»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالعصاة والمذنبين.  
وتتمثل معالم الرحمة في علاقته ﷺ بأهل المعاصي فيما يأتي:  
١- تحذيره ﷺ أمته من المعاصي، وبيان خطر الوقوع فيها، وحثهم على الإقلاع عنها.

وذلك بما بينه لهم من حدود الله ومحارمه بياناً شافياً بالكتاب والسنة؛ استنفاذاً لهم من عذاب الله، فكان كما قال ﷺ: «إنما مثلي ومثل أمتي كمثلي رجل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه، فأنا آخذٌ بحجزكم»<sup>(٣)</sup>،

(١) أخرجه البخاري ١٤٨/٣، برقم: ١٢٨٣، ك: الجنائز.

(٢) فتح الباري ١٥٠/٣.

(٣) جمع حُجْزة، وهو مجمع الإزار والسرراويل. (النهاية: حجز).



وأنتم تقحّمون<sup>(١)</sup> فيه<sup>(٢)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «في الحديث ما كان منه ﷺ من الرأفة والرحمة والحرص على نجاة الأمة»<sup>(٣)</sup>.

وبوب النووي على هذا الحديث بقوله: «باب شفقتة ﷺ على أمته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم».

٢- اختباؤه ﷺ دعوته المستجابة شفاعة لأمره، فينتفع بها أهل الذنوب والمعاصي منهم<sup>(٤)</sup>.

٣- ترغيبه ﷺ العصاة والمذنبين في التوبة والاستغفار، وبيان فضل ذلك، وأن الله سبحانه يقبل توبة التائبين، ويغفر ذنوب العاصين، بل ويفرح سبحانه برجوع التائبين إليه.

فقد قال ﷺ مُرَغَّباً في التوبة: «يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فإني أتوبُ في

(١) تقحّم: أدخل نفسه في الشيء من غير رَوِيَّة. (مختار الصحاح: ق ح م).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٣١٦/١١، برقم: ٦٤٨٣، ك: الرقاق، ومسلم ١٧٨٩/٤، برقم: ٢٢٨٤، ك: الفضائل.

(٣) فتح الباري ٣١٨/١١.

(٤) تقدم ذكره.

اليوم واللييلة مئة مرة»<sup>(١)</sup>.

بل كان ﷺ يفرح ويُسّر بتوبة الله على عباده، ويبشرهم بذلك؛ فإنه لما نزلت توبة كعب بن مالك، أقبل يُسلم على النبي ﷺ، فوجده يبرق وجهه من السرور، وقال له: «أبشّر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك»<sup>(٢)</sup>.

٤- حرصه ﷺ على درء الحدود عنهم، والستر عليهم.

ففي قصة المعترف على نفسه بالزنا بين يديه ﷺ، ردّه مراراً، وقال له مرة: «ويحك! ارجع فاستغفر الله وتب إليه»<sup>(٣)</sup>. ثم لقنه الرجوع عن إقراره، فقال له: «لعلك قبّلت أو غمزت»<sup>(٤)</sup>.

وكذا فعل ﷺ مع المرأة الغامدية التي أقرّت على نفسها بالزنا بين يديه<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٧٥، برقم: ٢٧٠٢-٤٢، ك: الذكر، والدعاء والتوبة والاستغفار.

(٢) صحيح مسلم برقم: ٢٧٦٩.

(٣) صحيح مسلم برقم: ١٦٩٥.

(٤) صحيح البخاري ١٢/ ١٣٥، برقم: ٦٨٢٤، ك: الحدود. ومعنى «غمزت»: أي أشرت بعينك أو يدك، أو المراد: الغمز باليد، أي: لمست. فتح الباري ١٢/ ١٣٥.

(٥) صحيح البخاري ١٢/ ١٢٠، برقم: ٦٨١٥، ومسلم ٣/ ١٣١٨، برقم: ١٦٩١، وما بعده،

كلاهما في ك: الحدود.



## المبحث السابع

### معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمسافرين والغرباء

إن المسافر والغريب في أمس الحاجة إلى الرحمة والشفقة؛ لما يكابدانه من مشاق السفر، وآلام الغربة. وقد وصف ﷺ هذه المعاناة بقوله: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم نومّه وطعامه وشرابه»<sup>(١)</sup>.

ولقد نال هذين الصنفين من شفقة النبي ﷺ ورحمته وعنايته ما سنبين طرفاً منه في المطالب الآتية:

**المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمسافرين.**

يمكن أن نستجلي بعضاً من مظاهر رحمته ﷺ بالمسافرين فيما يأتي:

١- أنه ﷺ شرع لهم جملة من الرخص في العبادات تيسيراً عليهم، ورأفةً

بهم، فمن ذلك:

أ/ قصر الصلاة الرباعية في السفر إلى ركعتين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أخرجه البخاري ٦٢٢/٣، برقم: ١٨٠٤، ك: العمرة، ومسلم ١٥٢٦/٣، برقم: ١٩٢٧، ك: الإمارة.

(٢) صحيح البخاري ٥٧٧/٢، برقم: ١١٠٢، ك: تقصير الصلاة، ومسلم ٤٧٩/١، برقم: ٦٨٩، ك: صلاة المسافرين.

- ب/ الجمع بين الظهر والعصر، والمغرب والعشاء في وقت أحدهما<sup>(١)</sup>.
- ج/ الفطر في رمضان على أن يقضيه المسافر بعد عودته وإقامته<sup>(٢)</sup>.
- د/ مشروعية صلاة النافلة على الدابة والمركوب حيثما توجَّهت به، يومي برأسه إيماءً<sup>(٣)</sup>. إلى غير ذلك من الرُّخص الكثيرة التي شُرعت للمسافر تيسيراً له، وتخفيفاً عليه، ورحمةً به.

- ٢- كراهته ﷺ أن يسافر المرء وحده بلا رفقة أو أن يسير وحده بالليل.
- فقد قال ﷺ: «الرَّكْبُ شَيْطَانٌ، والراكبان شيطانان، والثلاثة رَكْبٌ»<sup>(٤)</sup>.
- وقال ﷺ: «لو يعلم الناس ما في الْوَحْدَةِ ما أَعْلَمَ، ما سار راکبٌ بليلاً وحده»<sup>(٥)</sup>.

- (١) صحيح البخاري ٥٧٩/٢ برقم: ١١٠٧، ك: تقصير الصلاة.
- (٢) صحيح البخاري ١٨٦/٤، برقم: ١٩٤٧، ١٩٤٨، ومسلم ٧٨٤/٢، برقم: ١١١٣، كلاهما في ك: الصيام.
- (٣) صحيح البخاري ٤٨٩/٢، برقم: ١٠٠٠، ك: الوتر، ومسلم ٤٨٨/١، برقم: ٧٠١، ٧٠٢، ك: صلاة المسافرين.
- (٤) أخرجه أبو داود ٨٠/٣، برقم: ٢٦٠٧، والترمذي ١٩٣/٤، برقم: ١٦٧٤، وأحمد ١١/٦٠، برقم: ٦٧٤٨، قال الترمذي: حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٣٥٢٤. والرَّكْبُ: جمع راكب، وهم جماعة السَّفر عشرة فما دونهم.
- (٥) أخرجه البخاري ١٣٧/٦ برقم: ٢٩٩٨، ك: الجهاد.



وهذه رحمةٌ منه ﷺ وشفقةٌ بالمسافر؛ لما في سفر الشخص وحده من الخوف، وفقد المعين، والتعرُّض للمضار والآفات<sup>(١)</sup>.

٣- أمره ﷺ المسافر أن يُعَجِّلَ بالرجوع إلى أهله، ولا يتأخر بعد قضاء حاجته لغير ضرورة. قال ﷺ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ فَإِذَا قُضِيَ أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ<sup>(٢)</sup>، فليُعَجِّلْ إلى أهله»<sup>(٣)</sup>. فأمره ﷺ بالرجوع إلى أهله؛ «ليريح نفسه، ويُفرح أهله»<sup>(٤)</sup>. ولا شك أن ذلك من الرحمة بالمسافر وأهله.

٤- إعانتُهُ ﷺ للمسافرين ومساعدتهم وتفقدُهم.

فقد كان من رحمته ﷺ بالمسافرين، وشفقته عليهم: أنه كان في السفر: «يتخلَّف في المسير، فيُرْجى<sup>(٥)</sup> الضَّعِيفَ، ويُردِّف<sup>(٦)</sup>، ويدعو لهم»<sup>(٧)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري ٦/١٣٨، فيض القدير ٤/٤٤.

(٢) يعني: حاجته.

(٣) تقدم تخريجيه.

(٤) فتح الباري ٦/١٣٩.

(٥) أي: يسوقه ليلحقه بالرِّفاق. (النهاية: زجا).

(٦) أي: يُركَّبُ خلفه الضعيف من المشاة، أو من عِيِي ظهْرُه - أي: دابته -.. انظر: عون المعبود ٧/٣٠٠، بذل المجهود ٩/٢٣٤.

(٧) أخرجه أبو داود ٣/١٠٠، برقم: ٢٦٣٩، ك: الجهاد، والحاكم ٢/١١٥، وصححه على=

٥- توديعه ﷺ للمسافرين ووصيتهم والدعاء لهم.

فقد كان ﷺ يودّع من أراد سفرًا فيقول له: «أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك»<sup>(١)</sup>. وأوصى ﷺ مسافرًا فقال له: «أوصيك بتقوى الله»، فلما ولى الرجل دعا له فقال: «اللهم اطو له الأرض، وهوّن عليه السفر»<sup>(٢)</sup>. وهذا كله شفقة ورأفة منه ﷺ بهذا المسافر؛ لما هو مُقَدِّمٌ عليه من المتاعب والمشاق.

\*\*\*

المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالغرباء.

أما مظاهر رحمته ﷺ بالغرباء<sup>(٣)</sup> فنذكر منها:

١- حسن استقبالهم، والترحيب بهم، والانبساط إليهم.

فقد تلقى ﷺ وفد عبد القيس قائلاً: «مرحباً بالقوم - أو بالوفد - غير

= شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(١) أخرجه الترمذي ٤٩٩/٥، برقم: ٣٤٤٣، وقال: حسن صحيح، وصححه الحاكم ٩٧/٢،

على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي ٥٠٠/٥، برقم: ٣٤٤٥، ك: الدعوات، وقال: حسن، وصححه الحاكم

٩٨/٢ على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٣) الغرباء: جمع غريب، يقال: غُربَ عن وطنه غُربةً: ابتعد. (المعجم الوسيط: غرب).

خزايا ولا ندامي»<sup>(١)</sup>.

وهذا منه ﷺ إيناسٌ للقادم وبسطٌ له، خاصةً إذا كان غريباً<sup>(٢)</sup>.

٢- الرِّفْقُ بهم، والإحسان إليهم، ورفعُ المشقَّةِ والخرج عنهم.

ففي حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببةٌ متقاربون<sup>(٣)</sup>، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً - وفي رواية: رقيقاً - فلما رأى شوقنا إلى أهلينا، قال: ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعَلِّمُوهم...»<sup>(٤)</sup>.

قال العز بن عبد السلام: «هذا إحسان إلى المسافرِ وأهله بجمع شملهم»<sup>(٥)</sup>. وقال ابن حجر: «في الحديث... ما كان عليه ﷺ من الشفقة»<sup>(٦)</sup>.

وقال اليعقوبي: «أراد ﷺ ألا يشقَّ عليهم، ولا على أهليهم...»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه البخاري ١/١٢٩، برقم: ٥٣، ومسلم ١/٤٥٧، برقم: ١٧-٢٤، كلاهما في ك: الإيمان.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١/٢٢٧، فتح الباري ١/١٣١.

(٣) أي: شباب متقاربون في السن، وشببة: جمع شاب.

(٤) أخرجه البخاري ٢/١١٠، برقم: ٦٢٨، ك: الأذان، ومسلم برقم: ٦٧٤، ك: المساجد.

(٥) شجرة المعارف ٩٠.

(٦) فتح الباري ٢/١٧٢.

(٧) الأنوار في شمائل المختار ١/٢٠٦.

٣- تواضعه ﷺ للغرباء، وخفض الجناح لهم، والاهتمام بهم.

فيحكي أبو رفاعَةَ موقفاً مع النبي ﷺ يدلُّ على غاية رفقهِ ﷺ بالغرباء، فيقول: انتهيتُ إلى النبي ﷺ وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله! رجلٌ غريبٌ جاء يسأل عن دينهِ، لا يدري ما دينهِ، قال: فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ، وترك خُطْبَتَهُ حتى انتهى إليَّ، فأُتي بكرسيٍّ... فقعد عليه رسول الله ﷺ.

وجعل يُعلِّمني ممَّا علَّمه الله، ثم أتى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخرها<sup>(١)</sup>.

قال النووي: «فيه تواضع النبي ﷺ ورفقه بالمسلمين وشفقته عليهم،

وخفض جناحه لهم»<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه مسلم ٥٩٧/٢، برقم: ٨٧٩، ك: الجمعة.

(٢) شرح صحيح مسلم ٤٣١/٣.

## المبحث الثامن

### معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالأعداء والمخالفين

لما كانت بعثته ﷺ رحمةً للعالمين، فإن جميع طوائف الناس قد حصل لهم النفع برسالتِهِ، ونالتهم رحمته وشفقته؛ فكان ﷺ رحمةً للمؤمنين باهتمامهم بما جاء به، فنالوا كرامة الدنيا والآخرة، ورحمةً للكافرين المعاندين بتأخير العذاب عنهم، ورحمةً للمنافقين بالأمان لهم من القتل<sup>(١)</sup>.

أما رحمته ﷺ بالمؤمنين فقد مضى بيان صورِ منها في المباحث السابقة، ونستعرض فيما يأتي شيئاً من ملامح الرحمة في علاقته بالكفار والمنافقين والمعاهدين.

#### المطلب الأول: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمنافقين.

والمنافقون: هم الذين يُظهرون الإيمانَ ويُسرُّون الكفرَ، ويُظهرون الخيرَ ويُسرُّون الشرَّ<sup>(٢)</sup>، ومن معالم الرحمة في علاقته ﷺ بهم:

- إحسانُ معاملتهم، والصبرُ على أذاهم، والعفو عن إساءتهم.

(١) انظر: الشفا ١/ ١٥، جلاء الأفهام: ١٩٦-١٩٧.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٧٨.

فقد عاملهم النبي ﷺ معاملة المؤمنين: من الرحمة بهم، والإحسان إليهم، وذلك إجراءً لحلمهم على الظاهر، دون البحث عما تكنه سرائرهم<sup>(١)</sup>، وذلك بالرغم مما لقيه ﷺ منهم من الأذى والمكر والكيد للإسلام وأهله، حتى وصل الأمر بكبيرهم ورأسهم عبد الله بن أبي بن سلول إلى أذية النبي ﷺ في عرضه وأهله، لما أشاع قالة السوء عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكان المتولي كبرها<sup>(٢)</sup>.

ومن أشهر مواقفه ﷺ في الإحسان إليهم: موقفه من رأس النفاق وزعيم المنافقين ابن سلول عندما مات، «فقد جاء ابنه - وكان من فضلاء الصحابة - إلى النبي ﷺ وسأله أن يعطيه قميصه ليكفن فيه أباه؛ تطهيراً له، ورغبة في تخفيف العذاب عنه، فأعطاه إياه، ثم سأله أن يصلي عليه، فصلى عليه، حتى أنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]»<sup>(٣)</sup>.

قال الخطابي: «إنما فعل النبي ﷺ مع عبد الله بن أبي ما فعل؛ لكمال شفقتة على من تعلق بطرف من الدين، ولتطيب قلب ولده عبد الله الرجل

(١) انظر: الرحمة والعظمة: ٥١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم ١٩/٦.

(٣) أخرجه البخاري ٨/٣٣٣، برقم: ٤٦٧٠، ك: التفسير.



الصالح...»<sup>(١)</sup>. وذلك منه ﷺ: إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بُعث إليه<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

**المطلب الثاني: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالكافرين.**

تمثلت معالم رحمة المصطفى ﷺ بالكفار المعاندين في كثير من المواقف المشرقة، والتي تمتلئ بها سيرته العطرة، مما حدا بكثير من مثقفي الغرب المنصفين إلى الوقوف إجلالاً وإكباراً أمام عظمة هذا النبي المصطفى الكريم ﷺ. مُسَجِّلِينَ بِإِعْجَابٍ وانبهارٍ شهاداتهم الصادقة لتكون أبلغ ردّاً على الحاقدين على الإسلام ونبيِّ الإسلام في كلِّ زمانٍ ومكانٍ<sup>(٣)</sup>.

ومن أبرز جوانب الرحمة مع هؤلاء:

١- حرصه الشديد ﷺ على هدايتهم وإيمانهم، وحزنه وحسرتة على كفرهم وعنادهم وإعراضهم عن الحق.

وذلك من تمام شفقتة ورحمته ﷺ، حتى أصابه من جراء ذلك الهمُّ والحزنُ، حتى رحمه ربُّه سبحانه، فقال له جل وعلا مُسَلِّياً: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾

(١) فتح الباري ٨/ ٣٣٦.

(٢) المصدر السابق ٨/ ٣٣٩، وانظر: الرحمة والعظمة: ٥١.

(٣) انظر طرفاً من هذه الشهادات والأقوال في: نبي الرحمة: ٢٢٢-٢٣١.

[النمل: ٧٠]، وقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعُ نَفْسِكَ عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، أي: لا تقتل نفسك وتهلكها حُزناً وأسفاً عليهم لعدم إيمانهم، إنما أنت مُبلِّغٌ، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فعليها، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨]<sup>(١)</sup>.

٢- صبره على أذاهم وتكذيبهم، وعدم استعجال العذاب عليهم؛ رجاء هدايتهم.

فإنه لما اشتدَّ أذى المشركين له، وتكذيبهم إياه، أرسل الله - سبحانه - إليه ملكَ الجبال، فقال له: إن شئت أن أُطَبِّقَ عليهم الأخشبين<sup>(٢)</sup>، فأجابه ذو القلب الرحيم ﷺ: «بل أرجو أن يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وحده لا يشرك به شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

قال الحافظ ابن حجر: «في هذا الحديث بيانُ شفقة النبي ﷺ على قومه،

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم ٥/ ١٣٧، شخصية الرسول ﷺ ٤٦-٤٧، سيرة الرسول ﷺ ٥٤.

(٢) هما جبلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله. (فتح الباري ٦/ ٣١٦).

(٣) أخرجه البخاري ٦/ ٣١٢ برقم: ٣٢٣١، ك: بدء الخلق، ومسلم ٣/ ١٤٢٠، برقم: ١٧٩٥، ك: الجهاد والسير.





ومزيد صبره وحلمه، وهو موافق لقوله تعالى....: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] (١).

### ٣- زيارتهم ومواساتهم.

فقد مضى معنا ذكر زيارته ﷺ للغلام اليهودي الذي كان يخدمه لما مرض. وهذا - لا شك - برٌّ منه وإحسان، وحسن عهد ووفاء، ورحمة وشفقة حتى مع غير المسلمين، فصلوات ربي وسلامه عليه من رسول كريم رحيم.

٤- مقابلة إساءاتهم بالإحسان، والدعاء لهم شفقةً عليهم، ورحمةً بهم.

فإنهم لما أدموه يوم أحد، قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» (٢). ولما أبطأت قريش عن الإسلام واشتدَّ إعراضها، دعا عليهم ﷺ، فأخذتهم سنة (٣) حتى أكلوا الميتة والجيف، فجاء أبو سفيان، وقال: «إن قومك قد هلكوا فادعُ الله لهم، فدعا ﷺ لهم فسُقوا» (٤).

(١) فتح الباري ٦/٣١٦، وانظر: مكانة النبي ﷺ عند ربه: ٢١.

(٢) صحيح البخاري ١٢/٢٨٢، برقم: ٦٩٢٩، ك: استتابة المرتدين، ومسلم ٣/١٤١٧، برقم: ١٧٩٢، ك: الجهاد.

(٣) أي: قحط.

(٤) أخرجه البخاري ٢/٤٩٢، برقم: ١٠٠٧، ١٠٢٠، ك: الاستسقاء.

٥- وأما في حروبه ومعاركه معهم: فقد حوت سيرته ﷺ مواقف رائعة في الرحمة والشفقة، وذلك بالرغم من شدة عداوتهم له، وتآمرهم ضده، وبغيهم عليه، وسعيهم بكل الطرق لاستئصال دينه، ووَادِ دعوته. فمن هذه المواقف العطرة في رحمته ﷺ بأعدائه في حربه معهم:

أ- نهيه ﷺ عن قتل النساء والصبيان.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن امرأةً وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولةً، فأنكرَ النبي ﷺ قَتَلَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ»<sup>(١)</sup>. وكان ﷺ إذا أرسل جيشاً أو صاه بعدم قتل الولدان<sup>(٢)</sup>.

ب- نهيه ﷺ عن المثلة والغدر.

فقد كان ﷺ إذا بعث سريةً لقتال العدو أو صاهم بقوله: «سيروا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، ولا تُمَثِّلُوا»<sup>(٣)</sup>، ولا تَغْدِرُوا»<sup>(٤)</sup>، ولا تقتلوا

(١) أخرجه البخاري ٦/١٤٨، برقم: ٣٠١٤، ٣٠١٥، ومسلم ٣/١٣٦٤، برقم: ١٧٤٤، كلاهما في الجهاد.

(٢) صحيح مسلم برقم: ١٧٣١/٣، ك: الجهاد.

(٣) يقال: مثَّل بالقتيل، إذا جَدَعَ أنفه أو أذنه، أو شيئاً من أطرافه، ومَثَّلَ بالتشديد للمبالغة، والاسم: المَثَلَة. (النهاية: مثل، مختار الصحاح: م ث ل).

(٤) الغَدْر: تركُ الوفاء. (مختار الصحاح: غدر).



وليداً<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

ج - الإحسان إلى أسراهم، وحسن معاملتهم، والمنُّ عليهم.

«فلما أسر المسلمون المشركين في معركة بدر، استشار النبي ﷺ أبا بكر وعمر في شأنهم، فأشار أبو بكر بأخذ الفدية منهم، وأشار عمر بقتلهم، فهوي<sup>(٣)</sup> النبي ﷺ ما قال أبو بكر؛ تغليباً لجانب الرحمة على جانب العقوبة، فأخذ منهم الفداء<sup>(٤)</sup>».

فحصل ببركة هذه الرحمة النبوية والرفق المحمدي خيرٌ كثيرٌ: بإسلام أكثر هؤلاء الأسرى، وخروج من خرج من أصلاهم من المسلمين، وحصول القوة للمسلمين بأخذ الفداء<sup>(٥)</sup>.

وأوصى ﷺ أصحابه يوم بدر بالأسارى، فقال: «استوصوا بهم خيراً»،

(١) الوليد: الطفل، وجمعه: ولدانٌ. (النهاية: ولد).

(٢) أخرجه ابن ماجه ٢/٩٥٣، برقم: ٢٨٥٧، ك: الجهاد، وحسن إسناده في زوائد ابن ماجه - كما نقله محقق السنن - وقال الألباني: حسن صحيح. صحيح سنن ابن ماجه برقم: ٢٣٠٦.

(٣) أي: استحسنه وأحبه.

(٤) أخرجه مسلم ٣/١٣٨٥، برقم: ١٧٦٣، ك: الجهاد، وانظر: زاد المعاد ٣/١١١، تفسير القرآن العظيم ٤/١٩-١٨.

(٥) انظر: زاد المعاد ٣/١١١.

فكان أصحاب النبي ﷺ يؤثرونهم بالخبز ويأكلون التمر؛ لو وصية النبي ﷺ لهم<sup>(١)</sup>. «فكان في إكرامه للأسرى مظهرٌ فريدٌ من مظاهر الرحمة»<sup>(٢)</sup>.

د- منعه ﷺ من التفريق في السَّبي بين الوالدة وولدها.  
فقد قال ﷺ: «من فرَّق بين والدَةٍ وولدها»<sup>(٣)</sup>، فرَّق الله بينه وبين أحبَّته يومَ القيامة»<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

المطلب الثالث: معالم الرحمة في علاقته ﷺ بالمعاهدين والمستأمنين.

المعاهدُ: هو الذي له عَهْدٌ - وهو الأمان والمؤثوق - مع المسلمين، سواء كان بعقد جزية، أو هدنة مع السلطان، أو أمان من مسلم.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٣٩٣/٢٢، برقم: ٩٧٧، قال الهيثمي: إسناده حسن. مجمع الزوائد ٨٦/٦.

(٢) نبي الرحمة: ٢٣٨.

(٣) وذلك ببيع أو هبة أو نحوهما. فيض القدير ١٨٧/٦.

(٤) أخرجه الترمذي ١٣٤/٤، برقم: ١٥٦٦، ك: السير، وحسنه، وصححه الحاكم على شرط مسلم. المستدرک ٥٥/٢، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير برقم: ٨٨٨٧، ووافقه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٦٤١٢.



وأكثر ما يُطلق على أهل الذِّمَّة، سُمُّوا بذلك لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم وضمانهم، ويقال له أيضاً: المُستأمن<sup>(١)</sup>.

ولقد كان من معالم رحمته ﷺ بهذا الصنف من المخالفين:

- ١- وصيته ﷺ بالوفاء بعهدهم، والنهي عن خيانتهم أو الغدر بهم.  
فقد قال ﷺ: «من كان بينه وبين قوم عهدٌ، فلا يَشُدُّ عُقْدَةً ولا يَحُلُّهَا، حتى ينقضي أمدها أو يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ على سواء»<sup>(٢)</sup>.  
والمعنى: أن من كان بينه وبين قوم من غير المسلمين عقد أمانٍ إلى وقتٍ محدَّدٍ، فلا ينقض العهد ولا يغيِّره حتى تنقضي غايته المحددة، فإذا خاف منهم خيانةً أخبرهم بنقض العهد بينه وبينهم؛ لكي لا يكون غَدْرًا<sup>(٣)</sup>.
- ٢- تحريم قتلهم بغير حقٍّ.

فقد جاء النهي والزجر والوعيد الشديد عنه ﷺ في قتل المعاهد، فقال

- 
- (١) انظر: النهاية في غريب الحديث ١٦٨/٢ (ذمم)، ٣/٣٢٥ (عهد)، تفسير القرآن العظيم ٣/٣٦٣، فتح الباري ١٢/٢٥٩، فيض القدير ٦/١٩٣.
  - (٢) أخرجه أبو داود ٣/١٩٠، برقم: ٢٧٥٩، ك: الجهاد، واللفظ له، والترمذي ٤/١٤٣ برقم: ١٥٨٠، ك: السير، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: ٦٤٨٠.
  - (٣) انظر: تحفة الأحوذى ٤/٥٣٣، رحمة للعالمين: ٦٠.

ﷺ: «من قتل معاهداً لم يَرَحْ»<sup>(١)</sup> رائحة الجنة، وإنَّ ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية: «من قتل قتيلاً من أهل الذِّمَّة...»<sup>(٣)</sup>.

٣- تحريم ظلمهم وأذيتهم والإساءة إليهم.

قال ﷺ: «ألا من ظَلَمَ مُعَاهِداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيبِ نفسٍ، فأنا حَجِيجُهُ»<sup>(٤)</sup> يوم القيامة»<sup>(٥)</sup>.

\*\*\*

(١) أي: لم يُشَمَّ ريحها. (النهاية: روح).

(٢) أخرجه البخاري ٦/٢٦٩، برقم: ٣١٦٦، ك: الجزية والمواذعة.

(٣) السنن الكبرى للنسائي ٦/٣٣٦، برقم: ٦٩٢٦، ك: القسامة.

(٤) أي: مُحَاجَّجُهُ ومغالبه بإظهار الحُجَّةِ عليه. (النهاية: حجج).

(٥) أخرجه أبو داود ٣/٤٣٧، برقم: ٣٠٥٢، ك: الخراج والإمارة، والبيهقي ٩/٢٥٠،

وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ٤٤٦، وانظر: نبي الرحمة: ٢٥٣.



## الخاتمة

إن العيش في رحاب السيرة النبوية، ومدارسة الأخلاق والشمائل المحمدية، والعمل على التخلق بها، وترسمها سلوكاً عملياً في حياة المسلمين، ثم الدعوة إليها ونشرها والتعريف بها، لمن أهم المهمات، خاصة في هذا العصر الذي صوّب فيه الحاقدون والمغرضون من أعداء الملة والدين سهامهم إلى الإسلام ونبيّ الإسلام، محاولين النيل من شخصه الكريم، والطعن في أخلاقه، وتشويه صورته.

وإن قيام أبناء هذه الأمة بدورهم في صدّ هذه الهجمة الشرسة - كلُّ بما يستطيعه - لمن أوجب الواجبات، وفاءً بحقه ﷺ علينا، وردّاً للأكاذيب والافتراءات التي يُروّجون لها زوراً وبهتاناً، على أن يتم ذلك بمنهجية مدروسة، وفي إطار جهود منظمة، بعيداً عن الانفعالات العاطفية التي تضر أكثر مما تنفع.

وإن هذا المؤتمر المبارك - الذي يُعدُّ هذا البحث إسهاماً في فعالياته - يأتي ضمن هذه الجهود التي تهدف إلى التعريف بنبي الرحمة، والتنويه بأخلاقه وشمائله وسيرته العطرة، وردّ التهم الباطلة الموجهة إلى شخصه.

أشار هذا البحث إلى أن مبعثه ﷺ كان رحمة للعالمين، ونوّه بعظمة خُلُق «الرحمة» المحمدية، وأنّ ذلك نابُع من ربّانية مصدرها، وبَيَّن أنها رحمةٌ عامّةٌ شاملةٌ أخلاقية سامية عادلة، وأنّ الأمة المحمدية أمة مرحومة، ثم استعرض البحث جانباً مهماً من معالم هذه الرحمة النبوية: وهو جانب الرحمة في علاقته ﷺ بمجتمعه، وذلك بكل فئاته وطبقاته، وذكر البحث نماذج حيّة ومواقف عملية تظهر فيها رحمته ﷺ بكل فئات المجتمع: كبيرهم وصغيرهم، ذكرهم، وأنثاهم، مسلمهم وكافرهم، غنيهم وفقيرهم، قويهم وضعيفهم.

ويوصي الباحث بضرورة عناية المسلمين بسيرة نبيهم ﷺ وشأئله وأخلاقه: درساً لها وتعلماً، وتمسكاً بها، وتطبيقاً، ثم دعوة إليها ونشراً وتعريفاً؛ حتى تؤتي جهود الدفاع عن مقام نبينا ﷺ ثمارها، وإلا فكيف يُعقل أن ندعو غير المسلمين إلى احترام نبينا ﷺ وتوقيره، ومنا - نحن المسلمين - من يجهل قدره، ولا يعرف حقه، بل ويهمل تعاليمه ويهجر سنته؟!

ويدعو الباحث إلى تبني الحوار الهادف الهادئ مع عقلاء الغرب ومثقفهم، والمنصفين منهم، وذلك على جميع المستويات، ومن خلال كل الطرق والسبل المتاحة والقنوات. ويرى ضرورة عقد مثل هذه الندوات والمؤتمرات بصفة دورية، مع الاهتمام بتفعيل قراراتها وتوصياتها، ومتابعة أثارها، مع





الحرص على التواصل الدائم بين المشاركين فيها.  
والله أسأل أن ينفع بالجهود، وأن يسدّ الخُطى، ويلهم الرشد والصواب،  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

\*\*\*

## قائمة المراجع

- (١) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، ترتيب علاء الدين علي بن بلبان الفارس (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٠٧هـ.
- (٢) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٣٩٩هـ.
- (٣) الاستيعاب في أسماء الأصحاب. ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، مطبوع بهامش الإصابة. (انظر: الإصابة).
- (٤) الإصابة في تمييز الصحابة. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ط: ١، ١٣٢٨هـ.
- (٥) الأنوار في شمائل النبي المختار. البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم اليعقوبي، دار المكتبي للطباعة والتوزيع، دمشق، ط: ٢، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
- (٦) تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي. المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت ١٣٥٣هـ)، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث، القاهرة، ط: ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.



- (٧) التعريفات. الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ٢، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
- (٨) تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط: ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.
- (٩) تهذيب اللغة. الأزهري، محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: د عبد الله درويش، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- (١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، ط: ١، ١٤٢٢هـ.
- (١١) جامع الترمذي. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وجماعة، نشر: مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط: ٢، ١٣٩٨هـ.
- (١٢) الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط: ٢، ١٣٩١هـ. (ومعه: فيض القدير شرح الجامع الصغير).
- (١٣) خاتم النبیین ﷺ. محمد أبو زهرة، عناية: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت.
- (١٤) خطب مختارة. إعداد: وكالة شؤون المطبوعات والنشر بوزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

- (١٥) رحمة للعالمين. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط: ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- (١٦) الرحمة والعظمة في السيرة النبوية. محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط: ١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
- (١٧) زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن القيم، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرئؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار، ط: ٣، ١٤٠٦هـ.
- (١٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة. محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٣٩٩هـ.
- (١٩) السنن. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: عزت عبيد الدعاس، نشر: محمد علي السيد، حمص، سوريا، ط: ١، ١٣٨٨هـ.
- (٢٠) السنن. ابن ماجه، محمد بن يزيد بن ماجه، القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار: إحياء الكتب العربية.
- (٢١) السنن الصغرى - المجتبى -. النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٢٢) السنن الكبرى. النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، ضمن الموسوعة الحديثية، للأرنؤوط، وجماعته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.
- (٢٣) السنن الكبرى. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت ٤٥٨هـ)، دار المعرفة، بيروت.



- (٢٤) سيرة الرسول ﷺ. محمد عزة دروزة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٦٧هـ، ١٩٤٨م.
- (٢٥) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال. العز بن عبد السلام (ت ٦٦٠هـ)، تحقيق: حسين بن عكاشة، دار ماجد عسيري، جدة، ط: ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- (٢٦) شخصية الرسول ﷺ ودعوته في القرآن الكريم. د. محمد علي الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: ٤، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- (٢٧) شرح السنة. البغوي، الحسين بن مسعود (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٤٠٠هـ.
- (٢٨) شرح صحيح مسلم. النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: عصام الصباطي، ورفاقه، دار أبي حيان، القاهرة، ط: ١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- (٢٩) الشفا بتعريف حقوق المصطفى. القاضي عياض، عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- (٣٠) ٣١-صحيح البخاري. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، تصحيح: محب الدين الخطيب، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض. (مطبوع مع شرح فتح الباري).
- (٣١) صحيح الجامع الصغير وزيادته. محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: ١، ١٣٨٨هـ.

- (٣٢) صحيح سنن ابن ماجه. محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ١، ١٤٠٧هـ.
- (٣٣) صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤٠٠هـ.
- (٣٤) عظيم قدره ﷺ ورفعته مكانته عنده ربه ﷻ. د. خليل إبراهيم ملا خاطر، ط: ٦، ١٤٠٥هـ.
- (٣٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢هـ)، رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. (انظر: صحيح البخاري).
- (٣٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير. المناوي، محمد بن عبد الرؤوف، دار المعرفة، بيروت، ط: ٢، (مطبوع مع الجامع الصغير).
- (٣٧) لسان العرب. ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، وهشام محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- (٣٨) مجالس في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾. ابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة البيان، لبنان، دار القبلة، السعودية، ط: ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- (٣٩) مختار الصحاح. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: ١، ١٩٦٧م.
- (٤٠) المحرّمون في السنة النبوية. محمد بن محمود الإسكندري، دار ابن حزم، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.



- (٤١) المستدرك على الصحيحين. الحاكم، محمد بن محمد (ت ٤٠٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- (٤٢) المسند. الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، ضمن الموسوعة الحديثية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ورفاقه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: ١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- (٤٣) مسند أبي يعلى الموصلي. أحمد بن علي بن المنى التميمي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط: ١، ١٤٠٩هـ.
- (٤٤) معالم السنن. الخطابي (ت ٣٨٨هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت. (مطبوع مع مختصر المنذري وتهذيب ابن القيم).
- (٤٥) المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى، جماعة، المكتبة الإسلامية، تركيا.
- (٤٦) مكانة النبي ﷺ عند ربه كما يصورها القرآن الكريم. د. عبد الرحمن بن عبد الجبار هوساوي، دار الذخائر، ط: ١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
- (٤٧) من لطائف التفسير. أحمد فرح عقيلان، دار اليقين، مصر، ط: ١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
- (٤٨) موسوعة الآداب الإسلامية. عبد الله بن محمد المعتاز، دار السلام، الرياض.
- (٤٩) نبي الرحمة. محمد مسعد ياقوت، دار الخراز، جدة، ط: ١، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.
- (٥٠) النهاية في غريب الحديث. ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية.
- (٥١) وميض من الحرم، خطب ومواعظ من المسجد الحرام - المجموعة الثانية - د. سعود ابن إبراهيم الشريم، دار الوطن، الرياض، ط: ١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

\*\*\*

أبيض





# معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع المبتدئ والجاهل والعاصي

إعداد

د. سليمان بن صالح محمد الشجراوي

الأستاذ المساعد في الحديث النبوي وعلومه بجامعة الجوف

ابيض



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، الهادي إلى صراط العزيز الحميد، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيسرني أن أقدم لكم هذا البحث تحت عنوان: «معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع المبتدئ والجاهل والعاصي».

أولاً: أهمية الموضوع وسبب اختياره:

إن الرحمة كانت صفة رسول الله ﷺ التي لم تفارقه قط في كل سيرته، وفي كل مراحل حياته وأحواله، فكان ﷺ كما قالت عائشة: «كان خلقه القرآن» والقرآن هو الرحمة!

وفي هذه الأيام يتعرض النبي الكريم، والرحمة المهداة إلى هجمة شرسة من قبل أعداء الإسلام، يصفونه باطلا بأبشع الصور، وأسوأ الصفات.

ولقد هب المؤمنون الخيرون في أرجاء المعمورة يدافعون عن نبيهم

الكريم، وعن سنته، كل حسب طاقته في الرد على هؤلاء، وبيان زيف ما يدعون. ولما وجدت أن الجمعية العلمية السعودية للسنة النبوية وعلومها قد دعت إلى مؤتمر عنوانه: «نبي الرحمة محمد ﷺ» وجدت أن من واجبي كمختص في الحديث النبوي وعلومه أن أكتب في واحد من مجالات المؤتمر، وقد اخترت أن أكتب في معالم الرحمة في تعامل النبي ﷺ مع المبتدئ والجاهل والعاصي، حيث إن هذا الموضوع يبرز جانباً مهماً من جوانب رحمة النبي ﷺ التي قل أن يُهتم لها، فالرحمة والرفق واللين والتسامح والتواضع من أهم أسباب استجابة الناس لدعوة الإسلام.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

ثانياً: أهداف هذا البحث:

١ - الإسهام في الدفاع عن الحبيب المصطفى ﷺ والتصدي لما يتعرض

له من هجمة من قبل أعداء الدين.

٢ - بيان ما كان يتمتع به النبي ﷺ من الأخلاق العظيمة كما وصفه ربه:

(١) سورة آل عمران ١٥٩.



﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>

٣ - توجيه الدعاة إلى أهمية العناية في التعامل بخلق الرحمة مع المبتدئ والجاهل والعاصي والناس كافة.

٤ - بيان أهمية هذا المسلك في التأثير في الناس وكسب قلوبهم وتثبيت إيمانهم.

ثالثاً: منهجي في البحث:

لقد اعتمدت في كتابة هذا البحث الأسلوب الاستقرائي التحليلي. ويتلخص فيما يلي:

١ - ذكر الآيات القرآنية التي لها علاقة بعناوين هذا البحث، مع ذكر بعض اللطائف المتعلقة بهذه الآيات.

٢ - جمع الأحاديث المتعلقة بموضوعات هذا البحث وتخريجها من مصادرها الأصلية، مع بيان ما فيها من ضعف إن وجد.

٣ - الإشارة إلى بعض الفوائد والحكم المستفادة من هدي النبي ﷺ.

رابعاً: خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

(١) سورة القلم ٤.

- المقدمة.
  - التمهيد: وذكرت فيه: معنى الرحمة في اللغة والاصطلاح.
  - رحمة الرسول في القرآن الكريم.
  - التعريف بالمبتدئ.
  - التعريف بالجاهل.
  - التعريف بالعاصي.
  - أحاديث عامة في الرحمة.
  - المبحث الأول: الرحمة بالمبتدئ.
  - المبحث الثاني: الرحمة بالجاهل.
  - المبحث الثالث: الرحمة بالعاصي.
  - الخاتمة: وذكرت فيها: نتائج البحث، وأبرز التوصيات.
- وفي الختام أسأل الله أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، وأن يتقبله مني خالصا لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عن أخطائي وعشوائي، إنه سميع مجيب.

\*\*\*



## تمهيد

في بداية هذه الدراسة لابد من توضيح بعض المصطلحات والقضايا المتعلقة بها، وتتضمن:

أولاً: الرحمة في اللغة:

تدور مادة: (رح م) حول معنى الرقة، والعطف، والرأفة. والمرحمة مثلها، وقد رحمته وترحمته عليه وتراحم القوم رحم بعضهم بعضاً، والرحمة المغفرة<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الرحمة في الاصطلاح:

عرفها بعضهم بأنها: إرادة إيصال الخير<sup>(٢)</sup>.

ويعرفها آخرون بأنها: محبة للمرحوم مع جزع من الحال التي من أجلها رُحم<sup>(٣)</sup>.

---

(١) انظر: لسان العرب - ابن منظور ١٢/ ٢٣٠، مقاييس اللغة - ابن فارس ٣/ ٣٩٨، مختار

الصالح ١/ ١٠٠.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ١٤٦.

(٣) معالم التنزيل للبغوي: ٣/ ١٥٢، وموسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول

الكريم ﷺ، ج ٦.

وقيل: صفة تظهر في القلب وهي إرادة الحين<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: رحمة الرسول في القرآن الكريم:

وردت مادة الرحمة بصورها المتعددة في القرآن الكريم ٣٢٣ مرة<sup>(٢)</sup>.

وتناولت هذه المواضع الحديث عن الرحمة من جميع جوانبها، ومختلف صورها، وما يهم في هذا البحث هو الإشارة إلى الآيات القرآنية التي تحدثت عن رحمة النبي ﷺ.

الآية الأولى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

هذه الآية تبين لنا سر نجاح النبي ﷺ، وسبب استجابة الناس لدعوته، فالرحمة والرفق واللين من أسباب هذه الاستجابة «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن ١/ ٥٠.

(٢) انظر: فهارس القرآن الكريم - د. محمد حسن الحمصي ٩٣-٩٤، وانظر: أخلاقنا - د. محمد جوهرى ٩٨.

(٣) سورة آل عمران ١٥٩.





لَا نُنْقِضُوا مِنْ حَوْلِكَ».

فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم ؛ فجعلته ﷺ رحيماً بهم ليناً معهم. ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر. فالناس في حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى بشاشة سمحة، وإلى ود يسعهم، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم.. إنهم في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ؛ ويحمل همومهم ولا يعينهم بهمه ؛ ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء.. وهكذا كان قلب رسول الله ﷺ وهكذا كانت حياته مع الناس، ما غضب لنفسه قط، ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الحياة، بل أعطاهم كل ما ملكت يده في سماحة ندية، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشه أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه ؛ نتيجة لما أفاض عليه ﷺ من نفسه الكبيرة الرحبية<sup>(١)</sup>.

الآية الثانية:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) في ظلال القرآن - سيد قطب ١/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

أي وما أرسلناك يا محمد بالشرائع والأحكام إلا رحمة لجميع العالم، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال والعلل، أي ما أرسلناك لعله من العلل إلا لرحمتنا الواسعة، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين<sup>(١)</sup>. فكان ﷺ رحمة رحم الله بها العالمين.

قال ابن عباس: هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن، فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم<sup>(٢)</sup>.

#### الآية الثالثة:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير: في قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها<sup>(٤)</sup>.

(١) فتح القدير - الشوكاني ٣/ ٤٣٠.

(٢) تفسير البغوي ٥/ ٣٥٩.

(٣) سورة التوبة ١٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم - ابن كثير ٢/ ٤٠٤.



وقال ابن الجوزي: في قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ قولان: أحدهما شديد عليه ما شق عليكم، والثاني شديد عليه ما أثمكم<sup>(١)</sup>.

وقال البغوي:

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على إيمانكم وصلاحكم. وقال قتادة: حريص على ضالكم أن يهديه الله، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قيل: رءوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين<sup>(٢)</sup>.

الآية الرابعة:

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: التعريف بالمبتدئ:

والبدء فعل الشيء أول... وبدأت الشيء فعلته ابتداءً<sup>(٤)</sup>.

والمقصود بالمبتدئ في هذا البحث المبتدئ في الإسلام أي:

(١) انظر: زاد المسير ٣/ ٤٢١.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ١١٦.

(٣) سورة التوبة ٦١.

(٤) انظر: لسان العرب ١/ ٢٦.

ذلك الشخص الذي دخل في الإسلام حديثاً ولا يزال حديث عهد بجاهلية، ويلحق به في المعاملة من يرجى تأليف قلبه للدخول في الإسلام.

#### خامساً: التعريف بالجاهل:

الجاهل نقيض العلم وقد جهله فلان جهلاً وجهالة وجهل عليه وتجاهل أظهر الجهل، والجهالة أن تفعل فعلاً بغير علم، والجمع جهل وجُهْل وجهل وجُهَل وجُهَّال وجُهَّالاء، وقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءَ﴾ يعني الجاهل بحالهم ولم يُردِ الجاهل الذي هو ضد العاقل إنما أراد الجهل الذي هو ضد الخبرة يقال هو يجهل ذلك أي لا يعرفه<sup>(١)</sup>.

#### سادساً: التعريف بالعاصي:

والعصيان خلاف الطاعة عصى العبد ربه إذا خالف أمره وعصى فلان أمره يعصيه عَصِيًّا وعَصِياناً ومَعْصِيَةً إذا لم يُطِعه فهو عاصٍ وعَصِيٌّ<sup>(٢)</sup>.

#### سابعاً: أحاديث عامة في الرحمة:

إن رسالة الإسلام جاءت لعموم الناس - كما هو معلوم - وإنها في أصلها وطبيعتها رحمة بالناس أجمعين، وإن رسول الله ﷺ رحمة مُهداة إلى العالمين،

(١) المرجع السابق ١٢٩/١١.

(٢) المرجع السابق ٦٣/١٥.



ومن هذا المنطلق جاءت كلماته في قضية الرحمة عامة شاملة تشمل كل من يعيش على ظهر الأرض.

والأحاديث في هذا الجانب كثيرة نشير إلى بعضها:

١ - عن جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»، وفي بعض الروايات: «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ ﷻ»<sup>(١)</sup>.

هكذا على إطلاقها تأتي العبارة، مَنْ لَا يَرْحَمُ - دون تحديد ولا تقييد - لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ ﷻ.

٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ أَرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ»<sup>(٢)</sup>.  
وكلمة «مَنْ» تشمل كل مَنْ في الأرض.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم ٢٢٣٩/٥ (٥٦٦٧)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال ١٨٠٩/٤ (٢٣١٩)، والترمذي، كتاب البر والصلة والآداب ٣٢٣/٤ (١٩٢٢).

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ٤٢٣/٤ (١٩٢٤)، وأحمد ١٦٠/٢ (٦٤٩٤)، والحاكم ١٧٥/٤ (٧٢٧٤)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر الحديث ذا الرقم (٣٥٢٢) في صحيح الجامع.

٣ - عن أسامة بن زيد قال: قال ﷺ: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء»<sup>(١)</sup>.

إن الرحمة التي ظهرت في كل أقوال وأعمال رسول الله ﷺ لم تكن رحمة مُتَكَلِّفَة، تحدث في بعض المواقف من قبيل التجميل أو الاصطناع، إنما كانت رحمة طبيعية تلقائية مُشَاهِدَة في كل الأحوال، على اختلاف الظروف، وتعدّد المناسبات..

\*\*\*

(١) رواه البخاري في كتاب الجنائز - باب قول النبي ﷺ يعذب الميت ببكاء أهله ١ / ٤٣١ (١٢٢٤)، ومسلم في الجنائز - باب البكاء على الميت ٢ / ٦٣٥ (٩٢٣)، وأبو داود ٣ / ١٩٣ (٣١٢٥)، والنسائي ٤ / ١٢٥ (١٨٦٨)، وابن ماجه ١ / ٥٠٦ (١٥٨٨)، وأحمد ٥ / ٢٠٤.



## المبحث الأول

### الرحمة بالمبتدئ

بالرحمة والرفق واللين تفتح مغاليق القلوب، ويقبل الناس على الحق، ذلك أن الناس بطبيعتهم يألفون الرقة واللين والرفق، وينفرون من الخشونة والشدة والعنف.

ولقد كان النبي ﷺ مثالا في الرحمة والرفق والحلم والأناة والتواضع، وإليك بعض معالم رحمته في الدعوة إلى الإسلام، وكيف كان يعامل الذين دخلوا في دين الله حديثا، وأولئك الذين يريد استمالتهم لهذا الدين.

#### أولاً: الابتسامة وأثرها في نفوس المدعوين:

لقد تعددت الروايات التي أكدت أن رسول الله ﷺ كان أكثر الناس تبسماً وأطلقهم وجهاً وأرقاهم سجيّة وأكثرهم انبساطاً. وما كان عليه الصّلاة والسّلام يتكلف الضحك والانبساط، بل كان يمتلك نفوس أصحابه ﷺ بابتسامته المشرقة، ويستجيب مع طرائفهم ويلطفهم، ليكسب قلوبهم ويفوز بودهم، ويقبلوا على هديه، ويستجيبوا لدعوته.

فبالابتسامة تفتح القلوب وتنشرح النفوس وتقرب المسافات البعيدة،

وهي تساعد على التعارف وبناء صداقات جديدة ولا سيما عند اللقاء الأول مع الشخص.

ولا يخفى ما في الابتسامة والبشاشة من رحمة ورفق بالمدعوين بل بالناس أجمعين.

وإليك هذه النماذج الرائعة من سيرته ﷺ:

(١) عَنْ جَرِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَا حَجَبَنِي <sup>(١)</sup> النَّبِيُّ ﷺ مُنْذُ أَسَلَمْتُ وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ وَلَقَدْ شَكَوْتُ إِلَيْهِ أَنِّي لَا أَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ يَدَيْهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًا» <sup>(٢)</sup>.

(١) ما حجبني - أي ما منعني من الدُّخُولِ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ فِي بَيْتِهِ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ. فتح الباري ١٣٢/٧.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري - كتاب الجهاد - باب من لا يثبت على الخيل ١٦١/٦ (٣٠٣٥، ٣٠٣٦) وكتاب مناقب الأنصار ١٣١/٧ (٤٨٢٢) وكتاب الأدب - باب التبسّم والضحك ١٠/٥٠٤ (٦٠٨٩، ٦٠٩٠).

ورواه الترمذي - كتاب المناقب - مناقب جرير ٦٧٨-٦٧٩ (٣٨٢١، ٣٨٢٠) وكتاب الشئائل ١٩٢ (٢٢٠، ٢٢١)، وابن ماجه - المقدمة - فضل جرير ١/٥٦ (١٥٩)، وأحمد ٤/٣٥٨، ٣٥٩، والطبراني - المعجم الكبير ٢/٣٥٢ (٢٤٨٠)، ٣/٢٩٣-٢٩٤ (٢٢٢٣-٢١١٩).





نلاحظ هنا أثر الابتسامة التي جعلت من جرير يفاخر بها، ولولا وقعها في نفسه ما ذكرها، فالابتسامة لا تأخذ أكثر من لمحة البصر لكن أثرها يبقى أبدا الدهر.

إن أعظم من سطروا صفحات المجد والخلود للإسلام، اعتنقوه ببسمة مخلصه أو نظرة نافذة، أو معاملة حسنة، أو كلمة طيبة<sup>(١)</sup>.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم وليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق»<sup>(٢)</sup>.

(٣) عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَلِقْ أَخَاهُ بِوَجْهِ طَلِقٍ»<sup>(٣)</sup>.

(٤) عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: «قُلْتُ لَجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَكُنْتُ تُجَالِسُ رَسُولَ

(١) انظر: الطريق إلى القلوب - عباس السيسي ٨٨.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٢١٢/١ (٤٢٧، ٤٢٨) وقال: هذا حديث صحيح معناه غير أنها لم يخرجها، عن عبد الله بن سعيد، وأبو يعلى في مسنده ٤٢٨/١١ (٦٥٥٠)، ورواه البيهقي في شعب الإبان ٢٥٤/٦ (٨٠٥٤) كلهم عن عبد الله بن سعيد المقبري. قال الهيثمي في المجمع ٢٢/٨: فيه عبد الله بن سعيد المقبري وهو ضعيف.

(٣) رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب - باب استحباب طلاقة الوجه ٢٠٢٦/٤ (٢٦٢٦)، والترمذي ٢٧٤/٤ (١٨٣٣) و٣٤٧/٤ (١٩٧٠)، وأحمد ٣/٣٤٤، ٣٦٠.

اللَّهُ ﷻ قَالَ نَعَمْ كَثِيرًا كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحُ أَوْ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ<sup>(١)</sup>.

ثانيا: الرفق في الموعظة:

«عَنْ شَقِيقِ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَذْكُرُنَا كُلَّ يَوْمٍ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نَحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ وَلَوْ دَدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ فَقَالَ مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةٌ أَنْ أُمْلِكُمْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَخَوَّنَا<sup>(٢)</sup> بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ<sup>(٣)</sup> عَلَيْنَا<sup>(٤)</sup>».

(١) رواه مسلم ١/٤٦٣ (٦٧٠) و٤/١٨١٠ (٢٣٢٢)، وأحمد ٥/٨٦، ٨٨، ٩١.

(٢) أي يتعهَّدنا من قولهم فلان خائنٌ مالٍ وهو الذي يُصْلِحُه ويقومُ به. وقال أبو عمرو: الصواب: يَتَحَوَّلُنَا بالحاء أي يَطْلُبُ الحالَ التي يَنْشَطُونَ فيها للمَوْعِظَةِ فيَعْظُمُ فيها ولا يُكْثِرُ عليهم فيمَلُّوا. انظر: النهاية ٢/٨٨.

(٣) السَّامَةُ: الملل والضجر. النهاية ٢/٣٢٨.

(٤) رواه البخاري - كتاب العلم - باب كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم ١/١٦٢ (٦٨). وكتاب العلم - باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة ١/١٦٣ (٧٠). وكتاب الدعوات - باب الموعظة ساعة بعد ساعة ١١/٢٢٨ (٦٤١١) ورواه مسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب الاقتصاد في الموعظة ٤/٢١٧٢، ٢١٧٣ (٦٨٢١) والترمذي كتاب =

وفي الحديث الدعوة للاقتصاد في الموعدة، لئلا يمل السامع، ويترك العمل لكثرة التكاليف، فعلى الداعية أن يتدرج في دعوة الناس للإسلام، وخاصة المبتدئين، فكثرة إلقاء الواجبات والمواعظ قد تصدهم عن الدعوة قبل أن يكتمل بنائها في صدورهم، وكم من أناس ابتعدوا عن جادة الحق بسبب تسرع بعض الدعاة في قطف الثمار.

وما هو الحبيب المصطفى ﷺ يعلمنا الرحمة والرفق في كل شيء حتى في الموعدة والتعليم.

يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث:

وفي الحديث رَفَقَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَصْحَابِهِ وَحُسْنُ التَّوَصُّلِ إِلَى تَعْلِيمِهِمْ وَتَفْهِيمِهِمْ لِيَأْخُذُوا عَنْهُ بِنَشَاطٍ لَا عَنْ ضَجَرٍ وَلَا مَلَلٍ، وَيُقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ التَّعْلِيمَ بِالتَّدْرِيجِ أَحْفَ مُؤَنَةً وَأَدْعَى إِلَى الثَّبَاتِ مِنْ أَخْذِهِ بِالْكَدِّ وَالْمُغَالَبَةِ. وَفِيهِ مَنْقَبَةٌ لِابْنِ مَسْعُودٍ لِمَتَابَعَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَحُفَظَتِهِ عَلَى ذَلِكَ<sup>(١)</sup>.

=الأدب - باب الفصاحة والبيان ١٤٢/٥ (٢٨٥٥)، وأحمد ١/٣٧٧، ٣٧٨، ٤٢٥، ٤٢٧، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٦، وابن حبان ٧/٢٧ (٤٥٠٧)، والطيالسي ٣٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/٢٣٧ (١٠٤٣٠، ١٠٤٣١) وأبو يعلى ٩/٧٠، ٧١ (٥١٣٧) و٩/١٤٦، ١٤٧ (٥٢٢٦).

(١) انظر: فتح الباري ١١/٢٢٨.

ثالثاً: التدرج في دعوة المبتدئ:

«عن عبد الله بن عباسٍ لما بعث النبي ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ  
الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ  
يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ  
صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَفْرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي  
أَمْوَالِهِمْ تُوْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقْرَأُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ  
كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الحديث التدرج في دعوة المبتدئ وهو منهج قام عليه الإسلام في  
كافة أموره التشريعية والتربوية والدعوية.

ومسألة التدرج في الدعوة مسألة عُنيَ بها النبي ﷺ في دعوته لقومه،

(١) رواه البخاري واللفظ له في كتاب التوحيد - باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله  
٣٤٧/١٣ (٧٣٧٢) ورواه مسلم كتاب الإيمان - باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع  
الإسلام ١/٥٠ - ٥١ (١٩) ورواه أبو داود كتاب الزكاة - باب زكاة السائمة ٢/١٠٤ -  
١٠٥ (١٥٨٤) والترمذي - كتاب الزكاة - باب ما جاء في كراهية اخذ خيار المال في  
الصدقة ٣/٢١ (٦٢٥) والنسائي ٥/٢ - ٤ كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة ٥/٢ - ٤  
والنسائي ٥/٢ - ٤ كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة ٥/٢ - وابن ماجه - كتاب الزكاة -  
باب فرض الزكاة ١/٥٦٨ (١٧٨٣) وأحمد ١/٢٣٣.



ومن تتبع سيرته وجد هذا الأمر واضحاً بيننا، فانظر مثلاً إلى دعوة النبي ﷺ وهو في مكة ولمدة ثلاث عشرة سنة، لقد كان طوال هذه المدة يدعو إلى عبادة الله وحده وترك الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون الله، ولذا فإنه في أثناء هذه الفترة لم يهتم بالتفصيل الدقيق للأحكام الشرعية في أثناء مناقشاته مع قومه ودعوتهم إلى الإسلام، إذ الأمر لم يكن يحتمل ذلك.

ونظراً لأهمية التدرج في الدعوة إلى الله وأثرها في استجابة كثير من الناس كان ذلك من وصايا رسول الله ﷺ الذي أدرك أهمية هذا الأمر فجعله منهجاً لأئمة وللدعاة جميعاً في كل زمان ومكان، كيف لا وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ويتضح هذا الأمر جلياً في هذا الحديث حيث أوصى معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن أن يدعوهم أول الأمر إلى توحيد الله ﷻ وإلى الدخول في الإسلام، فإن هم استجابوا دعاهم إلى بقية الأمور شيئاً فشيئاً يبدأ بالأهم فالأهم وهكذا ينبغي عدم التسرع في عرض كل ما في الإسلام دفعة واحدة حتى لا يشق عليهم، ويكون ذلك سبباً في صدودهم عن الإسلام.

ولا شك أن هذا المنهج ينم عن حكمة ورحمة بالمقبلين على الإسلام حيث إن تحول الإنسان من أمر شب عليه ومعتقدات ترسخت في قلبه ليس بالأمر

السهل اليسير، فينبغي التدرج والتريث في الدعوة حتى تؤتي أكلها الطيبة وثمارها اللبنة فهو من باب ترويض النفوس على تقبل أحكام الله، كما أنه يتلاءم مع منهج التغيير بشكل عام، إذ لا يمكن تغيير أوضاع المجتمعات لتتفق مع الشريعة إلا بأسلوب التدرج.

هذا التدرج في الدعوة هو الذي يجعل كثيرا من الناس يقبلون على هذا الدين، ويتمسكون به.

إن المتتبع لأحكام الإسلام وسيرة النبي ﷺ يجد ذلك واضحا جليا في جميع أحكام الإسلام وتشريعاته فالخمر مثلا لم تحرم دفعة واحدة، وإنما بالتدريج وعلى مراحل، والصلاة لم تفرض من أول بعثة النبي وكذلك بقية أحكام الإسلام وإنما بالتدريج.

رابعاً: تلمس الداعية لأحاسيس ومشاعر المدعوين:

عن أَبِي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ قَالَ: «أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا وَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا فَأَخْبَرْنَاهُ وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا فَقَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلَّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلَى وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لِيُؤْمَمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»<sup>(١)</sup>،

(١) رواه البخاري - كتاب الأدب - باب رحمة الناس والبهائم ٤٣٨/١٠ (٦٠٠٨) ورواه في =



وهنا نلمس هذا الجانب العظيم في هديه ﷺ، وتلمسه لأحاسيس أتباعه وتلاميذه «فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا» وها هو يسألهم عن تركوا وراءهم، ويخفف عليهم «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلَّمُوهُمْ» فيا لله كم كان رحيمًا بهم! دون أن يسأله، ودون أن يوجههم إلى السؤال، فهل يفعل المربون والدعاة ذلك؟ وهل يتحسسون هموم الناس ومشاكلهم؟ إذا فعل الدعاة ذلك أحبهم الناس وانقادوا لهم بسهولة ويسر، وكانوا سببا في هدايتهم.

#### خامساً: استقبال المدعو وحسن ضيافته:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَحَلَبَتْ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أُخْرِيَ فَشَرِبَهُ ثُمَّ أُخْرِيَ فَشَرِبَهُ حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَبْعِ شِيَاهٍ ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْرَى فَلَمْ يَسْتَمِمْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى

= كتاب الأدب المفرد ٥٤، ٥٥ (٢١٣) ومسلم ١/٤٦٥، ٤٦٦ كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب من أحق بالإمامة ١/٤٦٥، ٤٦٦ (٢٩٢، ٢٩٣) والنسائي - كتاب الأذان - باب اجتزاء المرء بأذان غيره في الحضر ٢/٩ وأحمد ٣/٤٣٦، ٥/٥٣ وابن خزيمة ١/٢٠٦، ٢٠٧ (٣٩٧، ٣٩٨) و١/٢٩٥ (٥٨٦)، والدارقطني ١/٢٧٢، ٢٧٣ كتاب الصلاة - باب ذكر الأمر بالأذان والإمامة وأحقها (١، ٢).

وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ»<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف في اسم هذا الضيف فقيل هو ثمامة بن أثال وقيل جهجاه الغفاري وقيل نصره بن أبي نصره الغفاري<sup>(٢)</sup>.

وأرجح أن يكون جهجاه الغفاري<sup>(٣)</sup> حيث إنه روى القصة متحدثاً عن نفسه كما ورد عند الطبراني «أَنَّهُ قَدِمَ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ يُرِيدُونَ الْإِسْلَامَ، فَحَضَرُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ، فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ: «يَأْخُذُ كُلُّ رَجُلٍ بِيَدِ جَلِيسِهِ»، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَيْرِي، وَكُنْتُ عَظِيمًا طَوِيلًا لَا يُقَدِّمُ عَلَيَّ أَحَدٌ، فَذَهَبَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَحَلَبَ لِي عَنَزًا، فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا حَتَّى حَلَبَ لِي سَبْعَ أَعْنَزٍ، فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَتَيْتُ بِصَنِيعِ بُرْمَةٍ، فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا، وَقَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: أَجَاعَ اللَّهُ مَنْ أَجَاعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، قَالَ: «مَهْ يَا أُمُّ أَيْمَنَ أَكَلَ رِزْقَهُ، وَرَزَقْنَا عَلَى اللَّهِ»، فَأَصْبَحُوا فَعَدَوْا، فَاجْتَمَعَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يُخْبِرُ بِمَا

(١) رواه مسلم واللفظ له في كتاب الأشربة - باب المؤمن يأكل في معى واحد ٣/ ١٦٣٢ (٢٠٦٣)، والترمذي في كتاب الأطعمة - باب ما جاء أن المؤمن يأكل في معى واحد ٤/ ٢٦٧ (١٨١٩) ومالك في الموطأ ٢/ ٩٢٤ (١٠) وأبو عوانة ٥/ ٤٢٧.

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ٢٦.

(٣) جهجاه بن سعيد الغفاري شهد بيعة الرضوان بالحديبية، وكان أجيرا لعمر بن الخطاب، وعاش إلى خلافة عثمان. انظر: الإصابة ١/ ٢٥٤.





أَتَى إِلَيْهِ، فَقَالَ جَهَّجَاهُ: حُلِبْتُ لِي سَبْعُ أَغْنُزٍ، فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا وَصَنِعْتُ بُرْمَةً فَأَتَيْتُ عَلَيْهَا، فَصَلَّوْا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَغْرِبَ، فَقَالَ: «لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ بِيَدِ جَلِيسِهِ»، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَيْرِي، وَكُنْتُ عَظِيمًا طَوِيلًا لَا يُقَدَّمُ عَلَيَّ أَحَدٌ فَذَهَبَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَحَلَبَ لِي عَنَزًا، فَرَوَيْتُ وَشَبِعْتُ، فَقَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ هَذَا ضَيْفَنَا؟ قَالَ: «بَلَى»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ أَكَلَ فِي مَعَى مُؤْمِنٍ اللَّيْلَةَ، وَأَكَلَ قَبْلَ ذَلِكَ فِي مَعَى كَافِرٍ، الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ، وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ»<sup>(١)</sup>.

وأما في كونه ثمامة بن أثال<sup>(٢)</sup> فثمامة كان أسيرا وأحسن إليه النبي ﷺ وكان ذلك سببا في إسلامه كما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: «بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ حَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ

(١) المعجم الكبير ٢/ ٢٧٤ (٢١٥٢). قلت إسناده ضعيف فيه موسى بن عبيده. انظر:

التهذيب ١٠/ ٣١٨، ميزان الاعتدال ٦/ ٥٥١

(٢) ثمامة بن أثال بن النعمان، من بني حنيفة، كان سيد أهل البيامة، له شعر، كان عرض لرسول الله فأراد قتله، فدعا أن يمكنه ربه منه فكانت قصة إسلامه المذكورة في الحديث، وقد ثبت على إسلامه حين ارتد أهل البيامة. انظر: أسد الغابة ١/ ٢٤٦-٢٤٨، الاستيعاب ١/ ٢١٣-٢١٦، الإصابة ١/ ٢٠٤.

يَا ثُمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ فَفَرِكَ حَتَّى كَانَ الْغَدُ ثُمَّ قَالَ لَهُ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ قَالَ مَا قُلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمَ عَلَى شَاكِرٍ فَفَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ فَقَالَ مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ فَقَالَ عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ فَقَالَ أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلِ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهِكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ صَبَوْتَ قَالَ لَا وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ» (١).

وفي هذه الأحاديث بيان لما كان يتمتع به النبي ﷺ من رحمة وتسامح

(١) رواه البخاري واللفظ له في كتاب المغازي - باب وفد بني حنيفة وحديث ثُمَامَةُ بن أُنَالٍ

٨٧ / ٨ (٤٣٧٢) ومسلم في كتاب الجهاد والسير - باب ربط الأسير وحبسه وجواز

المن عليه.



وعفو عن المسيء.

وفي الحديث كذلك تعظيم أمر العفو عن المسيء لِأَنَّ ثُمَامَةَ أَقْسَمَ أَنَّ بَغْضَهُ  
انْقَلَبَ حُبًّا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ لَمَّا أَسَدَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ مِنَ الْعَفْوِ وَالْمَنْ بَغَيْرِ مُقَابَلٍ،  
وَفِيهِ الْمُلَاطَفَةُ بِمَنْ يُرْجَى إِسْلَامُهُ مِنَ الْأَسَارَى إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ  
لِلْإِسْلَامِ، وَلَا سِيَّيَا مَنْ يَتَّبِعُهُ عَلَى إِسْلَامِهِ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ مِنْ قَوْمِهِ<sup>(١)</sup>.

سادساً: زيارة المدعو والاهتمام بما يصيبه:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

«كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ فَاتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ  
عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمَ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطِيعَ أَبَا الْقَاسِمِ  
فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية قال النبي ﷺ لأصحابه: «صلوا على أخيك».

\*\*\*

(١) انظر: فتح الباري ٨/ ٨٨.

(٢) رواه البخاري كتاب الجنائز - باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ ٣/ ٢١٩  
وكتاب المرضى - باب عيادة المشرك (٥٦٥٧)، ورواه أبو داود في كتاب الجنائز - باب  
عيادة الذمي ٣/ ١٨٥ (٣٠٩٥)، ورواه أحمد ٣/ ١٧٥، ٢٢٧، ٢٦٠، ٢٨٠.

## المبحث الثاني

### الرحمة بالجاهل

كان المجتمع الإسلامي الأول عبارة عن خليط من أصناف البشر، فيهم العالم والجاهل والحاضر والبادي واللين والقياسي وكانوا على اختلافهم يجدون من فيض رحمته ﷺ ما يأخذ بأيديهم إلى جادة الصواب بلا قسوة ولا شدة. ومن يقرأ سيرته ﷺ يتملكه العجب من بعض تلك المواقف، فلم تكن سفاهة السفينة وجهل الجاهل تزيده إلا رحمةً وحلماً وصبراً وأناةً وسعة بالٍ.

وتلك المواقف كثيرة، ونقتبس منها ما يلي:

#### الحديث الأول:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَهْ مَهْ<sup>(١)</sup> قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَزْرُمُوهُ<sup>(٢)</sup> دَعُوهُ فَتَرَكَوْهُ حَتَّى بَالَ ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ

(١) مه مه - هي كلمة زجر. انظر النووي في شرح صحيح مسلم ١٩٣/٣.

(٢) لا تزرموه - أي لا تقطعوا عليه بوله. انظر: النهاية ٣٠١/٢.



اللَّهُ ﷻ وَالصَّلَاةَ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ <sup>(١)</sup> عَلَيْهِ <sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ وَتَعْلِيمُهُ مَا يَلْزَمُهُ مِنْ غَيْرِ تَعْنِيفٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ عِنَادًا، وَلَا سِيًّا إِنْ كَانَ مِمَّنْ يُحْتَاجُ إِلَى اسْتِثْلَافِهِ <sup>(٣)</sup>.

فإننا نلمس حسن تعامل النَّبِيِّ ﷺ وَحُسْنَ خُلُقِهِ وتصرفه من نهيه الصحابة أن يقطعوا على الأعرابي بوله وفي ذلك مصلحتان كما قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: إِحْدَاهُمَا أَنَّهُ لَوْ قَطَعَ عَلَيْهِ بَوْلُهُ تَضَرَّرَ، وَأَصْلُ التَّنْجِيسِ قَدْ حَصَلَ فَكَانَ احْتِمَالُ زِيَادَتِهِ أَوْلَى مِنْ إِيقَاعِ الضَّرَرِ بِهِ.

(١) الشن - الصب المنقطع. انظر: النهاية ٥٠٧/٢

(٢) رواه البخاري - كتاب الوضوء - ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله ٣٢٢/١ (٢١٩) وباب صب الماء على البول في المسجد ٣٢٤/١ (٢٢١) وكتاب الأدب - باب الرفق بالأمر كله ٤٤٩/١٠ (٦٠٢٥)، ومسلم واللفظ له في كتاب الطهارة - باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ٢٣٦/١، ٢٣٧ (٢٨٤)، ٢٨٥، والترمذي - كتاب الطهارة - باب ما جاء في البول يصيب الأرض ٢٧٦/١، ٢٧٧ (١٤٨)، والنسائي - كتاب الطهارة - باب ترك التوقيت في الماء ١/، وابن ماجه - كتاب الطهارة - باب الأرض يصيبها البول كيف تغسل ١٧٦/١ (٥٢٨)، ١٤٧، ١٤٨، وأحمد ٣/١١٠، ١١٤، ١٩١، ٢٢٦، والدارمي ١/١٨٩ البول في المسجد.

(٣) انظر: فتح الباري ١/٣٢٥.

وَالثَّانِيَّةُ: أَنَّ التَّنَجِّيسَ قَدْ حَصَلَ فِي جُزْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَلَوْ أَقَامُوهُ فِي أَثْنَاءِ بَوْلِهِ لَتَنَجَّسَتْ ثِيَابُهُ وَبَدَنُهُ وَمَوَاضِعُ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ<sup>(١)</sup>.

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة قال:

«دَخَلَ أَعْرَابِي الْمَسْجِدَ وَالنَّبِيُّ ﷺ جَالِسٌ فَصَلَّى فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ لَقَدْ تَحَجَّرْتَ<sup>(٢)</sup> وَاسِعًا فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْرِيقُوا عَلَيْهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ دَلُّوْا مِنْ مَاءٍ ثُمَّ قَالَ إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُسَرِّينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»<sup>(٣)</sup>.

وعند الإمام أحمد رواية فيها زيادة: قَالَ: «يَقُولُ الْأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَقَّهَ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْ، بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، فَلَمْ يَسُبَّ، وَلَمْ يُؤَنَّبْ، وَلَمْ يَضْرَبْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) النووي على شرح صحيح مسلم ٣/ ١٩١.

(٢) أي: ضيق ما وسعه الله، وخصصت به نفسك دون غيرك. النهاية ١/ ٣٤٢.

(٣) رواه أبو داود ١/ ١٠٣ (٣٨٠)، والترمذي ١/ ٢٧٥ (١٤٧) وقال: حسن صحيح واللفظ له، والنسائي ٣/ ١٤ (١٢١٧)، وأحمد ٢/ ٢٨٣. قلت: إسناده صحيح وصححه الألباني. انظر: إرواء الغليل ١/ ١٩٠ (١٧١).

(٤) مسند أحمد- تحقيق الشيخ شعيب وآخريين ١٦/ ٣١٦ (١٠٥٣٤).



أرأيتم كيف أثرت هذه المعالجة الحكيمة في نفس الرجل، وجعلته ممتنا للنبي ﷺ لهذه المعاملة اللطيفة، ثم هو منهج يعلمنا إياه الرحمة المهداة الخبير بما يصلح النفوس ويقوم اعوجاجها «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ». أيها المعلمون، أيها المربون، أيها الدعاة إلى الله:

ليكن هذا شعاركم، الرفق والأناة لا الغلظة والتعنيف، وليكن هدفكم... التيسير والإصلاح لا التعسير والتنفير وليكن لنا في رسول الله أسوة حسنة.

### الحديث الثاني:

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ <sup>(١)</sup> قَالَ: «بَيْنَا أَنَا أَصِلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَاتَّكَل أُمِّيَاهُ <sup>(٢)</sup> مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي <sup>(٣)</sup> لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَ هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ

(١) معاوية بن الحكم السلمي - كان ينزل المدينة ويسكن في بني سليم. له عن النبي ﷺ حديث

واحد، قال ابن حجر: له حديث آخر من طريق ابنه كثير، وهو معدود في أهل المدينة. انظر:

الاستيعاب ٣/ ١٤١٤، ١٤١٥، الإصابة ٣/ ٤١١، ٤١٢، التهذيب ١٠/ ١٨٥.

(٢) واتَّكَل أُمِّيَاهُ: أي فقدتني أمي. النهاية ١/ ٢١٧.

(٣) يُصَمِّتُونَنِي: أي يسكتونني. النهاية ٣/ ٥١.

مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَ اللَّهُ مَا كَهَرَنِي<sup>(١)</sup> وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي  
قَالَ إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ  
وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٍ  
بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُفَّانَ قَالَ فَلَا تَأْتِهِمْ قَالَ  
وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ قَالَ قُلْتُ  
وَمِنَّا رِجَالٌ يَخْطُونَ<sup>(٢)</sup> قَالَ كَانَ نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ. قَالَ  
وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَزْعَى عَنِّي لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةُ<sup>(٣)</sup> فَاطْلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فِإِذَا  
الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ لِكُنْيِ  
صَكَّكُنْهَا صَكَّةً فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا

(١) مَا كَهَرَنِي: مَا نَهَرَنِي. النهاية ٢١٤/٤.

(٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْخَطُّ هُوَ الَّذِي يَخْطُهُ الْحَازِي وَهُوَ عَلِمٌ قَدْ تَرَكَ النَّاسَ يَأْتِي صَاحِبُ الْحَاجَةِ  
إِلَى الْحَازِي فَيُعْطِيهِ حُلُونًا فَيَقُولُ لَهُ اقْعُدْ حَتَّى أُخْطَ لَكَ وَبَيْنَ يَدَيِ الْحَازِي غُلَامٌ لَهُ مَعَهُ مِئْلٌ  
ثُمَّ يَأْتِي إِلَى أَرْضٍ رَخْوَةٍ فَيَخْطُ فِيهَا خُطُوطًا كَثِيرَةً بِالْعَجَلَةِ لئَلَّا يَلْحَقَهَا الْعَدَدُ ثُمَّ يَرْجِعُ  
فَيَمْحُو مِنْهَا عَلَى مَهْلٍ خَطَّيْنِ خَطَّيْنِ وَغُلَامُهُ يَقُولُ لِلتَّفَاؤُلِ: ابْنِي عِيَانُ أَسْرَعَا الْبَيَانَ، فَإِنْ  
بَقِيَ خَطَّانٌ فَهِيَ عِلَامَةُ النِّجَاحِ وَإِنْ بَقِيَ خَطٌّ وَاحِدٌ فَهُوَ عِلَامَةُ الْحَيْبَةِ. انظر: النهاية ٤٧/٢.

(٣) الْجَوَانِيَّةُ: مَنَاطِقُ دَاخِلِ الْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَحَدٍ وَذَكَرَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ ١٧٥/٢ أَنَّهَا  
قَرْيَةٌ قَرِيبُ الْمَدِينَةِ.





أَعْتَقَهَا قَالَ أَتَيْتَنِي بِهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ  
أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أبي داود: «فَمَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَطُّ أَرْفَقَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث: بَيَّانَ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَظِيمِ الْخُلُقِ الَّذِي  
شَهِدَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِهِ، وَرَفَقَهُ بِالْجَاهِلِ، وَرَأْفَتَهُ بِأَمَّتِهِ، وَشَفَقَتَهُ عَلَيْهِمْ.  
وَفِيهِ التَّحَلُّقُ بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرَّفْقِ بِالْجَاهِلِ، وَحُسْنُ تَعْلِيمِهِ وَاللُّطْفُ بِهِ،  
وَتَقَرُّبِ الصَّوَابِ إِلَى فَهْمِهِ، فَلَمْ يَضْجِرْ مِنْ كَثْرَةِ أَسْئَلَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَهِنْ بِهِ، بَلْ أَجَابَهُ  
بِتَوْدَةٍ وَأَنَاةٍ.

### الحديث الثالث:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

«كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَةِ فَأَذْرَكَهُ  
أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ

(١) رواه مسلم واللفظ له في كتاب المساجد ١ / ٣٨١ (٥٣٧)، وأبو داود - كتاب الصلاة

١ / ٢٤٤ (٩٣٠، ٩٣١)، والنسائي - كتاب السهو ٣ / ١٤ (١٢١٦) وفي الكبرى ١ / ١٩٨

(٥٥٦) وأحمد ٥ / ٤٤٧، ٤٤٨.

(٢) سنن أبي داود ١ / ٢٤٤.

حَاشِيَةُ الرَّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبِهِ ثُمَّ قَالَ مُرِّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ<sup>(١)</sup>.

وفي رواية:

«فَجَذَبَهُ حَتَّى انْشَقَّ الْبُرْدُ وَحَتَّى بَقِيَتْ حَاشِيَتُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر:

وَفِي الْحَدِيثِ بَيَانُ حِلْمِهِ ﷺ وَصَبْرِهِ عَلَى الْأَذَى فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ وَالتَّجَاوُزَ عَلَى جَفَاء مَنْ يُرِيدُ تَأْلُفَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَيَّتَأَسَّى بِهِ الْوَلَاةُ بَعْدَهُ فِي خُلُقِهِ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّفْحِ وَالْإِغْضَاءِ وَالدَّفْعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ<sup>(٣)</sup>.

الحديث الرابع:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْلِسُ مَعَنَا فِي الْمَجْلِسِ يُحَدِّثُنَا فَإِذَا قَامَ قُمْنَا قِيَامًا حَتَّى نَرَاهُ قَدْ دَخَلَ بَعْضُ بُيُوتِ أَزْوَاجِهِ فَحَدَّثَنَا يَوْمًا فَقُمْنَا حِينَ قَامَ فَنَظَرْنَا إِلَى

(١) رواه البخاري واللفظ له في كتاب فرض الخمس - باب ما كان يعطي النبي المؤلفه قلوبهم ٢٥١/٦ (٣١٤٩)، كتاب اللباس ٣٧٥/١٠ (٥٨٠٩) وكتاب الأدب ٥٠٣/١٠ (٦٠٨٨)، ورواه مسلم - كتاب الزكاة - باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٧٣٠/٢ (١٠٥٧)، وأحد ٣/١٥٣، ٢١٠، ٢٢٤ وابن حبان ٩٨/٨ (٦٣٤١).

(٢) صحيح مسلم - كتاب الزكاة - باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة ٧٣٠/٢ (١٠٥٧).

(٣) فتح الباري ١٠/٥٠٦.



أَعْرَابِيٌّ قَدْ أَدْرَكَهُ فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ فَحَمَّرَ رَقَبَتَهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَكَانَ رِدَاءٌ حَشِينًا فَالْتَفَتَ فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ احْمِلْ لِي عَلَى بَعِيرِي هَذَيْنِ فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ وَلَا مِنْ مَالِ أَيْيِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَحْمِلُ لَكَ حَتَّى تُقِيدَنِي مِنْ جَبَذَتِكَ النَّبِيُّ جَبَذَنِي فَكُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ وَاللَّهِ لَا أُقِيدُكَهَا فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ ثُمَّ دَعَا رَجُلًا فَقَالَ لَهُ احْمِلْ لَهُ عَلَى بَعِيرِي هَذَيْنِ عَلَى بَعِيرٍ شَعِيرًا وَعَلَى الْآخَرِ تَمْرًا ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ انْصَرِفُوا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(١)</sup>.

ما أعظم ذلك الخلق الرفيع الذي امتاز به النبي ﷺ، كان في مقدوره أن يؤدب ذلك الأعرابي على صنيعه، ولكن لم تكن تلك من شيم ولا أخلاق النبي ﷺ.

(١) رواه أبو داود واللفظ له في كتاب الأدب - باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ ٢٤٧/٤

(٤٧٧٥)، والنسائي في كتاب القسامة - باب القود من الجبذة ٣٣/٨، وأحمد ٢/٢٨٨.

قلت: الحديث تفرد به مُحَمَّدُ بْنُ هِلَالٍ بن أَبِي هِلَالٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.  
وَسُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ فَقَالَ ثَقَّةٌ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. وَسُئِلَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ صَالِحٌ وَأَبُوهُ لَيْسَ بِالْمَشْهُورِ. انظر: تهذيب الكمال ٥٦٩/٢٦، التهذيب ٤٣٩/٩ وقال الذهبي: هلال بن أبي هلال: لا يعرف. انظر: ميزان الاعتدال ١٠٢/٧ وقال ابن حجر: مقبول. انظر: التقريب ٥٧٦. قلت: ويشهد له حديث أنس السابق وهو في الصحيحين.

### الحديث الخامس:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَرَادَ هُدَى زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ<sup>(١)</sup>، قَالَ زَيْدُ ابْنِ سَعْنَةَ: مَا مِنْ عِلَامَاتِ النَّبُوءَةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلُهُ وَلَا تَزِيدُ شِدَّةَ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَكُنْتُ أَلْفُ لَهْ لَأَنَّ أَخَالَطَهُ، فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ مِنْ جَهْلِهِ. قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا مِنَ الْحُجُرَاتِ وَمَعَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَتِهِ كَالْبَدَوِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بُصْرَى قَرْيَةِ بَنِي فُلَانٍ قَدْ أَسْلَمُوا، وَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَكُنْتُ حَدَّثْتُهُمْ إِنْ أَسْلَمُوا أَتَاهُمُ الرِّزْقُ رَغَدًا، وَقَدْ أَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ وَشِدَّةٌ وَقُحُوطٌ مِنَ الْغَيْثِ، فَأَنَا أَخْشَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ طَمَعًا كَمَا دَخَلُوا فِيهِ طَمَعًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيْهِمْ بِشَيْءٍ تُعِينُهُمْ بِهِ فَعَلْتُ، فَنَظَرَ إِلَى رَجُلٍ إِلَى جَانِبِهِ أَرَاهُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَقِيَ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَدَنَوْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنِي ثَمَرًا مَعْلُومًا مِنْ حَائِطِ بَنِي فُلَانٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا؟ فَقَالَ: لَا يَا يَهُودِيٍّ، وَلَكِنِّي أَبِيعُكَ ثَمَرًا مَعْلُومًا إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا، وَلَا تُسَمِّي

(١) زيد بن سَعْنَةَ الخبر. أحد أعيان يهود ومن أكثرهم مالاً، فحسن إسلامه، وشهد مع

النبي ﷺ مشاهد كثيرة، وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة. أسد الغابة ٢/ ٢٣١.



حَائِطَ بَنِي فُلَانٍ، قُلْتُ: بَلَى، فَبَايَعَنِي فَأَطْلَقْتُ هِمْيَانِي<sup>(١)</sup>، فَأَعْطَيْتُهُ ثَمَانِينَ مِثْقَالًا مِنْ ذَهَبٍ فِي تَمَرٍ مَعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ كَذَا وَكَذَا، فَأَعْطَاهَا الرَّجُلَ، فَقَالَ: اغْدُ عَلَيْهِمْ فَأَعْنِهِمْ بِهَا، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ: فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ حَلِّ الْأَجَلِ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ غَلِيظٍ، فَقُلْتُ لَهُ: أَلَا تَقْضِيَنِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكُمْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِمُطْلٍ، وَلَقَدْ كَانَ لِي بِمُخَالَطَتِكُمْ عِلْمٌ، وَنَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ، وَإِذَا عَيْنَاهُ تَدُورَانِ فِي وَجْهِهِ كَالْفَلَكَ الْمُسْتَدِيرِ، ثُمَّ رَمَانِي بِبَصَرِهِ، فَقَالَ: يَا عَبْدُ اللَّهِ أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ، وَتَصْنَعُ بِهِ مَا أَرَى، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَوْلَا مَا أَحَازِرُ قُوَّتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتَوَدَّةٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ، أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا، أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الْأَدَاءِ، وَتَأْمُرُهُ بِحُسْنِ التَّبَاعَةِ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ وَأَعْطِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمَرٍ مَكَانَ مَا رَوَّعْتُهُ، قَالَ زَيْدٌ: فَذَهَبَ بِی عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَأَعْطَانِي حَقِّي، وَزَادَنِي عِشْرِينَ صَاعًا مِنْ تَمَرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ الزِّيَادَةُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَزِيدَكَ مَكَانَ مَا رَوَّعْتِكَ، قُلْتُ: وَتَعْرِفُنِي يَا عُمَرُ؟ قَالَ: لَا، مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا زَيْدُ بْنُ سَعْنَةَ، قَالَ: الْحُبْرُ، قُلْتُ: الْحُبْرُ، قَالَ: فَمَا دَعَاكَ أَنْ فَعَلْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا

(١) هِمْيَان الدِراهم - الذي تجعل فيه النفقة. انظر: لسان العرب ١٥ / ٣٦٤.

فَعَلَتْ وَقُلْتَ لَهُ مَا قُلْتُ؟ قُلْتُ: يَا عُمَرُ، لَمْ تَكُنْ مِنْ عِلَامَاتِ النَّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ إِلَّا اثْنَتَيْنِ لَمْ أُخْبَرْهُمَا مِنْهُ، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلُهُ، وَلَا يَزِيدُهُ الْجُهْلُ عَلَيْهِ إِلَّا حِلْمًا، فَقَدْ أُخْبِرْتُهُمَا، فَأُشْهِدُكَ يَا عُمَرُ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَأُشْهِدُكَ أَنَّ شَطْرَ مَالِي وَإِنِّي أَكْثَرُهَا مَالًا صَدَقَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَسَعُهُمْ. قُلْتُ: أَوْ عَلَى بَعْضِهِمْ، فَرَجَعَ عُمَرُ وَزَيْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ زَيْدٌ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ. وَأَمِنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَبَايَعَهُ وَشَهِدَ مَعَهُ مَشَاهِدَ كَثِيرَةٍ، ثُمَّ تَوَفَّى زَيْدٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الطبراني - واللفظ له، في المعجم الكبير ٣٢٢/٥ - ٣٢٣ (٥١٤٧)، وابن حبان ٥٢١/١ (٢٨٨)، والحاكم ٣٧/٢ (٢٢٣٧)، وقال هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورواه الأصبهاني في دلائل النبوة ٢٣٣/١ (٣٤١)، ورواه ابن عاصم في الأحاد والمثنائي ١١٣/٤ (٢٠٨٢) وأبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي ٧٢-٧٣. قال ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة ٦٠٦/٢: رجال الإسناد موثقون وقد صرح الوليد فيه بالتحديث ومداره على محمد بن أبي السري الراوي له عن الوليد وثقه ابن معين ولينه أبو حاتم وقال ابن عدي: محمد كثير الغلط والله أعلم.

ثم قال: ووجدت لقصته شاهداً من وجه آخر لكن لم يسم فيه قال بن سعد: حدثنا يزيد=



من خلال المواقف السابقة يملكنا العجب من سعة صدر النبي ﷺ في الرحمة بالجهال، وحرصه على تعليمهم، واستمالة قلوبهم، وعفوه عن المسيء منهم، يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، ولا يزيده جهل الجاهل إلا حلماً، حيث كان هذا من آيات نبوته، التي كانت سبباً في إسلام بعض مَنْ أسلم.

وفي هذا درس للدعاة اليوم، ليقننوا بالنبي ﷺ، فإذا صادفوا جاهلاً أو معوجاً، قوموه بالرحمة واللين لا بالعنف والغلظة، فالنفوس جبلت على حب من أحسن إليها.

قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضاً: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

=حدثنا جرير بن حازم حدثني من سمع الزهري يحدث أن يهودياً قال: ما كان بقي شيء من نعت محمد في التوراة إلا رأيته إلا الحلم. فذكر القصة.

(١) سورة الأعراف ١٩٩.

(٢) سورة الفرقان ٦٣.

### المبحث الثالث

#### الرحمة بالعاصي

يحيط بابن آدم أعداء كثيرون من شياطين الإنس والجن، والنفس الأمارّة بالسوء، وهؤلاء الأعداء يحسنون القبيح، ويقبحون الحسن، ويدعون الإنسان إلى الشهوات، ويقودونه إلى مهاوي الردى، لينحدر في موبقات الذنوب والمعاصي.

ومع وقوع المعصية من ابن آدم فقد يصاحبه ضيق وحرّج، وشعور بالذنب والخطيئة، فيوشك أن تنغلق أمامه أبواب الأمل، ويدخل في دائرة اليأس من روح الله، ولكن الله العليم الحكيم، الرؤوف الرحيم، الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، فتح لعباده أبواب التوبة، وجعل فيها ملاذاً مكيناً، وملجأً حصيناً، يلجئه المذنب معترفاً بذنبه ومؤملاً في ربه، نادماً على فعله، غير مصرٍ على خطيئته، فيكفر الله عنه سيئاته، ويرفع من درجاته. قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة الزمر ٥٣.





واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتغالها على أعظم بشارة، فإنه أولاً أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب، ثم عقب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة هؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده شك، ولا يخالج القلب عند سماعه ظنّ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ﴾، فالألف، واللام قد صيرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراد، فهو في قوة إن الله يغفر كلّ ذنب كائناً ما كان، إلا ما أخرجه النصّ القرآني، وهو: الشرك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup> ثم لم يكتف بما أخبر عباده به من مغفرة كل ذنب، بل أكد ذلك بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنهم ببرهم الصادقين في رجائه، الخالعين لثياب القنوط الرافضين لسوء الظنّ بمن لا يتعاضمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته، ورحمته على عباده المتوجهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم، وما أحسن ما علل سبحانه به هذا الكلام قائلًا: «إنه هو

(١) سورة النساء: ٤٨، ١١٦.

الغفور الرحيم»، أي: كثير المغفرة، والرحمة عظيمهما واسعهما<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والنصوص من الكتاب والسنة جاءت متضافرة في تأكيد هذا المعنى، ولا يخفى ما في التوبة من رحمة بالعصاة والمقصرين، ولكثرة هذه النصوص اكتفينا بالإشارة إليها، وبالإمكان الرجوع إليها في كتب الحديث تحت باب التوبة. ولكن ما يهم في هذا المبحث، هو مجموع القصص والشواهد التي تبين كيف كان الرسول ﷺ يعامل المخطئين، وكيف كان يحفزهم على الاستقامة والعودة إلى جادة الحق والصواب.

أولاً: الرحمة في الحث على التوبة وقبولها مهما كانت المعصية:

الأحاديث التي حثت على التوبة كثيرة نذكر منها:

١ - عن أنس بن مالك قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَشَدُّ فَرْحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَاَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ

(١) انظر: فتح القدير ٤ / ٤٧٠.

(٢) سورة النور ٣١.



رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ  
الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»<sup>(١)</sup>.

٢ - عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ  
يُغْرِغْ»<sup>(٢)</sup> <sup>(٣)</sup>.

٣ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«كَانَ فَيَمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ  
الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ  
فَقَالَ لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ  
فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟  
انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنَا سَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى  
أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَاَنْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ

(١) رواه البخاري في كتاب الدعوات - باب التوبة ٥ / ٢٣٢٥ (٥٩٥٠)، ومسلم - واللفظ له

في كتاب التوبة - باب في الحُص على التوبة ٤ / ٢١٠٤ (٢٧٤٧)، وأحمد ٣ / ٢١٣.

(٢) أي: تصل الروح الحلقوم. انظر: النهاية ٣ / ٣٦٠.

(٣) رواه الترمذي - كتاب الدعوات - باب في فضل التوبة ٥ / ٥٤٧ (٣٥٣٧) وقال: حديث

حسن، ورواه ابن ماجه - كتاب الزهد - باب ذكر التوبة ٢ / ١٤٢٠ (٤٢٥٣)، وأحمد

فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَآتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: « فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى هَذِهِ أَنْ تَبَاعِدِي وَإِلَى هَذِهِ أَنْ تَقْرَبِي ».

إن هذه القصة تفتح أبواب الأمل لكل عاص، وتبين سعة رحمة الله، وقبوله لتوبة التائبين، مهما عظمت ذنوبهم وكبرت خطاياهم.

وكذلك تعطي منهجاً للدعاة بآلا يأسوا من إنسان مهما بلغت ذنوبه وخطاياها، فقد تكون هناك بذرة خير في نفسه تحتاج إلى من ينميتها.

٤ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغِي نَالًا وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٣/ ١٢٨٠ (٣٢٨٣)، ومسلم - واللفظ له - في كتاب التوبة ٤/ ٢١١٨ (٢٧٦٦)، وابن ماجه - كتاب الديات ٢/ ٨٧٥ (٢٦٢٢)، وأحمد ٣/ ٢٠، ٧٢.

(٢) رواه البخاري - كتاب الرقاق ٥/ ٢٣٦٤ (٦٠٧٢)، ومسلم - كتاب الزكاة ٢/ ٧٢٥ (١٠٤٩)، وأحمد ١/ ٣٧٠.

٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

ثانياً: الرحمة في ستر العصاة:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

٢ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَاتٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة ٤/ ٢٢٠٧٦ (٢٧٠٣)، وأحمد ٢/ ٢٧٥، ٣٩٥، ٤٢٧، ٤٩٥، ٥٠٦.

(٢) سورة النور ١٩.

(٣) رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب ٤/ ٢٠٠٢ (٢٥٩٠)، وأحمد ٢/ ٣٨٨، ٤٠٤.

(٤) رواه البخاري - كتاب المظالم ٢/ ٨٦٢ (٢٣١٠)، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب =

ثالثاً: الرحمة في الدعاء للمشركين والعصاة بالهدى:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَدِمَ طُفَيْلُ بْنُ عَمْرِو الدَّوْسِيِّ وَأَصْحَابُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ دَوْسًا عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا فَقِيلَ هَلَكْتُ دَوْسٌ قَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ»<sup>(١)</sup>.

٢ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَكْرَهُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّيَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا جِئْتُ فَصَرْتُ إِلَى الْبَابِ فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ<sup>(٢)</sup> فَسَمِعْتُ أُمَّيَ خَشَفَ قَدَمَيَّ<sup>(٣)</sup> فَقَالَتْ مَكَانَكَ

= ١٩٩٦ / ٤ (٢٥٨٠)، وأبو داود - كتاب الأدب ٢٧٣ / ٤ (٤٨٩٣)، والترمذي - كتاب الحدود ٣٤ / ٤ (١٤٢٦).

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ٣ / ١٠٧٣ (٢٧٧٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة ٤ / ١٩٥٧ (٢٥٢٤)، وأحمد ٢ / ٢٤٣، ٤٤٨، ٥٠٢.

(٢) أي مُغْلَقٌ. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ٥٢، وأجاف فلان بابه بمعنى رده عليه.

(٣) خَشَفَ قَدَمَيَّ أَي: صَوَّتَهُمَا فِي الْأَرْضِ. المرجع السابق.



يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ<sup>(١)</sup>. قَالَ فَاعْتَسَلْتُ وَلَبِسْتُ دِرْعَهَا وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا فَفَتَحْتُ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَبَشِّرْ قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجِيبَنِي أَنَا وَأُمِّي إِلَى عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُجِيبَهُمْ إِلَيْنَا قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي<sup>(٢)</sup>.

٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله: ادع على المشركين قال:

«إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة»<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: محاورة العصاة والحرص على توبتهم:

لقد ضرب الحبيب محمد ﷺ مثلاً رائعاً في الصبر على أصحاب المعاصي،

(١) خَضْخَضَةَ الْمَاءِ صَوْتٌ تَحْرِيكُهُ. المرجع السابق.

(٢) رواه مسلم - كتاب الفضائل ٤/ ١٩٣٨ (٢٤٩١)، وأحمد ٢/ ٣١٩.

(٣) رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب ٤/ ٢٠٠٦ (٢٥٩٩).

وحرصا كبيرا في الاستماع إليهم وإعانتهم في تبديد كل ما يعترضهم من وساوس وشبهات، كما حرص على محاجتهم بالمنطق واللين بعيدا كل البعد عن العنف والقسوة، وإليكم هذا النموذج الرائع الذي ينبغي للعلماء والمربين أن يتخذوه نبراسا لهم في هداية الحيارى، وكل من انغمس في طريق الشهوات والمعاصي.

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ قَالَ:

«إِنَّ فَتًى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَةِ!! فَأَقْبَلَ

الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ، قَالُوا: مَهْ مَهْ!!!

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اِذْنُهُ»..

فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا.. فَجَلَسَ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ!

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ» «أَفُتِحِبُهُ لِابْنَتِكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ» «أَفُتِحِبُهُ لِأُخْتِكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ..



قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ» «أَفْتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ» «أَفْتُحِبُّهُ لِحَالَتِكَ؟».

قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ.

قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ».

فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»..

فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ<sup>(١)</sup>.

#### خامساً: الرحمة في تطبيق العقوبة على العصاة:

لم يكن الإسلام مولعاً بتطبيق العقوبة، وإقامة الحدود، ولا متعطشاً إلى إراقة الدماء، بل كان حريصاً على إصلاح المجتمع ونظافته وطهره، وإليك هذه النماذج الرائعة التي تدل على ذلك:

(١) رواه أحمد ٢٥٦/٥، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٢/٨ (٧٦٧٩) و١٨٣/٨ (٧٧٥٩)، وفي مسند الشاميين ١٣٩/٢ (١٠٦٦) و٣٧٣/٢ (١٥٢٣) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رجاله رجال الصحيح ١/١٢٩، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ٣٧٠، وصححه الشيخ شعيب في تحقيق المسند ٤٥/١٨٠.

١ - روى مسلم في صحيحه عن سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ:

«جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَطَهَّرُكَ؟ فَقَالَ مِنَ الزَّنا، فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَهُ جُنُونٌ فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ، فَقَالَ أَشْرَبَ خُمْرًا؟ فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنَكَّه<sup>(١)</sup> فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خُمَرٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَزْنَيْتَ فَقَالَ نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فُرْجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ: قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةُ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ؛ إِنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ قَالَ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالُوا غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوْسَعَتْهُمْ قَالَ ثُمَّ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ غَامِدٍ مِنَ الْأَزْدِ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ وَيْحَكَ ارْجِعِي فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَقَالَتْ أَرَأَيْكَ تُرِيدُ أَنْ تُرَدِّدَنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنَ

(١) أي: شتم رائحة فمه. النووي على شرح صحيح مسلم ٢٠٠/١١.



مَا لِكَ قَالَ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَتْ إِنَّهَا حُبْلَى مِنَ الزَّانَا فَقَالَ أَنْتِ؟ قَالَتْ نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا حَتَّى تَضْعِي مَا فِي بَطْنِكَ، قَالَ فَكَفَلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى وَضَعَتْ قَالَ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ قَدْ وَضَعْتُ الْغَامِدِيَّةَ، فَقَالَ إِذَا لَا تَرْجُئِهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مَنْ يُرْضِعُهُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ إِلَيَّ رِضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَرَجَمَهَا».

وفي رواية أخرى له أن النبي ﷺ: «قَالَ أَذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ فَلَمَّا فَطَمْتَهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةٌ خُبِزٍ فَقَالَتْ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحَفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبَلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ خَالِدٌ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ».

وفي رواية أن النبي ﷺ «صَلَّى عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ عُمَرُ تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ فَقَالَ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدَتْ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ تَعَالَى»<sup>(١)</sup>.

(١) هذه روايات الإمام مسلم في كتاب الحدود - باب من اعترف على نفسه بالزنا ٣ / ١٣٢١

نعم لم يكن الإسلام مولعا بتطبيق العقوبة، وإقامة الحدود، ولا متعطشا إلى إراقة الدماء، إنه يطلب من مرتكب الجريمة - أربع مرات - أن يراجع نفسه، فالستر أولى من الفضيحة، فلعل هناك شبهة تدرأ الحد عنه، لكن المذنب يأتي بنفسه راضيا صابرا، لينفذ فيه حكم الله، ولا يحاول الهروب من عقاب الدنيا، فلعل هذا العقاب يجبر كسره، ولعل الله يقبل توبته.

نعم... لَقَدْ تَابَ مَا عَزَّ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوْ سَعَتْهُمْ.  
وتابت الغامدية توبة لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوْ سَعَتْهُمْ.  
وإقامة الحد بهذه الصورة فيه صيانة لحياء المجتمع، وحفاظ لعفته، وحماية لنقائه وطهارته<sup>(١)</sup>.

وقد تأخذ الرحمة الحقة طابع القسوة وليست كذلك: إن الأطفال عندما يساقون إلى المدارس كرها، ويحفظون الدروس زجرا، فهو من الرحمة بهم، ولو تركوا وأهواءهم لقتلهم اللهو واللعب ولشبوا لا يحسنون صنعا، ولذلك قال الشاعر.  
فقسا ليزدجروا ومن يك راحما \* فليقس أحيانا على من يرحم  
والطبيب عندما يجري بالجسم جراحة، يستخدم مبضعه لتمزيق اللحم، وقد يضطر لت هشيم العظام وبتتر أعضاء، وما يفعل ذلك إلا رحمة بالمرضى!

(١) انظر: أخلاقنا - د. محمد ربيع جوهرى ٨٥.



فليست الرحمة حنانا لا عقل معه أو شفقة تتنكر للعدل والنظام. كلا، إنها عاطفة ترعى هذه الحقوق جميعا. إن منظر المشنوق وجسمه يتأرجح في الهواء وعينه تعشقان الضوء وتطلبان النجاة منظر قد يستدر العطف ولو أجيبت هذه العاطفة السريعة وأطلق سراح القاتل لامتألت الأرض فوضى، والرحمة الحققة في كبت هذا الشعور ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتِىَ آلَآلِبِبٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢ - عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ فَأَتَى بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فُجِلِدَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ اللَّهُمَّ اْعْنَهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَا تَلْعَنُوهُ فَوَ اللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وذكر ابن حجر الكثير من الفوائد المستفادة من هذا الحديث منها:

١ - الرَّدُّ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُرْتَكِبَ الْكَبِيرَةِ كَافِرٌ، لِثُبُوتِ النَّهْيِ عَنْ لَعْنِهِ وَالْأَمْرِ بِالدُّعَاءِ لَهُ.

(١) سورة البقرة ١٧٩.

(٢) انظر: خلق المسلم - محمد الغزالي ٢٢٠.

(٣) رواه البخاري - كتاب الحدود - باب ما يكره من لعن شارب الخمر ٢٤٨٩/٦ (٦٣٩٨)، وأبو يعلى في مسنده ١/ ١٦١ (١٧٦).

- ٢- أَنْ لَا تَنَافِيَ بَيْنَ ارْتِكَابِ النَّهْيِ وَتُبُوتِ حُبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِ الْمُزْتَكِّ لِأَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ بِأَنَّ الْمَذْكُورَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ.
- ٣- أَنَّ مَنْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ الْمُعْصِيَةُ لَا تُنَزَّعُ مِنْهُ حُبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.
- ٤- وَيُؤْخَذُ مِنْهُ التَّأْكِيدُ عَلَى أَنَّ نَفْيَ الْإِيمَانِ عَنْ شَارِبِ الْخَمْرِ لَا يُرَادُ بِهِ زَوَالُهُ بِالْكُلِّيَّةِ بَلْ نَفْيُ كَمَالِهِ.

وَيَحْتَمِلُ الْأَمْرُ أَنْ يَكُونَ اسْتِمْرَارُ ثُبُوتِ حُبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِي قَلْبِ الْعَاصِي مُقَيَّدًا بِمَا إِذَا نَدِمَ عَلَى وُقُوعِ الْمُعْصِيَةِ وَأَقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدَّ فَكَفَّرَ عَنْهُ الذَّنْبُ الْمَذْكُورُ، بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْهِ بِتَكَرُّارِ الذَّنْبِ أَنْ يُطْبَعَ عَلَى قَلْبِهِ شَيْءٌ حَتَّى يُسَلَبَ مِنْهُ ذَلِكَ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ<sup>(١)</sup>.

- ٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: «أَتَى النَّبِيُّ ﷺ بِسَكْرَانَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِنَعْلِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِثَوْبِهِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ<sup>(٢)</sup>».
- وفي رواية «لَا تَكُونُوا عَوْنَ الشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ».

(١) انظر: فتح الباري ١٢/ ٧٨.

(٢) رواه البخاري - كتاب الحدود - باب ما يكره من لعن شارب الخمر ٦/ ٢٤٨٩ (٦٣٩٩)، وأبو داود - كتاب الحدود ٤/ ١٦٢ (٤٤٦٧)، وأحمد ٢/ ٢٩٩.



وَوَجْهُ عَوْنِهِمُ الشَّيْطَانُ بِذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يُرِيدُ بِتَرْيِينِهِ لَهُ الْمُعْصِيَةَ أَنْ يَحْصُلَ لَهُ الْحِزْبِيُّ فَإِذَا دَعَوْا عَلَيْهِ بِالْحِزْبِيِّ فَكَأَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا مَقْصُودَ الشَّيْطَانِ<sup>(١)</sup>.

وفي بعض الروايات زيادة في آخره: «وَلَكِنْ قُولُوا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ وَالَّذِي قَبْلَهُ مَنْعُ الدُّعَاءِ عَلَى الْعَاصِي بِالْإِبْعَادِ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كَاللَّعْنِ وَغَيْرِهِ.

٤ - عَنْ سَلَمَةَ بْنِ صَخْرِ الْبَيَاضِيِّ قَالَ:

«كُنْتُ امْرَأً اسْتَكْبَرْتُ مِنَ النِّسَاءِ لَا أَرَى رَجُلًا كَانَ يُصِيبُ مِنْ ذَلِكَ مَا أُصِيبُ! فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانُ ظَاهَرْتُ مِنْ امْرَأَتِي حَتَّى يَنْسَلِخَ رَمَضَانُ، فَبَيْتًا هِيَ تُحَدِّثُنِي ذَاتَ لَيْلَةٍ انْكَشَفَ لِي مِنْهَا شَيْءٌ، فَوَثَبْتُ عَلَيْهَا فَوَاقَعْتُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَى قَوْمِي فَأَخْبَرْتُهُمْ خَيْرِي، وَقُلْتُ لَهُمْ: سَلُوا لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ!!

فَقَالُوا: مَا كُنَّا نَفْعَلُ إِذَا يُنْزَلُ اللَّهُ ﷻ فِينَا كِتَابًا أَوْ يَكُونُ فِينَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَوْلٌ فَيَبْقَى عَلَيْنَا عَارُهُ، وَلَكِنْ سَوْفَ نَسَلِّمُكَ لِحَرِيرَتِكَ، اذْهَبْ أَنْتَ فَادْكُرْ شَأْنَكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ..»

(١) فتح الباري ١٢/٦٧.

(٢) انظر: سنن أبي داود ٤/١٦٢، ومسند أحمد ٢/٢٩٩.

قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى جِئْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتَ بِذَاكَ؟».

فَقُلْتُ: أَنَا بِذَاكَ، وَهَذَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ صَابِرٌ لِحُكْمِ اللَّهِ عَلَيَّ. قَالَ: «فَاعْتِقُ رَقَبَةً». قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَصْبَحْتُ أُمْلِكُ إِلَّا رَقَبَتِي هَذِهِ! قَالَ: «فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ».

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ دَخَلَ عَلَيَّ مَا دَخَلَ مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا بِالصَّوْمِ! قَالَ: «فَتَصَدَّقْ أَوْ أَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا».

قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ بَتْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ مَا لَنَا عِشَاءً!! قَالَ: «فَاذْهَبْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ، فَقُلْ لَهُ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ، وَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا وَانْتَفِعْ بِبَقِيَّتِهَا!!!».

فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي فَقُلْتُ: وَجَدْتُ عِنْدَكُمْ الضِّيقَ وَسُوءَ الرَّأْيِ وَوَجَدْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ السَّعَةَ وَحُسْنَ الرَّأْيِ، وَقَدْ أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ! قَالَ: فَادْفَعُوهَا لِي<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أبو داود - كتاب الطلاق - باب في الظهار ٢/ ٢٦٥ (٢٢١٣)، والترمذي - كتاب تفسير القرآن ٥/ ٤٠٥ (٣٢٩٩)، وابن ماجه - واللفظ له (إلى قوله «وانتفع ببقيتها» فقط) في كتاب الطلاق ١/ ٦٦٥ (٢٠٦٢)، وأحمد ٥/ ٤٣٦، وصححه الألباني في الإرواء (٢٠٩١)، صحيح أبي داود (١٩١٧)، وصحيح وضعيف سنن ابن ماجه - (٢٠٦٢).





## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على النبي الخاتم المهدى رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين وبعد:

- فهذه خلاصة لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث:
- (١) أن هناك مجموعة كبيرة من الآيات والأحاديث النبوية التي عنيت بالحديث عن أخلاق النبي ﷺ، وعلى رأسها رحمته وعفوه وتواضعه.
  - (٢) بالرحمة والرفق واللين تفتح مغاليق القلوب، ويقبل الناس على الحق، ذلك أن الناس بطبيعتهم يألفون الرقة واللين والرفق، وينفرون من الخشونة والشدة والعنف.
  - (٣) كان ﷺ رحمة حقيقة وعملية للبشرية منذ بعثته وحتى وقتنا هذا، بشهادة ربه ﷻ، وأصحابه الذين عايشوه، والمنصفين من أعدائه.
  - (٤) تجلت مظاهر الرحمة في شخصية النبي ﷺ في دعوته للآخرين من خلال: تبسمه وبشاشته وتدرجه في التشريع، وتلمسه لحاجات

المدعوين، وتفقدته لأحوالهم، وزيارتهم، وحسن استقبالهم وضيافتهم، والصبر على أخطائهم وهفواتهم.

(٥) على الداعية أن يتدرج في دعوته المبتدئين، فعليه أن ييسر ولا يعسر، ويبشر ولا ينفر.

(٦) كما تجلت مظاهر رحمته أيضا في تعامله مع العصاة والجهال من خلال تعليمهم وإرشادهم برفق وأناة، وحثهم على التوبة مهما كانت المعصية، والتجاوز عن مسيئتهم، ودعوته إلى سترهم والدعاء لهم بالهداية والسداد، والنهي عن سبهم وشتيمهم، والتأني في تطبيق الحدود، ومساعدة المذنبين في تكفير ذنوبهم...

(٧) إن النبي ﷺ هو خير مثل للمؤمن في الرحمة بالمبتدئ والجاهل والعاصي والكبير والصغير والرجل والمرأة والخادم وصاحب الحاجة والبشرية جمعاء، حتى شملت رحمته غير المسلم بالحرص على هداية وإرشاده إلى الطريق القويم، والصبر عليه، وتحمل الأذى منه، والرغبة إلى الله أن يهديه.

(٨) الرحمة مطلوبة في كل نواحي الحياة، وفي شؤون الحياة كلها، فهي مطلوبة داخل البيت المسلم، قال الله تعالى: «وجعل بينكم مودة ورحمة»،



ومطلوبة ممن يتولى شؤون الحكم والقضاء، وممن يتصدر للتربية والتعليم والوعظ والإرشاد، وممن يسعى للإصلاح بين الناس، وممن كل أرباب العمل، وأصحاب الشركات وغير ذلك.

أما التوصيات، فأجملها بالنقاط التالية:

- (١) الاستمرار في عقد المؤتمرات والندوات التي تبين وتشرح سائر أخلاق النبي ﷺ كالصدق والأمانة والوفاء والإخلاص والعدل...
- (٢) أن يحمل كل مسلم ومسلمة أمانة الدفاع عن نبي الرحمة كل حسب استطاعته، مع استثمار التقنيات الحديثة في سبيل ذلك من قنوات فضائية، ومواقع الإنترنت وغير ذلك من وسائل الاتصال الحديثة.
- (٣) اقتراح مشروع لترجمة مائة كتاب في سيرة النبي ﷺ وأخلاقه، والسعي لنشر هذه الكتب - بعد ترجمتها - في أوروبا وأمريكا، وروسيا واليابان والصين.
- (٤) الدعوة إلى التراحم بين المؤمنين، ونبذ الخلاف والفرقة فيما بينهم، وسيادة لغة الحوار والحكمة والجدال بالتي هي أحسن، لتسعد البشرية من جديد، ولتحیی حياة كريمة كما أمرها الله وكما يجب لها.

وفي الختام أسأل الله ﷻ أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث، وأن يتقبله مني خالصا لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عن سيئاتي وهفواتي إنه غفور رحيم. وأشكر الإخوة القائمين على هذا المؤتمر كافة، سائلا الله ﷻ أن يثيبهم خير الجزاء إنه سميع مجيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

\*\*\*



## قائمة المراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) الأحاد والمثاني - أحمد بن عمرو الضحاك ابن أبي عاصم ت ٢٨٧هـ، تحقيق: د. باسم الجوابرة، دار الراية - الرياض، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٣) أخلاق النبي ﷺ وآدابه - محمد عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف بأبي الشيخ ت ٣٦٩هـ، تحقيق: د. السيد الجميلي - دار الكتاب العربي.
- (٤) أخلاقنا - د. محمد ربيع محمد جوهرى، دار الفجر الإسلامية - المدينة المنورة، ط ٧، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٥) الأدب المفرد - محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٦) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل - محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - دمشق وبيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ت ٤٦٣هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجليل - بيروت، ط ١.
- (٨) أسد الغابة في معرفة الصحابة - عز الدين بن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

- (٩) الإصابة في تمييز الصحابة - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، دار الجليل - بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- (١٠) التعريفات - علي بن محمد الجرحاني، دار السرور - بيروت.
- (١١) تفسير القرآن العظيم - عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (١٢) تقريب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- (١٣) تهذيب التهذيب - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (١٤) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي - أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩هـ، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (١٥) خلق المسلم - محمد الغزالي، دار القلم - دمشق، ط ١٧، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- (١٦) دلائل النبوة - أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- (١٧) دلائل النبوة - إسماعيل بن محمد الأصفهاني ت ٥٣٥هـ، تحقيق محمد محمد الحداد، دار طيبة - الرياض، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- (١٨) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٤، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



- (١٩) سنن ابن ماجه - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت.
- (٢٠) سنن أبي داود - سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ت ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- (٢١) سنن البيهقي الكبرى - أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- (٢٢) سنن الدارقطني - أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي ت ٣٨٥هـ، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.
- (٢٣) السنن الكبرى - أحمد بن شعيب بن علي النسائي ت ٣٠٣هـ، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٢٤) سنن النسائي - بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي - أحمد بن شعيب بن علي النسائي ت ٣٠٣هـ، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٢٥) شعب الإبان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
- (٢٦) صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ، المطبوع مع فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، إشراف: عبد العزيز ابن عبد الله بن باز، دار الفكر.

- (٢٧) صحيح ابن حبان - بترتيب ابن بلبان - محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ت ٣٥٤هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- (٢٨) صحيح ابن خزيمة - محمد بن إسحاق بن خزيمة ت ٣١١هـ، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
- (٢٩) صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - ط ٣، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- (٣٠) صحيح سنن ابن ماجه - محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية لدول الخليج - الرياض، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٣١) صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية لدول الخليج، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٣٢) صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت ٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٣٣) صحيح مسلم بشرح النووي - محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- (٣٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ، دار الفكر.
- (٣٥) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - محمد علي محمد الشوكاني ت ١٢٥٠هـ دار الفكر - بيروت.





- (٣٦) فهارس القرآن الكريم - المطبوع في نهاية القرآن الكريم تفسير وبيان - د. محمد حسن الحمصي، دار الرشيد - بيروت.
- (٣٧) في ظلال القرآن - سيد قطب، دار الشروق - بيروت والقاهرة، ط ١١، ١٤١٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- (٣٨) كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- (٣٩) لسان العرب - جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦ م.
- (٤٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي ت ٨٠٧ هـ، دار الريان - بيروت، دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٤٠٧ هـ.
- (٤١) مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، ترتيب: محمود خاطر، دار الحديث بجوار إدارة الأزهر - مصر.
- (٤٢) المستدرك على الصحيحين - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١.
- (٤٣) المسند - أحمد بن حنبل ت ٢٤١ هـ، المكتب الإسلامي - المصورة عن المطبعة الميمنية.
- (٤٤) مسند أبي داود الطيالسي - سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي ت ٢٠٤ هـ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق، ط ١.

- (٤٥) مسند أبي عوانة - أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني ت ٣١٦هـ، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، دار المعرفة - بيروت، ط ١، ١٩٩٨م.
- (٤٦) مسند أبي يعلى الموصلي - أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي ت ٣٠٧هـ، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- (٤٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- (٤٨) مسند الشاميين - سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- (٤٩) معالم التنزيل - الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ، حققه وأخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٥٠) معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجليل - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- (٥١) معجم البلدان - ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ، دار الفكر - بيروت.
- (٥٢) المعجم الكبير - أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ت ٣٦٠هـ تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم - الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- (٥٣) المفردات في غريب القرآن - أبو قاسم بن محمد المفضل المشهور بالراغب الأصفهاني، دار المعرفة - بيروت.



(٥٤) الموطأ - مالك بن أنس ت ١٧٩هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر

الإسلامية - بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٥٥) النهاية في غريب الحديث والأثر - مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد

الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي، دار الفكر -

بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

\*\*\*

